



جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله -  
كلية العلوم الانسانية  
قسم لفلسفة



وحدة البحث: Prfu 2019

## أعلام الفكر الجزائري

اسم و لقب المؤلفين و الانتماء المؤسساتي.

- 1-أ.د/ مناد طالب (أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر 2).
- 2-أ.د/مسعود لبيوض (أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر 2).
- 3-د/ سيد أحمد طيبي (أستاذ محاضر أ، جامعة الجزائر 2).
- 4-د/ صابري لخميسي (جامعة الجزائر 2).
- 5-د/سامي سنوسي (جامعة الجزائر 2).
- 6-الطالب محمد عبد القادر ايكار (جامعة الجزائر 2).

رمز فرقة البحث: I05L07UN160220190003

تاريخ ومكان نشر التقرير النهائي: الجزائر / 2022/12م

السنة الجامعية: 2022/2021.

# مقدمة

لا شك أن أعلام الفكر هم منارات الأمم، وهم المقياس الأساس الذي يقاس به مدى الرقي الفكري والثقافي أو مدى نهضة أي أمة من الأمم؛ بل بهم يظهر ويثبت وجود الأمم ويستمر عبر التاريخ، وبدعمهم تندثر الأمم وتتعدم آثارها على مر الزمن.

ولاريب أن متقفينا لا يغيب عن ذهنهم ما سعى إليه الاستعمار الفرنسي طيلة التواجد الاستيطاني في الجزائر والذي بلغ القرن وثلث القرن من طمس لأعلامها وتشويه لتاريخها وانتمائها الحضاري؛ ولهذا السبب أردنا أن نميط اللثام عن بعض أعلام مفكريها وتقديم فكرهم لِحَلْفِهِمْ حتى يدركوا مساهمتهم الفعالة في مدّ الحضارة الإنسانية، على المستويين المحلي والعالمي، بشتى الآداب والفكر والعلوم. و جاء بحثنا الجماعي هذا للتعريف بفكر بعض أعلام الفكر الجزائري الذين تركوا منظومات فكرية قيمة تستحق أن تثرى بها مكتباتنا الوطنية وتضاف إلى أعمال جلييلة قدمها غيرنا من الباحثين الجزائريين خاصة. والثابت أن الجزائر تزخر بعدد كبير من الأعلام على مرّ العصور، بيد أن عددا كبيرا منهم لا يزال إلى يوم الناس هذا مجهولا أو شبه مجهول أو حتى منسوبيا إلى أمة أخرى وهو ما يصب في منسوب الفكر المعادي والمدعي أن الجزائر لم يكن لها تاريخ خارج فرنسا والمحيط الأوروبي!!

ومن المناسب أن نشير هنا إلى بعض الباحثين الذين بذلوا جهودا كبيرة في التعريف ببعض هؤلاء الأعلام ومنهم، على سبيل المثال، محمد بن أبي شنب والشيخ أبو القاسم الحفناوي والشيخ المهدي البوعبدلي والمؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابه القيم " تاريخ الجزائر الثقافي"، والباحث يحيى بوعزيز وكتابه الموسوم بـ"أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة" وهو كتاب في جزئين: اهتم في الأول منه بعرض تراجم وسير بعض أعلام المنطقة الشرقية حيث أقيمت ذات يوم الدولة الحمادية من القرن التاسع إلى نهاية القرن العشرين. وفي الجزء الثاني استعرض فيه سير عدد من العلماء الكبار في مدن تلمسان ووهران وتلمسان الذين أنجبتهم عائلات علمية ذات باع في الفكر والثقافة على مستوى العالم العربي الإسلامي كله.

ومن قبل هؤلاء عرّف ابن سعد التلمساني بكثير من العلماء والصلحاء في كتابه: "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر"؛ وعرّف أحمد الغبريني بعلماء بجاية في كتابه: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"؛ وعرّف ابن مريم بعلماء تلمسان في كتابه: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"؛ كما عرّف محمد الحفناوي، الذي سبق ذكره، لكثير من العلماء والصلحاء في كتابه: "تعريف الخلف برجال السلف".

و مع هذه المساعي القيمة التي تهدف إلى التعريف بالتراث وأعلام الفكر الجزائري، كان لا بد من العمل ومواصلة هذه الرسالة العلمية الضرورية من خلال مشروع بحثنا هذا والذي نريد أن نحقق من خلاله هدفين رئيسيين:

الأول: التعريف بأعلام الجزائر بحسب الحقب التاريخية المختلفة مما يقدم لنا تصورا واضحا حول السياق المعرفي والاجتماعي والديني والسياسي والثقافي المواكب للمترجم لهم. والثاني: إبراز إسهامات هؤلاء الأعلام في شتى مجالات الفكر والثقافة وقراءة مصادرها وفق رؤية موضوعية بعيدا عن الطرح "الشوفيني" المغلق.

و عليه تكون الاشكالية التي نود صياغتها و الاشتغال عليها في هذا البحث على النحو التالي: من هم مفكرو الجزائر؟ و ما هي أبرز أعمالهم و اسهاماتهم؟ و كيف نستفيد منهم راهنا في سياق الفكر العربي الاسلامي المعاصر؟، هذا، و بالنظر إلى أن مضامين العمل غزيرة جدا، فقد التمسنا خطة نحاول من خلالها أن نغطي جوانب هذا الاشكال الاساسي في هذه الدراسة، و لذلك سنلجأ إلى تقسيمها إلى مراحل متلاحقة وفق الحقب التاريخية مع انتقاء أبرز النماذج التي كان لها في رأينا تأثير فعال في استمرارية النشاط الفكري الجزائري عبر عصوره المختلفة، و تفصيل ذلك يكون على النحو التالي:

في الفصل الأول، تناول الأستاذ الدكتور، رئيس الفرقة "طالب مناد" مدخلا عاما لدراسة الفكر الجزائري في مبحثين الاول خصصه لمفهوم الثقافة و أصولها و خصائصها، و الثاني ميز بين الطرح الايديولوجي و المقاربة المعرفية .

أما الفصل الثاني، فقد تطرق فيه الدكتور صابري لخميسي إلى أعلام الجزائر في العصر القديم فبدأ أولاً بتحليل السياق المعرفي و التاريخي لهذا العصر، قبل أن يستعرض أربعة نماذج اعتبرها أبرز ما يعبر عن الاتجاهات الكبرى لهذا العصر، و هي على التوالي، يوبا الثاني (25 ق.م) و لوكيوس أبوليوس (125م)، و دوناتوس (355م)، و أخيراً القديس وأغسطين (430م).

أما الفصل الثالث، فقد خصصه الطالب ايكار محمد عيد القادر للفكر الجزائري الوسيط، و كان عليه أن يوضح لنا أولاً السياق المعرفي والتاريخي لهذا العصر، و ثانياً، درس أعلام الجزائر في هذه الفترة المهمة من تاريخنا، وقد اختار بعض النماذج منها على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (1384م)، و الشيخ احمد الونشريسي (1430م)، و عبد الرحمن الأخضرى (1512م) و في الفصل الرابع تطرق الدكتور سامي سنوسي إلى اعلام الجزائر في العصر الحديث و قد أكد في البداية على أهمية إبراز السياق المعرفي و التاريخي قبل أن يقدم لنا بعض النماذج منها حمدان خوجة (1773م)، والأمير عبد القادر الجزائري، (1808م)، ومحمد بن ابي شنب (1929م) وغيرهم.

هذا وبالنظر إلى العدد الكبير لأعلام الفكر الجزائري المعاصر، في مختلف حقول الثقافة فقد تناول لكل من الأستاذ الدكتور مسعود لبيوض و الدكتور سيد أحمد طيبي بعض من النماذج المنتقاة، و هكذا استهل الدكتور طيبي سيد أحمد هذا الفصل بتحليل السياق المعرفي والتاريخي بمختلف محدداته المعروفة عبر التاريخ ثم تناول بعض الشخصيات على سبيل المثال الامام عبد الحميد بن باديس (1940م) و الشيخ محمد البشير الابراهيمي (1965م)، و الشيخ الفضيل الورتيلاني (1959م)، و المفكر مالك بن نبي (1973م)، و الباحث محمد أركون (2010م) و غيرهم.

أما الاستاذ الدكتور لبيوض مسعود، فقد استعرض شخصيات أخرى تنتمي في أغلبها الى الراهن الثقافي الجزائري، منها د/ عمار طالبي د/أبو القاسم سعدالله، د/ عبد الرزاق قسوم، د/محمد حمودة بن ساعي و غيرهم.

و أخيراً، انهينا بحثنا هذا بخاتمة جمعنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها، و البحث في أفق هذا الفكر و تحدياته المستقبلية على مستوى البيئة المحلية، و الظروف الاقليمية والعالمية.

هذا، وقد كان المناسب على أعضاء هذه الفرقة البحثية أن تستفيد من كل المناهج تبعا للوضعية التي يكون فيها الباحث، و عليه بات من الضروري المزج و الاستفادة من مجموعة من المناهج و هي المنهج التاريخي و المنهج التحليل، و منهج المقارنة و المنهج النقدي، و هذا ما تتطلبه طبيعة هذا البحث ونوعية المواضيع المتداولة، هذا و قد اعتمدنا في هذا البحث على الكثير من المصادر و المراجع التي تتطلبها نوعية الشخصيات المدروسة و الموضوعات المتناولة حولها، و على الرغم من بعض الصعوبات التي واجهها أعضاء هذه الفرقة، منها قلة بعض المصادر، و في بعض الاحيان انعدامها، لا أن ظهور مؤلفات جديدة تتضمن مقالات أو دراسات، شكلت دفعا قويا للتدقيق و التمحيص، و من ثم اجتهدنا في تقديم هذا العمل الذي نرجو أن ينال القبول في نهاية المطاف.

# المُلخَص

تهدف هذه الدراسة التي يشغل عليها أعضاء فرقة البحث تحت اشراف الاستاذ الدكتور "طالب مناد" إلى الكشف عن أعلام الفكر الجزائري في عصوره المختلفة، من أجل التعريف بها و بإسهاماتها في مختلف حقول النشاط الثقافي و قراءة مصادرها و الاستفادة منها وفق رؤية موضوعية بعيدا عن الطرح الأيديولوجيين ومن النتائج التي توصلنا إليها في نهاية البحث، أن الفكر الجزائري في مختلف حقبه التاريخية يمثل مشروعا فكريا أصيلا و متميزا، وقد أسس لروح ابداعية تستأهل القراءة النقدية الواعية، من أجل دفعها نحو الابداع في الساحة الفلسفية العربية الراهنة، و في فضاء الفكر العالمي بشكل عام.

### الكلمات الدالة:

الفكر - الثقافة - الجزائر- الامازيغ- الحضارة- الفلسفة- التراث- الانية- الاصاله- الإسلام- المسيحية- دوناتية- الفقه- التصوف.

## الفصل الاول

### مدخل عام لدراسة الفكر الجزائري

الثقافة الجزائرية: مفهومها، أصولها، وخصائصها.

### 1/ مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا.

1. أ/ مفهوم الثقافة في اللغة العربية.

1. ب/ الثقافة في المفهوم الغربي.

1. ج/ الثقافة في المفهوم العربي الإسلامي.

### 2. الثقافة الجزائرية قديما وحديثا: الأصول والخصائص.

2. 1. الثقافات المتعاقبة على الشمال الافريقي (الأمازيغ) قبل الإسلام.

1.2. أ/ الثقافة الاغريقية والفينيقية والرومانية.

1.2. ب/ ظهور الثقافة المسيحية في أوساط أمازيغ الشمال الافريقي.

2.2. أ/ انتشار الثقافة العربية الإسلامية في أوساط الشمال الافريقي.

2.2. ب/ الثقافة الجزائرية في العهد الفرنسي.

### 3. خصائص الثقافة الجزائرية.

## الثقافة الجزائرية: مفهوما، أصولها وخصائصها.

### 1. مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا.

#### 1 - أ / مفهوم الثقافة في اللغة العربية.

عن الثقافة في اللغة العربية، فقد جاء عنها في لسان العرب أن معنى تَقَفَ الشيء حَدَقَهُ.. ورجل تَقَفٌ وَتَقَفٌ وَتَقَفٌ حاذقٌ فهمٌ. وَتَقَفَتِ الشيء إذا ظفرت به، قال تعالى: " فَأَمَّا تَتَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ"٥٧<sup>1</sup>؛ وَتَقَفَ الرجل تَقَافَةً أي صار حاذقاً حفيفاً.. ومنه الْمُتَقَافَةُ. وَتَقَفَ.. أي صار حاذقاً فطنا.. ففي حديث الهجرة: وهو غلام لَقِنٌ تَقَفٌ، أي ذو فطنة وذكاء؛ والمراد أنه ثابت المعرفة بما يُحتاج إليه. وذكر الراغب الأصفهاني في معجمه أن الثقافة هي الحدق في إدراك الشيء وفعله؛ إذ يقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحدق في النظر.<sup>2</sup> وهو المعنى المشار إليه في كثير من آي القرآن التي جاءت في سياق الحرب والقتال<sup>3</sup> وتُحدّد بمعنى الإدراك البصري والظفر بالشيء من ذلك قوله تعالى: " وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ١٩١"٤، وقوله تعالى: " سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوا لَكُمْ وَيَقُولُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ وَيَكْفُرُوا أَيَدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ٩١"٥، وقوله تعالى: " مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَاتَلُوا تَقِيلاً"٦ وغيرها من الآيات، وكذا المخرجات اللغوية للكلمة والتي ذكرت إما في الأحاديث النبوية كالسالف ذكره أو الأشعار العربية القديمة كقول عدي بن الرقاع:

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية 57.

<sup>2</sup> الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص85.

<sup>3</sup> من الملاحظ أن الثقافة بكسر التاء هي من الكلمات التي لها علاقة بقضايا الحرب والقتال، فالثقاف والثقافة تعنيان العمل بالسيف، والثقاف أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل، وثاقفه، مثاقفه، وثقافا: خاصمه وجالده بالسلاح ولاعبه إظهارا للمهارة والحدق. (أنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، استنبول، دار الدعوة، ص98).

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 191.

<sup>5</sup> سورة النساء، الآية 91.

<sup>6</sup> سورة الأحزاب، الآية 61.

فإما تتقفوني فاقتلوني وإن أُنقِفُ فسوف ترون بالي<sup>1</sup>

وهي كلمات جميعها يدور حول معنى الحذاقة والفهم والفتنة والذكاء وتحصيل المعارف والظفر بالشيء لغويا أو حسيا، وجميعها يصلح لأن يُطوّر ليصير في معنى مفهوم الثقافة اصطلاحا خاصة وأن الفعل من الكلمة جاء في القرآن الكريم في صيغة الجمع، ومفعّل بين الجماعتين المتحاربتين والذي قد يُحيل إلى مفهوم الجماعة وتمايزاتها عن سواها بكل مكوناتها المادية والمعنوية.

### 1 - ب/ الثقافة في المفهوم الغربي.

فما جاء عنها في قاموس لالاند أنها "بالمعنى الأضيق والقريب من المعنى المادي، فهي تعني تطور (أو نتيجة تطور) بعض الملكات، ملكات العقل أو الجسد... ونحن عام، تعني ميزة شخص متعلم طوّر ذوقه وحسه النقدي وحكمه بهذا التعلم، أو تربية يترتب عليها توليد هذه الميزة؛ قال (روستان) D.Roustan: "فالمعرفة هي الشرط الضروري للثقافة، لكنها ليست شرطها الكافي...إننا نفكر بميزة العقل خصوصا عندما نلفظ كلمة ثقافة، نفكر بنوعية الحكم والشعور"<sup>2</sup>، بهذا المعنى فهي ثقافة عامة. وبعبارة أخرى هي التربية التي تؤدي إلى اكتساب ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي وحكم صحيح .. ومن شرط الثقافة بهذا المعنى أن تؤدي إلى الملاءمة بين الإنسان والطبيعة، وبينه وبين المجتمع، وبينه وبين القيم الروحية والانسانية.<sup>3</sup> و بهذا فالثقافة، بالمعنى الاصطلاحي، ومن خلال نقلها إلى الفرنسية بمعنى اكتسبته في شكلها الألماني، مرادفة لمعنى حضارة، وتبعا لهذا فهي تعني "مجموع المعارف المكتسبة: تعلم، معرفة. كما تعني مجموع البنى الاجتماعية والدينية...الخ."<sup>4</sup> وينقل جميل صليبا أن " لفظ الثقافة على معنى الحضارة كما في اللغة الألمانية كان له وجهان: وجه ذاتي وهو ثقافة العقل، ووجه موضوعي وهو مجموع العادات،

<sup>1</sup> معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ص169.  
<sup>2</sup> لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، م1، تر: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ص240.

<sup>3</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مادة الثقافة، ص 378.

<sup>4</sup> Dictionnaire Larousse, Librairie Larousse, Paris, 1977, P 278.

والأوضاع الاجتماعية، والآثار الفكرية، والأساليب الفنية والأدبية، والطرق العلمية والتقنية في مجتمع معين، أو هو طريقة حياة الناس وكل ما يملكونه ويتناولونه اجتماعيا لا بيولوجيا.<sup>1</sup>

والمطلع على كتاب "مرآة الإنسان" Mirror for man لـ (كلايد كلوكون)، وعلى وجه التحديد في إحدى فصوله حول المفهوم؛ وفي حوالي سبع وعشرين صفحة، فإنه سيقف، مع (كلوكون)، على مجموعة من التعريفات المتعددة والمختلفة للثقافة والتي جاءت على النحو التالي:

1- أنها "الطريقة الكلية لحياة شعب"، وهو ما يعني أن لكل شعب طريقة حياة تميزه عن غيره من الشعوب، مع أن هذه الطريقة لا تمنع من أن يفتح على غيره من الشعوب لغرض التعارف.

2- أنها "الميراث الاجتماعي الذي يكتسبه الفرد من جماعته". و الملاحظ في هذا التعريف أن الثقافة التي هي الميراث الاجتماعي مصدرها المجتمع، ويكتسبها الفرد ويتلون بها بحكم نشأته داخل ذلك المجتمع.

3- أنها "طريقة تفكير وشعور واعتقاد"، أي أن الثقافة هي تلك المظاهر الاجتماعية المتميزة لشعب ما والناجئة عن طريقته في التفكير والشعور والاعتقاد، وأن لكل شعب طريقة خاصة به، ومنه فكل شعب مطالب أن ينتج منظومته التربوية وفق طريقته ومرجعياته الخاصة به وإلا انحل واضمحل.

4- أنها " تجريد قائم من السلوك"، أي أن الثقافة هي عبارة عن تصورات ذهنية لكل ما يجسده أفراد المجتمع من سلوكيات في حياتهم اليومية: من عادات وتقاليد وطرق في التفكير والاعتقاد وكل ما يميزهم كشعب قائم بذاته.

5- أنها "نظرية يقدمها عالم الأنثروبولوجيا حول الطريقة التي يتصرف بها شعب ما". وهذا تعريف قريب جدا من التعريف السابق مع قليل من التخصيص يتمثل في أن عملية التجريد

<sup>1</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 378، 379.

أو التنظير لسلوك شعب ما إنما يتم وفق دراسة ميدانية هي من اختصاص العالم الأنثروبولوجي خاصة إذا ما علمنا أن لكل شعب سلوك يتميز به عن غيره، وفي هذين التعريفين الأخيرين ربط بين الثقافة والحضارة.

6- أنها " مخزن للمعارف المشتركة "، أي المعارف التي يتقاسمها شعب ما أو يتشاركها فمستودعها "الثقافة"، فهي التي توحدّه وبها يتميز عن سواه من الشعوب، وبها يستمر في الحياة كشعب بين الشعوب.

7- أنها "مجموعة من التوجهات الموحدة المقاييس حيال المشكلات المتكررة"، أي أن الثقافة عبارة عن مجموعة من الضوابط الموجّهة لنمط معين من حياة شعب على جميع المستويات، وتكون مقاييسها موحدة يتشاركها جميع أفراد ذلك الشعب حيال المشكلات التي يواجهها في حياته اليومية.

8- أنها، بكل بساطة، " السلوك المكتسب". وهذا يعني أن الثقافة شيء يكتسب من خلال الممارسات اليومية المتكررة للإنسان، أي أنها عادات وتقاليد وأسلوب حياة يكتسبها الإنسان باستمرار.

9- أنها " آلية للضبط المعياري للسلوك" وهذا التعريف يضبط الثقافة ضبطاً وظيفياً قيمياً إذ بها يعرف ويضبط السلوك القويم من السلوك الفاسد للأفراد داخل مجتمع أي شعب من الشعوب؛ فهي ، كما يقول مالك بن نبي معقبا على تعريف المفكر الأمريكي (رالف لنتون) الذي مفاده أن "الثقافة كلُّ" تتداخل أجزاءه تداخلاً وثيقاً" [يقول]: ففي المستوى الأول يوجد مجال العموميات باعتبارها الأرض التي تمتد فيها جذور الحياة الثقافية للمجتمع، وذلك كالدين واللغة والتقاليد، تلك التي تعد المنوال الأساسي الذي يحدد نوع العقلية الخاصة بالنموذج الاجتماعي، وهو نموذج شائع في صور جميع الأفراد المنتمين لذلك المجتمع يطبع

حياتهم بسلوك اجتماعي معيّن. وهذا السلوك العام هو المقياس الذي يكشف عن المواقف الشاذة والاضطرابات وألوان الفساد لدى الشواذ.<sup>1</sup>

10- الثقافة هي "مجموعة تقنيات تهدف للتأقلم مع البيئة الخارجية ومع الأشخاص الآخرين على حدّ سواء"، أي هي كيفية أو أسلوب حياة يمكن الإنسان من أن يتكيف مع عالمه الخارجي طبيعياً كان أو بشرياً.

11- الثقافة هي "راسب من رواسب التاريخ". أي أنها شيء من عادات وتقاليد واعتقادات.. الخ، يصنعها الإنسان وتتراكم مع مرور الزمن.

وقد عرض الباحث المتخصص في المجال (غيرتز كليفورد) Geertz Clifford في كتابه "تأويل الثقافات" هذه التعاريف جميعها<sup>2</sup>. وبعد أن عرضها، أدرك "ما كان (كلوكون) قد أدركه نفسه، أن النزعة الانتقائية تدمر نفسها بنفسها، وليس ذلك لأنه ليس هناك إلا اتجاه واحد يفيدنا سلوكه، بل لأن هناك الكثير من الاتجاهات وعليه بات من الضروري الاختيار"<sup>3</sup>؛ وكان اختياره قريباً من آخر التعريفات التي عرضها، وكان تعريفه تعريفاً حديثاً، فقال في الثقافة: "إن مفهوم الثقافة الذي اعتنقه (...) هو بالأساس مفهوم سيميائي (semiotic). وأنا مقتنع مع (ماكس فيبر) أن الإنسان هو حيوان عالق في شبكات رمزية، نسجها بنفسه حول نفسه، وبالتالي أنا أنظر إلى الثقافة على أنها هذه الشبكات، وأرى أن تحليلها يجب أن لا يكون علماً تجريبياً يبحث عن قانون، بل علماً تأويلياً يبحث عن معنى".<sup>4</sup> وهذا التعريف للثقافة مطابق تمام المطابقة مع ما آل إليه الفكر الغربي اليوم؛ فهو واضح المعالم وواضح المرجعية، وهذه ملاحظة نحتفظ بها إلى حين.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شهين، ط19، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1437هـ/2016م، ص30.

<sup>2</sup> غيرتز كليفورد، تأويل الثقافات (مقالات مختارة)، ط1، تر: محمد بدوي، مر: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص81-82.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص82.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## 1 - ج/ الثقافة في المفهوم العربي الإسلامي.

وأما عن معناها (الثقافة) الاصطلاحي في العالم العربي الإسلامي، وهذا الذي يهنا أكثر، فإنه يعسر الحديث عن هذا المصطلح لسبب عدم وجود تراكمية معرفية لهذا المفهوم بالرغم من توفر الأرضية الكافية لبنائه نظريا وعمليا. فقد لاحظ أحد الباحثين العرب المسلمين أن " هذا الموضوع هو من أكثر الموضوعات المهملة في الكتابات العربية بوجه خاص. وفيما أعلم - يقول - لا يوجد إلا كتاب واحد يصنف على هذا المجال، وهو كتاب "مشكلة الثقافة" لمالك بن نبي<sup>1</sup>، وباقي الكتابات الأخرى على قلتها وضعفها وعدم تراكمها، لا تقدم رؤية مستقلة لفكرة الثقافة، وإنما تدور في فلك الرؤية الأوروبية للثقافة، ولا تكاد تخرج عن نسقها و مرجعيتها وتاريخها وتراثها باعتبار أن الثقافة هي شأن وإبداع أوروبي، أو أنهم يعطون أنفسهم حق تملك مثل هذا الإبداع، أو أنهم أوهمونا بهذا التملك وانطلى علينا، ومع هذا لا ينكر لهم أنهم هم الذين أثروا هذا الحقل. ومن يقترب من هذا الموضوع يجد نفسه معنيا بكتابات الأوروبيين، فهم الذين كتبوا في المجال وما زالوا يكتبون فيه."<sup>2</sup>

فماذا عن الثقافة عند مالك بن نبي، وماذا عنها عند مفكر "العمران" ابن خلدون بحكم ما للثقافة من ارتباط وطيد بـ "الاجتماع" من جهة، وبحكم ما لاحظته مالك بن نبي نفسه عن مساهمة ابن خلدون في الموضوع حيث يقول: " فإذا ما رجعنا قليلا في هذا البحث لم نجد أثرا لتلك الكلمة في لغة ابن خلدون<sup>3</sup>، الذي يعد على أية حال المرجع الأول لعلم الاجتماع في العصر الوسيط."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> يلاحظ مالك بن نبي أنه إلى عهد ابن خلدون وإلى ما قبل ذلك لم نجد الكلمة مستعملة في العصر الأموي والعباسي، إذ لا أثر لها في اللغة الأدبية أو في اللغة الرسمية والإدارية لذلك العصر... ولم يحدث أن وقفت عين من الأعيان لفائدة عمل أو منظمة من هذا القبيل. (مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط9، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1984، ص20).

<sup>2</sup> زكي الميلاد، المسألة الثقافية (من أجل بناء نظرية في الثقافة)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005، ص6.

<sup>3</sup> يسجل تدارك من قام بمراجعة الكتاب لهذا الخطأ في الهامش على أن كلمة الثقافة قد ذكرها ابن خلدون في مقدمته في صورة مفردة لغوية دون الوقوف عند كلمة "ثقافة" بوصفها مفهوما، وهو ما أكده أيضا الباحث زكي الميلاد في كتابه: المسألة الثقافية.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط9، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1984، ص20.

وعلى عكس ما ذهب إليه مالك بن نبي - إلا إذا أولنا استعماله لـ "كلمة" الثقافة على أن المقصود بها "مفهوم" الثقافة وليس مجرد "الكلمة" فيصح قوله - جاء ذكر كلمة "الثقافة" في مقدمة ابن خلدون في ستة مواطن منها، لكن تعامله مع "الكلمة" لم يعد أن يكون تعاملًا لغويًا وباشتقاقات مختلفة كما عرفها العرب وذكروها في أشعارهم القديمة، وفي معاجمهم، وكما جاءت في سياقات بعض آيات القرآن الكريم؛ فهي لم تخرج عن كونها تعني الحدق والفظن والظفر والتهديب والتقويم والملاعبة بالسيف إظهارًا للمهارة...<sup>1</sup>، وبقيت "الكلمة" بذلك في كمون ولم تعرف طريقها إلى البناء كمفهوم " يعبر عن خبرة اجتماعية ثقافية ويستند على بنية برهانية مركبة، وتتحدّد له هوية يعرف بها، وتكون دالة عليه، ومتلازمة معه. والتحول من "الكلمة" إلى "المفهوم" (...) هو التحول من عالم اللغة وقوانينها إلى عالم الاجتماع و قوانينه."<sup>2</sup> و لعل مرد هذا كله أن نظرية ابن خلدون كانت تدور حول الدولة وليس غير؛ ولو أن "المقدمة" من حيث الموضوعات وليس الغاية لامست الكثير من موضوعات "الثقافة".

أما مالك بن نبي، في كتابه مشكلة الثقافة، فهو يسلم ابتداءً " أن فكرة الثقافة...فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا، والكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقريّة الأوروبية. فمفهوم الثقافة ثمرة من ثمار عصر النهضة، عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن وفي الأدب وفي الفكر."<sup>3</sup> وبعد أن عرض جملتين من التعاريف إحداها غربي - أمريكي، والثانية ذات بعد ماركسي، خلص إلى أن ثمة عنصر ضمني مكمل للتعريفات تمثل في النطاق التاريخي الذي هو نطاق الحضارة الغربية بالنسبة للجملة الأولى ( الثقافة كل تتداخل أجزاءه تتداخل وثيقًا.. ) ، وفي النطاق الأيديولوجي الذي هو نطاق الفكر الماركسي بالنسبة للجملة الثانية (إن كل ثقافة معيّنة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين)، رأى، وعلى الرغم ما في هذه الآراء المختلفة من إشارات ثمينة، أنه إذا ما تعلق الأمر بالعالم العربي الإسلامي

<sup>1</sup> أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م، ص 299، 302، 440، 448، 456، 766.

<sup>2</sup> زكي الميلاد، المسألة الثقافية، ص13، 14.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص25.

نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن من المخاطرة أن نقبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا لأي مشكلة تواجهنا لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها وتختلف اتجاهاتها وأهدافها.<sup>1</sup>

كما لاحظ مالك بن نبي أن سؤال (ما الثقافة؟) عند التوجّهين الغربي والماركسي متصل لديهما بفهم واقع اجتماعي معيّن موجود بالفعل في نطاق تاريخي معين، أو موجود في حيّز القوة في نطاق فكري معيّن أيضا. أما في العالم العربي والإسلامي فهو متصل بخلق واقع اجتماعي معيّن لم يوجد بعد. ومن هنا فتعريفنا للثقافة لا يكون من زاوية نظرية فحسب بل من الضروري أن تتضاف إليها وجهة النظر العملية أو التربوية.<sup>2</sup>

وعطفا على هذا، وبناء على أن الثقافة ليست هي العلم لأن التماثل والاختلاف في السلوك هو من سمة الثقافة وليس العلم، ذلك " أن السلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعم من المعرفة، وأوثق صلة بالشخصية منها بجمع المعلومات، وهذه هي الثقافة"<sup>3</sup>، وعليه يعرف الثقافة تعريفا شاملا وعمليا كما يراه فيقول: (الثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه)...فهي [كمفهوم] المحيط الذي يعكس حضارة معينة...وهذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعا في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية، عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات.<sup>4</sup>

والمتفحص لهذه التعاريف المقدمة حول الثقافة، سيلاحظ أنها جاءت مختلفة ومتباينة؛ ومرد ذلك، وهو ما لا يختلف فيه اثنان، إلى تباين في المرجعيات المؤسس لهذه التعاريف. فكل معرّف نظر إلى الثقافة من زاوية مغايرة. فمنهم من اعتمد على البعد التاريخي في ضبطه للتعريف، ومنهم من اعتمد على نوع من الأيديولوجيات الوضعية، ومنهم من اعتمد

<sup>1</sup> أنظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص30 وما بعدها.

<sup>2</sup> أنظر المصدر نفسه، ص38، 40.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص74.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص74.

على الدين كمنتج للثقافة، وأن ما أجمعت عليه التعاريف أن الثقافة مرآة الشعوب، وهي الهوية التي تتعارف بها الشعوب وتتمايز.. بهذا فالثقافة منتج ينضبط بمرجعياته ويتنوع بتنوعها، وبها تنطبع الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم، وبها تبرز وتتميز. فهي الطريقة الكلية لحياة شعب كما في التعريف الأول المقدم آنفا، أو هي الطريقة التي يتصرف بها شعب ما، أو مجموعة من التوجهات الموحدّة المقاييس حيال المشكلات المتكررة في تعاريف أخرى، أو مجموعة تقنيات تهدف للتأقلم مع البيئة الخارجية ومع الأشخاص الآخرين على حدّ سواء.. والملفت للانتباه في هذه التعاريف، كما قلنا، أن تمايزها ليس في كونها مجرد منتج فكري متميز بل في مرجعية انتاجها.. فقراءتها تتحدد في ضوء مرجعيتها.

ولهذا وجدنا مالك بن نبي يحد لنا تعريفاً قد يجمع ، من حيث الصورة، بين النظرة التاريخية الغربية - الأمريكية من حيث اهتمامها بالإنسان والنظرة الماركسية من حيث اهتمامها بالمجتمع، طبعاً مع مراعاة الفوارق التاريخية والقيم الاجتماعية، ليظهرها (أي الثقافة) في تلك الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد وترتبط سلوكه بكيفية لا شعورية بأسلوب الحياة المنضبط بالوسط الذي ولد فيه، هذا الوسط وهذا الكيان الواحد الذي تكوّن نتيجة عملية التركيب التي يحدثها الدين، أو، كما يقول ابن نبي، الشرارة الروحية عندما يؤذن فجر إحدى الحضرات. وهو بهذا يؤسسها على مرجعية دينية عموماً وإسلامية خصوصاً مما يجعل قراءتنا للتعريف المقدم من طرفه قراءة مغايرة بلا ريب للتعريفات الأخرى المقدمة.. وظاهرٌ هذا مما يعطيه مالك بن نبي من أهمية للدين كمركب في بعته لهذه الثقافة خصوصاً والحضارة عموماً - وهو أمر ثبت تاريخياً وليس أيديولوجياً - والتأسيس لها وتوجيهها الوجهة الأخلاقية المعيارية التي بها يُعرف الخلق الشاذ والمفسد في المجتمع أو الأمة الواحدة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أنظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص30.

وقد لاحظ أحد الباحثين الغربيين وهو توماس إليوت أنه " لم تظهر ثقافة ولا نمت إلا بجانب دين. ومن هنا تبدو الثقافة نتيجة من نتائج الدين، أو الدين نتيجة من الثقافة، طبقاً لوجهة الناظر.<sup>1</sup> " ويقدم لنا مثالا على ذلك المسيحية والثقافة الأوروبية.

أما الإسلام، فلا أحد ينكر أنه غير وجه الجزيرة العربية، وصنع فيها ثقافة جديدة متميزة غيرت وجه المنطقة وأخرجتها من كونها أمة منسية إلى أمة فاعلة، فكانت لها ثقافة عدت من الثقافات الإنسانية العالمية الكبرى أمدت غيرها من الشعوب والعقل البشري عموماً بجملة من المعارف والقيم الأخلاقية؛ وعطفاً على هذا يمكن أن نقرر مع أحد الباحثين الجادّين، ومن دون أدنى شك، أن " في الإسلام، الدين هو الذي صنع الثقافة، واتحدت العلاقة بين الثقافة والدين مع أول آية نزلت مع القرآن الكريم، وهي آية " اقرأ". وهذه الملاحظة ثرية من حيث مجالها الدلالي، وتحتاج إلى تأملات غير متناهية، فالدين الذي يبدأ بآية "اقرأ" هو دين قادر على أن يصنع ثقافة، ويكون أمة ويصنع حضارة. ومن دلالات هذه الآية أيضاً أن الدين ليس بديلاً عن الثقافة، والدعوة إلى القراءة، هي دعوة موجهة إلى الإنسان في أن ينهض بجهد البشري نحو اكتساب العلوم والمعارف والخبرات، وكل ما يتصل بعلاقته بالكون، فالآية حددت مجال القراءة على مستوى الكون، بكل ما فيه من موجودات مخلوقة، قال تعالى: " **أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ١"<sup>2</sup>، مع تأكيد الاهتمام في النظر إلى الإنسان، وما يتصل به من علوم ومعارف، وهذا نوع من التخصيص " **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ٢"<sup>3</sup>. ولا ينبغي أن تتفصل الثقافة عن الدين [ أي وليست الثقافة خارجة عن مجاله] " **أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ٤"<sup>4</sup>؛ ثم يضيف هذا الباحث ملاحظة جدّ هامة فيقول: " وبعد مرحلة الخلق هذه (...). تبدأ مرحلة العلم. ولعل في هذه الملاحظة أولى المفاهيم المرتبطة بفكرة الثقافة، والتي تربط الثقافة بالطبيعة الإنسانية. بمعنى أن الحكمة الأولى للثقافة هي أن تتعهد الطبيعة الإنسانية بالتهذيب

<sup>1</sup> توماس إليوت، نحو تعريف الثقافة، ترجمة شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص21.

<sup>2</sup> سورة العلق، الآية1.

<sup>3</sup> سورة العلق، الآية2.

<sup>4</sup> سورة العلق، الآيات 3،4،5.

<sup>5</sup> زكي الميلاد، المسألة الثقافية، ص117،118.

والتكوين والتخليق لإظهار إنسانية الإنسان.<sup>1</sup> هذا إلى جانب آيات قرآنية أخرى كثيرة التأمل فيها يجعلك تؤسس بلا ريب لمفهوم إسلامي أصيل للثقافة خصوصا والحضارة عموما.

وفي هذا، مما لا شك فيه، ما يدل على تميز الثقافات وخصوصياتها، وأن الأفراد والمجتمعات البشرية والشعوب والأمم تنطبع وتتلون بانطباعاتها وتلوناتها، وأن بقاءها من بقاء هذه الثقافات، وزوالها من زوال هذه الثقافات أيضا، وأن ثقافتنا ثقافة إسلامية بامتياز وزوالها زوالنا، وبقاؤها بقاؤنا.<sup>2</sup> وأقل دليل على ذلك أنها هي التي قاومت الوجود الاستدماري الفرنسي في بلادنا لما يزيد عن قرن وربع القرن ومنعت زوال هذه الأمة الجزائرية وأبقتها متميزة كأمة عربية إسلامية رغم محاولات التنصير التي لم تتوقف يوما.

## 2 . الثقافة الجزائرية، قديما وحديثا: الأصول والخصائص.

لا شك أن الثقافة الجزائرية تحدها مرجعيتها ككل الثقافات في العالم. ولما كان تاريخ الجزائر قد مرّ بمراحل، فإن هذه المراحل كان لها أثرها على هذه الأمة الجزائرية إلا أن أهمها وأكثرها تأثيرا الثقافة الأمازيغية العربية الإسلامية وذلك لعدة اعتبارات.

إن ساكني الشمال الإفريقي هم الأمازيغ بمختلف أنواعهم كالقبائل والشاوية والطوارق وغيرهم من الأمازيغ، وعرفوا في كتب التاريخ أيضا بالبربر؛ وقد تعاقبتهم ثقافات وديانات متنوعة كان لها أثرها على هذه الشعوب الأمازيغية وبنسب متفاوتة. فقديما، يقول مبارك بن محمد الميلي: " البربر الذين عمروا هذا الوطن منذ دهور لا يعلم مبتدأها إلا العليم الخبير واستقروا به حتى عرف بهم ونسب إليهم. [ وقد سادتهم قديما دول احتلال وتعاقبت فيهم] وهي: دولة الفينيقيين ودولة الرومان ودولة الفندال ودولة الروم."<sup>3</sup> أما " الجزائر [فكانت] اسما لمدينة عظيمة على البحر الرومي، تعرف قبل مجيء العرب باسم اقسيوم ICOSIUM. ولم تكن تطلق على وطن مترامي الأطراف إلا منذ العصر العثماني حيث اتخذ العثمانيون هذه المدينة عاصمة لمملكة ذات حدود مقررة فاشتق اسم الوطن من اسم عاصمة دولته الجزائر.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص118.

<sup>2</sup> أنظر: مناد طالب، الأمن الثقافي ضرورة وجودية، ضمن: إشكالية الأمن الثقافي في الجزائر، إشراف د.محمد غازي، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2021، ص13 إلى 26.

<sup>3</sup> الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص41.

هذا المعنى الحديث جزء من وطن كبير عرف من قبل مجيء الفينيقيين باسم ليبيا وهو عبارة عن طرابلس وتونس والجزائر ومراكش. (...) ثم انسلخت الجزائر وما ولاها غربا من هذا الاسم.<sup>1</sup>

ويضيف محمد بن مبارك الملي، فيقول: "إن المغرب بجميع أقسامه . أو إفريقيا الشمالية . منفصل عن بقية إفريقيا بصحار يتعذر سلوك بعضها ويتعسر سلوك بعض آخر؛ لذلك ضعفت الروابط بينه وبين بقية أقسام القارة حتى كاد لا يعدّ منها، وهو يكون وحده جغرافية وجنسية ودينية وتاريخية: فإن هواه واحد وطبيعة أرضه واحدة؛ وسكانه من قديم الجنس البربري؛ وديانته . قديما . الوثنية ثم جاءت المسيحية فكادت تعم عليه [ لأن المسيحية استوطنت المدن دون الأرياف] ثم جاء الإسلام فلم يدع قلبا إلا فتحه واستقر به الاستقرار النهائي."<sup>2</sup>

ثم إن الشمال الإفريقي عموما تدل الآثار والحفريات، من حيث الارتباط، أنه أقرب إلى الشرق من حيث مدنيته إلى الغرب بل قد يكون هو المؤثر في مدينة هذا الغرب وخاصة جنوبه من جهة اعتبار الحفريات في المواطنين معا؛ يقول بن محمد الملي: "من تأمل الآثار الجزائرية . وسائر إفريقيا الشمالية . وأمعن النظر فيها، ألقى أن مدنية هذا الوطن كانت شديدة التأثير من ناحية الشرق قليلته من جهة الغرب. بل قد تكون مدينة هذا الوطن هي التي أثرت في مدنيات جنوب أوروبا وغربها حسب البحث السابق [الموافق لمذهب ابن خلدون المؤيد بالحفريات]."

والقضايا التاريخية ناطقة بانسراح صدور الإفريقيين عموما للحضارات الشرقية وسرعة تأثرهم بها، ومحاربة المدنيات الغربية وتقززهم منها. وقد يعثر الباحث في بطون التاريخ على جزئيات لا تؤيد هذا الحكم ولكنها نادرة لا تقوى على مضادته أو نقضه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 45.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 46.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 73.

وقدماء شعوب الجزائر عرفوا مراحل تاريخية أثبتتها الآثار والحفريات: فمن العصر الحجري إلى العصر الوثني الذي تمثل في عبادة الشمس والقمر وعبادة بعض الحيوانات منها القرد والثور والكبش والتمثال الذي وجد في جبل بني راشد يدعى "أتون" كانوا يتخذونه إلهاً وهو صورة تيس على رأسه دائرة الشمس، وكذا تعظيمهم لبعض العيون والأشجار وكهوف الجبال؛ وهذا النوع من العبادة يكون قد أتى على إثر دين من الأديان تم تحريفه لهوى في النفس؛ يقول تعالى: "وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"<sup>1</sup>؛ وكان تفكيرهم يتمشى ونوع عبادتهم هذه.

أما أمة البربر<sup>3</sup> التي هي من أقدم الأمم وأشهر أجيالها، والتي حاربت بني إسرائيل بالشام، جاءت إلى وطن افريقية والمغرب، من بعد عصره الحجري، واستوطنته، فهي: معروفة بعز الجانب واباية الضم والدفاع عن الشرف (...). وكانت ذات كثرة ومنعة فملاّت وهاد المغرب ونجاده، وأعفت ذكر الأمة التي سبقتها إليه. ثم كانت لها مواقف مع الدول العظمى ذات المطامع في وطنها. هاجر إليهم الفينيقيون جيرانهم بالشام إلى وطن البربر ونزلوا عليهم ضيوفاً كراماً فأكرمهم. وعاشت الأمتان في وئام قرناً<sup>4</sup> ولكن " في الأخير تمشت حيل أوروبا بين البربر وانطلت عليهم دسائسها فعضدوا الرومان في حروب قرطاجنة طمعا في الاستقلال بحكم وطنهم واسترداد ما أخذته منهم قرطاجنة معلمتهم الحياة والنظام. (...). ولما انكشف لهم الحجاب عن مقاصد الرومان اخذوا يحاربونهم، ولم يجن الرومان من تعنتهم في محاربة البربر غير الاستلاء على بعض مدنهم وما حولها من البسائط على طول المدة وكمال العدة."<sup>5</sup> ولعل هذا ما يفسر انتشار المسيحية في المدن دون الأرياف فضلاً عن محاربة البربر لهم.

ثم إن حروبها هذه " لم تكن بمانعتها عن مجارة الأمم الأخرى في الحضارة والرقي والتخلق بالأخلاق الجليلة والخلال النبيلة، فقد عرف التاريخ لها حضارة عظيمة ومدنية

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية 24.

<sup>2</sup> أنظر: الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 75.

<sup>3</sup> بالرغم من اختلاف الروايات عن أصل البربر إلا أن الصحيح من هذه الروايات كلها أنهم حاميون من مازيغ بن كنعان ابن حام، وهذا الذي صحح ابن خلدون قائلاً: "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح (...). وأن اسم أبيهم مازيغ"؛ وبهذا يعرفون بالأمازيغ، وقد دَعَم هذا المذهب باحثون معاصرون. / أنظر: المرجع نفسه، ص 89.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 80.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 80.

مثلى، وظهر منها علماء حكماء وعظماء خبراء في الدين والسياسة والعمران قبل الإسلام وبعده.<sup>1</sup>

## 1.2- الثقافات المتعاقبة على الشمال الإفريقي (الأمازيغ) قبل الإسلام.

### 1.2. أ/ الثقافة الاغريقية والفينيقية والرومانية.

لقد تبين لنا، من خلال ما سبق كيف أن ثقافة قدماء الشمال الإفريقي (العصر الحجري) كانت وثنية بدليل الحفريات وأنها كانت شبيهة بثقافة المصريين. وبعد مجيء الأمازيغ من المشرق إلى شمال إفريقيا واستوطنوها، فقد وقعوا فيما يقرب من هذه الوثنية؛ ثم لحق بهم الفينيقيون الذين جاؤروهم من قبل في منطقة الشام فأكرموا نزلهم وأقاموا معاً دولة لقرون مضت كما وقعت مهاجرات إلى هذا الوطن في أوقات مختلفة ومن أجناس مختلفة، منهم الفرس والعرب اليمينيون ومنهم العبريون وآخرون وكلهم مشاركة، فضلاً عن الحروب التي قادها الأمازيغ ضد كل من الفينيقيين بتحريض من الرومان ثم مع الرومان أنفسهم لما تبين لهم كيدهم، إلا أن الأمازيغ رغم كل ذلك بقوا أمة مستقلة بل أذابوا كل من التحق بهم؛ ولهذا قال (مرسيي): "البربر تأثروا بعدة أمم نزلت بوطنهم أو استولت عليهم ولكنهم بقوا بربراً. وقال بيروني: إن الوطن البربري جمع أما مختلفة ولكنها اصطبغت جميعاً بصبغة بربرية."<sup>2</sup>

ولا جرم أن الأمازيغ قد "تأثروا بمجاورة الاغريق أولاً ثم بمعاشرة الفينيقيين. وكانوا أسبق من الرومان إلى الاقتباس من حضارتي هاتين الأمتين"<sup>3</sup> سواء أكان ذلك في الملبس والمسكن أو في الصناعة أو في الفلاحة أو في الفكر، مع حفاظهم على هويتهم الثقافية في هذه جميعها، وكانوا بارعين في الفروسية؛ وقد اتفق "ممن وقفنا على كلامهم من المؤرخين أن البربر لم يتعلموا الغرسة إلا من الفينيقيين. أما الفلاحة واستخراج المعادن فقد قال أغسال: إن البربر تعلموها من قدماء المصريين وسكان جزر البحر الأبيض المتوسط. كانوا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 81.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 90، 91.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 110، 111.

أولا يقتنون مصنوعات هذه الأمم ويستوردونها ثم تولوا صناعتها بأنفسهم.<sup>1</sup> وقد عاش الأمازيغ في وطنهم متنعمين لخصوبة أراضيهم ولم ينغص عيشتهم شيء إلى أن " ألجأتهم حروب قرطاجنة مع رومه<sup>2</sup> إلى تجنم مرارات النظام الدولي (...). فضخموا ملكهم ووجدوا أمارتهم كي يحفظوا وطنهم من عاديات عشاق الزعامة العامة والسيادة السامة. وكان منهم إذ ذاك ملوك.<sup>3</sup>

وأما عن لغة البربر فيسمونها " (تمازيغت) ولهم لهجات مختلفة، وهي " حامية الأصل مشوبة بعدة ألفاظ من الفينيقية وغيرها من لغات الأمم التي جاورتهم أو استولت عليهم (..) وكان لها أدبها وبلاغتها وألفت بها التأليف العلمية قبل الإسلام وبعده.<sup>4</sup>

وأما عن ديانتهم فهي الأخرى كانت مزيجا " مركبة من عدة ديانات؛ ومنها ما يشبه ديانة قدماء المصريين؛ ومنها ما أخذوه من الفينيقيين؛ ومنها ما نقلوه عن الرومان وكلها ديانات وثنية. ومع انفعال البربر بديانات الأمم المجاورة لهم فهم يحافظون على روح عقائدهم الأولى ولا يرفضون منها إلا قليلا. ولا يعرف التاريخ دينا غير العقائد وابتعد بها عن الوثنية واعتمد على العقل مثل الدين الإسلامي.<sup>5</sup> غير أن ابن خلدون أشار إلى أن بعض الأمازيغ كانت تدين باليهودية التي جاء بها اليهود مع الفينيقيين وكان ذلك قبل الفتح الإسلامي، وربما بقي بعضهم على دينهم هذا.

وقد تتاغم الامازيغ مع الفينيقيين ثقافيا لدرجة أن تألف منهم جيل عرف بالبونيقين القرطاجيين، وقد ساعد على ذلك:

- تصاهر الأمازيغ مع البونيقين القرطاجيين ، تزوجوا من بناتهم وزوجوهم بناتهم.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 115.

<sup>2</sup> مع العلم أن الفينيقيين قد عاشوا إلى جانب البربر آمنين ومتعاضدين خاصة وأن الفينيقيين لم يكووا مستعمرين بل تجار بارعون " وليس لقرطاجنة حروب مذكورة مع البربر إلا ما كان من ثورة الجند والانتصار لأعدائها الرومان. وقد ينقسمون إلى مناصر لها ونصير لأعدائها" أنظر: المرجع نفسه، ص 146.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 117.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 118، 119.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 123.

- كان الفينيقيون القرطاجنيون أناسا ساميين لم تكن لهم أطماع استعمارية بل كانوا تجارا مسالمين عاونوا على رفاهية وتعليم الأمازيغ.

- وكان النوميديون هم من أعان حنبعل في انتصاراته في أوروبا؛ وكان لهم الفضل في انتصاراته الباهرة.

- وكانت لهم مع أمراء البربر معاهدات معونة بينهم.

ولهذه جميعها: مصاهرة، معاهدة، ودفاع مشترك فعل التأثير فعلته؛ وكان البربر تلاميذ الفينيقيين القرطاجنيين في العمران والحضارة والفلاحة والصناعة والتشييد والبناء. حتى أن الرومان لما صاروا يملكون وينشرون حضارتهم لم يفهم ذلك البربر إلا أنها حضارة قرطاجنة. ولم يزل ذلك من أفكارهم إلا الفتح العربي. فكان عمر هذه الحضارة 17 قرنا.<sup>1</sup>

وتأثروا بلغتهم ومالوا إلى خطهم وصارت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة على عهد ماسينييسا ومن بعده، وظهر ذلك على نقودهم وأسماء مدنهم وحتى أسماء أبنائهم. وطال أمد هذه اللغة وامتزجت بالبربرية إلى أن جاءت أختها لغة القرآن فحلت محلها.<sup>2</sup>

**وسر ذلك (التأثير) أن البربر يأنفون ممن يعيبث باستقلالهم ويتذرع إلى ذلك بوسائل الخداع السياسي والنفاق الاستعماري. وإذا أنفوا من أمة هذه خلالها رفضوا مدنيّتها وهجروا أخلاقها وعقائدها. والفينيقيون كالعرب من الجنس السامي جنس الصراحة الصادقة والكلمة الثابتة. فلذلك أثروا في البربر ذلك التأثير ونفذوا إلى قلوبهم فغيّروا من أخلاقهم وعوائدهم ولغتهم وعقائدهم.<sup>3</sup> ولولا العصر الإسلامي لدام هذا التأثير ربما إلى اليوم. !!**

- كما تلاقت دياناتهم وتكيفت مع بعضها البعض؛ ولم تنزل ديانة الفينيقيين التي أدمجها البربر مع دياناتهم حتى جاءت وثنية الرومان فتعاشر الثلاث ثم ظهر الدين المسيحي فتدثر

<sup>1</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 165

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 167، 166.

<sup>3</sup> أنظر: المرجع نفسه ص 169.

به جانب من البربر مستبطننا لوثنيته الملققة من الوثنيات الثلاث وبقي أكثرهم وثنيا صريحا حتى جاء الدين الإسلامي على أيدي فاتحي افريقية من العرب ففضى على الجميع.<sup>1</sup>

وللأمازيغ تاريخ ثقافي كبير شهدت له الحفريات والمؤرخون؛ " وقد كان منهم قبل اليوم عظماء في العلوم والمعارف. منهم يوغورطة<sup>2</sup> (Jugurtha 160 ق.م - 104 ق.م) الموجود قبل الميلاد، أبدى في كفاحه للرومان مقدرة فائقة في الحرب والسياسة، ومنهم يوبا الثاني<sup>3</sup> (Juba II 52 ق.م - 23م) الموجود قبيل الميلاد، كان من أعظم الفلاسفة وأمهر المؤلفين، أخذ أسيرا إلى روما، بعد وفاة أو انتحار أبيه، وعمره لا يتعدى خمس سنوات وربي في البلاط الإمبراطوري على حب روما، ، ونصب بعدها ملكا على نوميديا، وكان عند بعض المؤرخين متشيعا للإغريق في العلوم والحضارة، وللرومان في الحكم والسياسة ورأوا بذلك أنه كان عديم الغيرة الوطنية والاحساس القومي.<sup>4</sup> وعند آخرين بالرغم من ذلك فلم يكن يأتزر بأمر روما في المحافل السياسية بل كملك لنوميديا، وكانت العملة التي صكها تحمل صورته واسمه وليس غيرها، وأن انتماءه إلى روما لم يكن إلا اسميا، وكان بحق " من أعلم الملوك الأفارقة في الزمان القديم وأوسعهم دراية ومعرفة للفنون المعروفة آنذاك. [وشاهد حوادث كثيرة وعظيمة منها ] تحويل الجمهورية الرومانية إلى الإمبراطورية القيصرية (...). وبعث في عصره عيسى بن مريم عليه السلام برسالته الربانية.<sup>5</sup> ومنهم القديس أوغسطين<sup>6</sup>

<sup>1</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص160، 168.

<sup>2</sup> كان يوغرطا ملكا على نوميديا، ولد بسيرتا عاصمة نوميديا، فسنطينة حاليا سنة 160 ق.م وتوفي سنة 104 ق.م، وكان فارسا شجاعا، قاد أحد أشهر الحروب ضد الغزاة الرومانيين في عهد الجمهورية الرومانية التي تأسست بعد انهيار المملكة الرومانية وامتدت من 509 ق.م حتى قيام الإمبراطورية الرومانية عام 27 ق.م.

<sup>3</sup> يوبا الثاني أحد مماليك الأمازيغ (ولد في 52 ق.م وتوفي 23م)، ابن يوبا الأول ملك نوميديا، ولد بهيبون عنابة حاليا حوالي 52 ق.م وتوفي حوالي 23م. امتدت مملكته من وسط الجزائر إلى غاية المحيط الأطلسي، وجنوبا إلى جبال الأطلس. كان يوبا الثاني رجلا مثقفا تلقى العلوم والفنون في مدارس روما وأثينا لما هُزم أبوه وانتحر أخذ أسيرا إلى روما وهو لا يتجاوز السن الخامسة، ونظرا لإخلاصه للإمبراطور الروماني أجلسه على عرش موريتانيا (نومديا الجزائر حاليا). وكان يتقن عدة لغات، شجع على الفنون والعلوم والآداب، فازدهرت في عهده فكان عصره في كذا جانب ذهيبا كما يذكر المؤرخون

<sup>4</sup> أنظر: الميلبي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص225.

<sup>5</sup> أنظر: عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباترة سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 3، 4.

<sup>6</sup> أوغسطين أو أوغسطينوس، كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي - لاتيني، ولد ب طاغاست، المسماة سوق أهراس حاليا، أعده الكثير من الباحثين أنه أحد الشخصيات الهامة التي أثرت في تكوين المسيحية الغربية في مقابل المسيحية الشرقية، وبذلك كان أحد آباء الكنيسة البارزين في عهده. وعدّه البروتستانت الكلفانيون أحد المنايع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتية حول النعمة والخلص. وتعدّه بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأورثوذكسية قديسا؛ من

(354 S. Augustin - 430م) الموجود في عصر الانحطاط الروماني، كان نادرة الوجود علما وفصاحة وتقوى وإخلاصا وتفانيا في خدمة دينه وجنسه، وغير هؤلاء كثير قبل الإسلام منهم من قصهم علينا التاريخ ومنهم من لم يقصصهم علينا.<sup>1</sup>

## 2-1- ب/ ظهور الثقافة المسيحية في أوساط أمازيغ الشمال الإفريقي.

في سنة 42م بعد قتل بطليموس ألحقت موريطانية برومة نهائيا. وبذلك تم للرومان الاستلاء على الوطن الجزائري الذي شرعوا في تحقيقه منذ سنة 46 ق. م ، فكانت مدة سير استلائهم ثمانية وثمانين سنة. هذا، ولوحظ أن أكثر البربر الساكنين بالجبال لم يخضعوا لرومة؛ أي أن الرومان لم يستولوا حقيقيا على كل الوطن الجزائري رغم امتداد أيامهم به.<sup>2</sup> ولم يتم لهم ذلك إلا بسياسة الخبث وبإعانة من بعض الخونة من البربر.

وكان نظام جمهورية المدن الخمس<sup>3</sup> السياسي والديني مستقلا عن روما إذ كانت علاقة هذه الجمهورية مع امبراطورية رومة أشبه شيء بعلاقة الحامي مع المحتمي بأشرف معنى للحماية. ولحسن هذا النظام ترقى الوطن ترقيا عظيما وارتفع شأنه في الحضارة والعمران. وتقدمت العلوم والفنون والآداب. وكان هذا إلى أن انحل اتحاد المدن هذه في القرن الثالث الميلادي وبتدخل قياصرة رومة نفسها خوفا من عظمتها. وكان بقرطة (سيرتا) كنيسة عظيمة للمسيحيين تخرج منها قسوس كثيرون منهم دونتوس الذي أحدث في المسيحية مذهبا نسب إليه وضاد به الكنيسة الكاثوليكية وفاز عليها في جميع التراب الجزائري.

وفي سنة 400م تقريبا بلغ تعداد الرومان في الشمال الإفريقي نحو مليونين ونصف. وإذ نقول إن حظ الجزائر من ذلك الإحصاء قليل، وهو بعمالة قسنطينة أكثر منه بعمالتي الجزائر ووهران.<sup>4</sup>

---

أهم مؤلفات القديس أوغسطين : الاعترافات/ مدينة الله/ من الثالث. (Les confessions/ La cité de Dieu/ De la trinité)

<sup>1</sup> الميلبي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 96.

<sup>2</sup> أنظر: الميلبي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 255.

<sup>3</sup> مدن بلغت من الرقي والتقدم مبلغا كبيرا ( 98م - 117م) وتوحدت فيما بينها وهي: ميلوم (ميلة) ، وروسقاد (سكيكدة)، وشولوا (القل)، وكويكوم (جميلة). (أنظر: الميلبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 264).

<sup>4</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 270-273 .

وأما عن الحياة البربرية فيها تختلف درجة سعادتها ودركة شقاوتها على نسبة النفوذ الامبراطوري: فالجهات التي يضعف فيها هذا النفوذ أو ينعدم تكون سعيدة، والجهات التي يتمكن منها تكون حياة البربر بها حياة العبيد. ومن نجى من عبوديتهم أثقلوه بالضرائب. وأما تجنده منهم فتقله إلى خارج افريقية. وهذا عكس ما وقع في سنة 193م وفي سنة 216م لما تولى القيصرية رجل بر بري الأصل وخلفه ابنه بعد موته حيث تحسنت أحوال البربر كثيرا. والإساءة من الرومان كانت منهم أكثر فكانت بينهم الثورات والحروب.<sup>1</sup>

وجود الرومان في افريقية لم يؤثر على البربر في اللغة والآدب مثل تأثير القرطاجيين؛ قال بيروني. " وفي أيام القديس أوغسطين . بعد الاستلاء الروماني بقرون . كان الولاة الاداريون والرؤساء الدينيون يحتاجون إلى ترجمان بينهم وبين البربر البادين. وكانت اللغة الفينيقية لغة الأكثرية البربرية. حتى أن العظماء الذين تخلقوا بالأحلاق الرومانية كانوا يتكلمون بها." وهذا لقصدهم الاستعماري، والذين تعلموا الليطينية صبغوها بصبغة وطنهم وغيروها عن أصلها.<sup>2</sup>

أما عن ديانات البربر والفينيقيين والرومان فقد بقيت متجانسة لتسامح الرومان في أمرها إلى ان ظهرت الديانة المسيحية فتضادت معها. وكان تأسيس الكنيسة المسيحية بقرطاجنة يوم أن تأسست برومة، واختلف حول إذا ما كانت على يد أحد الحواريين أو على يد غيرهم. وقد قتل الرومان . لأسباب سياسية فيما يبدو . الكثير ممن تمسحوا ، وكان ذلك في حدود سنة 303م، وسمي ذلك العصر بعصر الشهداء. وبقيت العلاقة بينهما على هذه الحال وحدث بين رؤساء الكنيسة اختلافات إلى أن ظهر الإمبراطور قسطنطين فأحسن إلى الكنيسة ومنحها الحرية ثم تمسح هو نفسه في القرن الرابع للميلاد 400م، عندئذ ارتفع عنها الاضطهاد وقل الخلاف إلى حين حيث تجددت الصراعات بين حزبي الكنيسة الأرثوذكس والأسقف دونتوس بقرطاجنة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 277-281.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 292.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 293، 297، 298.

واقبال البربر على المذهب الدونتوسي كان أكثر لأن رؤساءه يعدون ثوارا ضد الحكومة الرومانية وهو ما يحقق لهم مرادهم؛ وقد قال مؤرخ المسيحية بافريقية الأب مسناج: "لما عجز البربر عن طرد الرومان من وطنهم اكتفوا بإظهار الكراهية لهم. فامتنعوا من لغتهم ومذهبهم. فإن شعبا لا يتعلم لغة المستولي عليه يعد تائرا خصوصا إذا أضاف إلى ذلك مخالفته له في المعتقد. ويقول بعض المؤرخين: إن البربر ما دخلوا أولا في المسيحية إلا لكون الرومان وثنيين. فلما أقبل الرومانيون عليها خالفهم البربر وأسسوا لأنفسهم مذهباً جديداً."<sup>1</sup>

ومن الصراعات المذهبية ما حدث بين أريوس وأستاذه ماربطرس بطرك الإسكندرية في عهد قسطنطين، وكان كثير المخالفة له، ونقل عنه ابن خلدون أنه " كان يذهب إلى حدوث الابن عيسى عليه السلام، وأنه إنما خلق الخلق بتفويض الأب إليه في ذلك" وهو مقابل ما كان ذكره القرآن الكريم: " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۗ " فكان أن كُفِّرَ من طرف خليفة هذا البطرك أي البطرك اسكندروس وبدعم من قسطنطين نفسه، ومنع مقالته، ومع ذلك ما زادها منعه إلا انتشارا. ومن أتباعه وأتباع دونتوس كان الونداليون الذين ساعدوهم على الانتشار في شمال افريقيا ضد الجيوش الرومانية.<sup>2</sup> ولعل هذا ما يفسر سرعة تغلب الوندال على الرومان؛ يقول الميلي: "وعندي أن لا سبب لسرعة احتلال الوندال غير مساعدة البربر لهم. وعلة مساعدتهم لهم أنهم كانوا ينفرون من سلطة رومة، ويعشقون الاستقلال (...). فاستبدلوا احتلالا باحتلال (...). وتلك قاعدة ارتكاب أقل الضررين."<sup>3</sup>

والملاحظ أن المسيحية لم تتجاوز حدود المملكة الرومانية، وكان نتيجة لتنافس حزبي الكنيسة وليس عن كثرة أتباع المسيحية. وأن جزب دونتوس كان هو الغالب بالجزائر وذلك

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 302، 303.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 334، 335، 338.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 339، 340.

لأنه مذهب ظاهره ديني وباطنه سياسي يؤيد السيادة الوطنية. ويكرهون الأرثوذكس لأنهم كانوا مناصرين للرومان ويؤيدون السيادة الأجنبية.<sup>1</sup>

يضاف إلى هذا أن الجمهورية الرومانية لم تكن تقصد إلى التدخل في عوائد مستعمراتها وديانتها؛ وإنما تقصد منها الانقياد لدولتها وأداء الضرائب لبيت مالها.<sup>2</sup> ومن جهة أخرى كان علماء الرومان يرون أن الأرباب المختلفة باختلاف الأمم ليست إلا مظاهر لأصل رباني عام. ولم يلزموا الأمم المغلوبة بعبادة آلهتهم وقد اشتهر الرومان بالتسامح الديني والتساهل في شأن الآلهة.<sup>3</sup>

وفي عهد البيزنطيين لم يكن استرداد مستعمرات الروم بأفريقية من الوندال غير السواحل؛ يقول مرسيني عن الكاتب لكرولا La croix: "الرومان ذلك الجنس القوي الحاذق العظيم في التمدن وقوة الفتوح، لم يكن في وقت من الأوقات امتزج بالبربر امتزاجا حقيقيا. بربر السهول والمدن وما قاربها اختلطوا حقيقة بالرومان. ولكن بربر الصحراء والجبال لم يبلغ شيء من تأثيرات الرومان إليهم (...). واستحالة استيلاء البيزنطيين على ملك أسلافهم الرومان يدلان على أن أكثر البربر لا يمكن نفوذ شيء على طباعهم."<sup>4</sup>

ولهذه الأسباب جميعها لم يكن للرومان ولا للمسيحية يومئذ إلا تأثيرا سطحيا وظيفيا.

وبعد الحروب التي قادها الأمازيغ ضد الرومان وضد البيزنطيين<sup>5</sup> خاصة، والتي كلفتهم الكثير من الخسائر البشرية حيث "يذكر بعض مؤرخي الفرنجة أن البربر في منتصف

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 303.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 246.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 250.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 366، 367

<sup>5</sup> وهم الرومان الشرقيون، بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقيين وغربيين، وعاصمتهم يومئذ قسطنطينية، ظهروا بالجزائر سنة 534م وداموا قرابة 113 سنة وذلك بعد انتصارهم على جيوش الوندال التي كانت قد احتلت هي الأخرى شمال إفريقيا لمدة من الزمن، وكانوا على مذهب أريوس ووبالا على المذهب الأرثوذكسي، فاسترددها الرومان الشرقيون (البيزنطيون) منهم، وكانوا يدينون بالمذهب الكاثوليكي وارانوا فرضه على البربر يومئذ، وكان السائد عندهم المذهب الأرثوذكسي فرفضوه وكان من ذلك ما سبق ذكره من تقتيل وإذلال؛ وهي أيام تداولت بين المذهب الأرثوذكسي ومذهب أريوس ودينوس ن ومن ذلك: "جنسريق مؤسس دولة الوندال كان مشتدا على الأرثوذكس، حتى أنه سنة 437م طلب منهم الدخول في مذهب أريوس. وأغلق كنائس من لم يلبوا طلبه منهم ونفاهم. وجمع هنريق (أحد قادة الوندال) في سنة 483م أساقفة وقسوسا وشمامسة من الأرثوذكس، بلغ عددهم 4976 وحشروهم في شق بنارية، وسيقوا من هنالك إلى مجزرة الصحراء." وغير هذا كثير. لكن في الأخير ثار البربر على الونداليين لسوء معاملة خلفاء جنسريق لهم وأخذوا بذلك حريتهم. إلى ان دخل البيزنطيون افريقية سنة 534م، وذهب أثرهم باثر فقد ملكهم بعد 104 عام. والبربر لم

القرن السادس للميلاد خسروا في حروبهم من البيزنطيين خمسة ملايين من الأنفس، هذا مع أنه لم يحارب البيزنطيين جميع البربر كما هو معلوم.<sup>1</sup> وقد لخص بيروني الأمر فقال: "القرن الرابع الذي سقطت فيه رومة والقرن الخامس الذي استولى فيه البيزنطيون نفوذهم بأفريقية . هذه القرون كانت قرون أهوال وحروب مبيدة (...). ذهبت الفنون الجميلة وعطلت الأراضي الفلاحية وتوسّيت الأساليب العلمية، وتكاثرت اللصوصية حتى صار الناس يفرعون إلى الغابات ويختفون بالشعاب، وتعطلت التجارة، وخشي الناس المجاعة."<sup>2</sup> فأنى للثقافة من مكان في مثل كذا ظروف وحشية..؟

وعقب هذا، يقول الملي: "وعلاوة على ذلك فقد جاء العرب عقب هذه الخسارة الفادحة ونزلوا على بقية البربر فألفوهم على غاية العزة والمنعة وذاقوا من بأسهم ما يحل عزائم غير العرب أولي الاتحاد المتين في ذلك الحين."<sup>3</sup>

وخلاصة القول أن " الوطن الجزائري كان في العصر الرومي(البيزنطي) يشتمل على أديان ومذاهب كلها متعادية متنافرة. فكانت من أقوى عوامل الخراب في هذا الدور، ولها أثرها السيء في الفوضى وفقد الأمن. وإنما لذلك حتى جاء الاسلام على أيدي الفاتحين من العرب. فنظم ما اختل، ووجد ما تفرق، واستقر بالقلوب الاستقرار النهائي."<sup>4</sup> ومع ظهور الإسلام أخذ المسلمون يفتحون البلدان، فانتزعوا من الروم غرر دولتهم من أوطان الشام ومصر وأفريقية الشمالية. ومع الفتوحات الإسلامية ظهر جيل مغاير كل المغايرة من الأمازيغ حيث وجدوا في الدين الإسلامي ما يتماهى مع أمازغيتهم تماهى الماء بالماء.

وهكذا مرت حقبة على الشمال الافريقي، معها " انتهت الحروب البونيقية بفتح قرطاجنة التي خلد البونيقيون بدفاعهم عنها لأنفسهم كل الفخر والشرف وللرومان الغادرين

---

يستفيدوا من الوندال لا علما ولا صناعة ولا أخلاقا ولا نظاما، لأن سلطتهم عليهم كانت على ضعفها غير شاملة لجميعهم. (أنظر: الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 347، 349، 352).

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 97.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 374، 375.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 97.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 372 .

كل خزي وعار. وإنه لفتح فتح على الجزائريين كل النوائب والمصائب [ مع الرومان والوندال والروم البيزنطيين] وسد عليهم طريق الاحسان السامي فلم يروه إلا بعد ثمانية قرون عندما جاءهم إخوان الفينيقيين يحملون لهم دينا فطريا وأحكاما عادلة وحضارة ظاهرة.<sup>1</sup>

## 2.2. أ/ إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في أوساط أمازيغ الشمال الافريقي.

. في سنة (27هـ / 647م) هجم العرب [من ولاية مصر بأمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه] على دولة جرجير Gregoire بافريقية الشمالية والتي كانت قد انفصلت عن القسطنطينية على ضعفها وهمجيتها، فقضوا عليها لأول هجومهم؛ وقتلوا جرجير؛ واحتلوا عاصمته؛ وبعد مائة وثلاثة عشر يوما، عاد المسلمون بعد صلح بغنائم كبيرة. وفي عهد معاوية رضي الله عنه عاود المسلمون الفتح (45هـ / 655م) وبطلب النجدة من ملك افريقيا المخلوع .. ومن ذلك الحين أخذت السلطة الرومية الهمجية في الانقراض من الشمال الافريقي بعد ما لبثت 113 سنة.

ومع مجيء الفاتحين العرب المسلمين، وبعد المقاومة الشرسة التي ابدتها الروم من جهة والبربر من جهة أخرى، وكان ذلك في بادئ الأمر، وقبل أن يتعرف البربر على الإسلام، وخاصة عقب ما حدث مع الكاهنة التي لم تدرك عواقب ما فعلت على الرغم من حنكتها وحسن تدبيرها وشدة بأسها وثباتها على المبدأ.<sup>2</sup> ومن بعد ذلك جاء موسى بن نصير عقب حسان بن النعمان حيث ثبت له الأمر بإفريقية وتوجه نحو الأندلس، وقد دام الفتح نحو من أربعين عاما. وسرعة الفتح هذه تعود . يقول الميلي . : " إلى أن العرب لم يحملهم على غزو الأمم كسب ثروة ولا استعباد ضعيف؛ وإنما كانوا يريدون نشر الإسلام بصدق وإخلاص."<sup>3</sup> وقد بدأ الإسلام ينتشر منذ الوهلة الأولى؛ يقول ابن خلدون: " فدخل (عقبة بن نافع) افريقية؛ وانضاف إليه مسلمة البربر؛ فكبر جمعه.. ودخل أكثر البربر في الإسلام،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص160.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 377، 378.

<sup>3</sup> الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص 36.

واتسعت خطة المسلمين؛ ورسخ الدين.<sup>1</sup> وبعد الاعتراف باستعادة البربر مجدهم الفينيقي إلى جانب المسلمين الفاتحين. ولما فتح الاندلس وثبتت قدم الامارة العربية بالمغرب وخالط البربر العرب ثبتوا على الدين وعلم العرب البربر الدين ولغته؛ فعم الإسلام البربر، والباقون من المسيحية أسلموا جميعهم ولو بعد حين بمحض إرادتهم وحسن إسلامهم، ومن هاجر، هاجر اختياراً.<sup>2</sup>

وعطفا على هذا كله، نقول على لسان الميلي: "كان البربر أولاً يظنون أن هذا الدين آلة بيد العرب يخضعون به الأمم لسلطانهم، ويفرض طاعة العرب على من سواهم. فكانوا إذا ثاروا على العرب ثاروا سياسياً ودينياً. وفي خلافة عمر بن عبد العزيز فقهوه حق الفقه، وأدركوا أنه أداة سعادة البشر عامة، وليس من تلازم بين العرب والإسلام. فأذعنوا له إذعانا أورثوه أعقابهم إلى الأبد. وصاروا إذا ثاروا على العرب ثاروا سياسياً فقط."<sup>3</sup>

ولعل أهم سبب جعل البربر يقبلون على الإسلام وأورثوه خلفهم "سهولة قربهم من الفطرة وتعشقهم للحرية وحاجتهم إلى الرقي الاجتماعي؛ والإسلام دين الفطرة دين الحرية الصادقة دين الرقي الشريف."<sup>4</sup> وهو ما جعلهم يتجاوزون كل من الديانة الوثنية والموسوية والمسيحية بمذاهبها الأرثوذكسية والارويبين من الوندال والدونويين من بربر الجزائر إلى نعمة الاسلام. هذا ويقول المؤرخ أغسال: "وقد انتشرت العربية بين البربر بسرعة (...). هذا القطر الذي تقاوت عليه الشرق والغرب، والذي ترك به كل طابعه، والذي اختلط فيه الرومان والروم ليغرسوا به المسيحية اللطينية. أصبح من هذا الحين (يعني الفتح الإسلامي) كله شرقياً. وانقضى بذلك عصر الاتحاد اللطيني الذي كان حول البحر الأبيض."<sup>5</sup> وإلى اليوم.

ويقول أيضاً أغسال: "وقد استطاعوا أن يؤسسوا دويلات أو دولا من طرابلس إلى الاندلس (لما ثاروا على العرب)؛ ومع ذلك لم يفكروا ولا يوماً واحداً في رفض لغة العرب

---

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3، ص10/ نقلا عن الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص 34-37.

<sup>2</sup> أنظر: الميلي، تاريخ الجزائر، ج2، ص 37، 38.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج2، ص38، 39.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج2، ص36.

<sup>5</sup> أغسال، الجزائر في القديم، ص 143. / نقلا عن الميلي، تاريخ الجزائر، ج2، ص 40، 41.

(لغة القرآن) وديانتهم والرجوع إلى اللغة اللطينية والدين المسيحي؛ فبقي مؤلفوهم في التوحيد والفقهاء والتاريخ يكتبون تأليفهم باللغة العربية. وملوكهم شادوا قصورهم على الفن العربي. وصارت بغض القبائل البربرية تلتفح أنسابا تتصل بها من العرب؛ ولم يبق من حضارة الرومان والبيزنطيين غير خرابات عظيمة وتذاكير للقوة الرومية.<sup>1</sup> ولهذا قال المؤرخ بيروني في صعوبة تمييز البربري من العربي: "ومن انتسب (من البربر) إلى العرب أو تكلم بلغتهم فلا يجزم بأنه عربي".<sup>2</sup> ولم يحدث هذا للبربر إلا مع العرب المسلمين.

ولهذا نرى أنه لما غزا العرب الشمال الإفريقي [في عصر عثمان رضي الله عنه] وفتحوه وأسسوا به عمارة تابعة للخلافة الشرقية. وبعد حين من الدهر أخذ البربر كعادتهم بسترجعون قوتهم الحربية ويعملون للاستقلال. فكان أن اقتطعوا من تلك الإمارة جانبا من الوطن الجزائري وأسسوا به دولة مستقلة؛ هي الدولة الرستمية. ثم جاء ادريس الأكبر إلى المغرب الأقصى وأسس دولة مستقلة (الأدرسية) وامتدت إلى النواحي الغربية من الجزائر. ثم استقل بنو الأغلب بتونس من غير أن يقطعوا صلتهم بالخلافة؛ وكان شرقي الجزائر تابع لهم. ثم جاءت الدولة العبيدية فقضت على هذه الدول الثلاث وفي عهدها شغل البربر أهم مناصب الحكومة؛ وبلغوا أخيرا أن قطعوا صلتهم بالعبيديين واستقلوا بالحكم.

وفي القرن الخامس الهجري (5هـ) انقطع سلطان العرب على الجزائر [لكن من دون أن ينقطع انتساب البربر للإسلام]؛ وقد كاد جنسهم أن ينقطع تبعا لسلطانهم لولا نزوح الهلاليين. وأبى الله إلا أن يستوطن العرب شمال إفريقيا؛ ويبقوا جيرانا للبربر إخوانهم في الدين؛ والدين أمتن رابطة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نقلا عن الميللي، تاريخ الجزائر، ج2، ص41.

<sup>2</sup> الميللي، تاريخ الجزائر، ج2، ص41.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج2، ص6.

وفي عهد الدولة الرستمية، ورغم ما حدث من ثورات، فقد كانت حرية الفكر سائدة على تنوعها " فقد كانت الدولة الإباضية بتيهت تجمع طوائف مختلفي العقيدة من صفرية وسنية ومعتزلة. ولم تجبرهم الحكومة على عقيدتها، لأن العقيدة سبيلها البرهان.<sup>1</sup>

وقد سادت الثقافة الإسلامية على جميع ربوع الشمال الافريقي، ففي عهد الرستميون مثلا وخاصة في عهد بني أمية " عني الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الإسلامية. ولكن عنايتهم بالعلوم الدينية أشد. فكانوا أئمة في العلم كما كانوا أئمة في السياسة يتدارسون التفسير والحديث والفقہ والكلام والأخبار والأشعار والعلوم الرياضية. واشتهروا بالتهجيم والرمل. فالإمام عبد الرحمن (بن رستم 68هـ / 144هـ) كان مفسرا وله في التفسير تأليف. وابنه عبد الوهاب (88هـ / 168هـ) برز في العلوم الدينية. ونبغ الإمام أفلح (بن عبد الوهاب 188هـ / 238هـ) في الأدب وله في فضل العلم ومزاياه والتحريض عليه قصيدة مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا      يريك أشخاصهم روحا وابكارا

(...) وكانت بتيهت مكتبة تدعى المعصومة قد حوت آلاف من المجلدات. ولما دخل الشيعة تيهت أحرقوا مكتبتها ما عدا كتب الرياضة والصنائع والفنون الدنيوية. وكانت العربية هي لسان الدولة الرسمين ولسان علومهم وآدابهم والرسائل والعقود في هذا الشأن دالة على ذلك. وكان ذلك إحياء للرابطة الدينية التي لا يجمعهم بالبربر غيرها. [ولم يكن هذا ليمنع أن ] أن طان من البربر شعراء بالبربرية مجيدون نظير ما نسمع اليوم من قصائد عامية بليغة. ،الفت بها التأليف الدينية حرصا من علماء الدين على إيصال عقائده وعباداته إلى العامة إذ لم يكن البربر يحسنون، طبعا، جميعهم العربية. وكانت تقام المناظرات بين الطوائف بألف الطرق." وغير هذا كثير.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 60.

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه، ج2، ص 77، 78.

ومن علماء تيهرت أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزاز.. ومنهم الشيخ أبو سهل الذي كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري وتولى خطة الترجمة للإمامين أفلح ويوسف. ومنهم أبو عبيدة الأعرج له كتاب اصلاح الغلط لإبن قتيبة، ومنهم ابن الصغير صاحب أخبار الائمة الرستميين.

ونقل العكاك عن المجلة الآسيوية الفرنسية الصادرة سنة 1843م أن يهود بن قريش التاهرتي من أهل القرن الرابع كان يحسن العربية والعبرانية والبربرية والارمية والفارسية عالما بها جميعا متضلعا فيها. وقد اهتم بالبحث في اللغات وحاول المقاربة بين العبرانية والعربية والبربرية. وهو واضع أساس النحو التنظيري. وله كتاب في ذلك باللغة العربية وجد بمكتبة أوكسفورد بإنجلترا وهو أنفس ما سطر في الموضوع. وغيرهم من العلماء الكبار كابي عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي الذي كان محدثا وهو من الثقات وتناقل الرواة أشعاره شرقا وغربا، وما هذه النماذج إلا مصغّر لما كانت عليه ثقافة القوم يومئذ ومرجعيتها الاسلامية.<sup>1</sup>

هكذا كانت حال الفكر والثقافة خاصة في الدولة الرستمية، سيمتها التسامح ومرجعيتها الإسلام والنصرة لدعوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ومثلها كان في الدولة العبيدية وإن تنوعت مذاهبها من حيث الفروع لا الأصول وهذا كله في العصر العربي نسيبا.

وأما في العصر البربري من حيث السلطة، فقد ظهرت عدة دول أيضا وأشهرها الدولة الحمادية ودولة المرابطين ودولة الموحيدين وكلها كانت تستمد ثقافتها من الثقافة الاسلامية طواعية، ذلك لما اعتنق الأمازيغ الإسلام في الشمال الافريقي حدث " تحوّل عميق في جميع الميادين، سياسيا وثقافيا واجتماعيا انصهرت به المجتمعات الأمازيغية، من حضر وبدو في الإسلام عقيدة وثقافة وممارسات [وهذا على خلاف المسيحية التي انحصرت في بعض المدن الشمالية]؛ (...). لأن المماليك والإمارات التي قامت بالمغرب العربي على سواعد قبائل بربرية، لم تقم على أساس عرقي، ولم تكن تمردا على الإسلام، بل كانت تستمدّ تبريرها من المذاهب الاسلامية: فالدولة الرستمية والعبيدية والادريسية أو المرابطية كانت

<sup>1</sup> أنظر: المرجع نفسه، ج2، ص 79، 80.

كلها محاولات لتجسيم مبادئ حكم وفلسفة ونظام ، نادى بها مذاهب إسلامية نشأت بالشرق. بل أن الدعوة الموحدية التي ظهرت على يد بربري أصيل هو "ابن تومرت" كانت محاولة للجمع بين ما جاء من القول بعصمة الامام المهدي، مثلما كانت من بعض الوجوه محاولة لتطبيق بعض تعاليم الغزالي ضد التفريقات الفقهية الجامدة.<sup>1</sup> وهكذا، تباعا، التأم صدر سكان الشمال الافريقي على الإسلام وانشرح له وإلى يومنا هذا.

ثم كما بينا سابقا عبر التاريخ والحفريات أن " القضايا التاريخية ناطقة بانسراح صدور الافريقيين عموما للحضارات الشرقية وسرعة تأثرهم بها، ومحاربة المدنيات الغربية وتقزهم منها. وقد يعثر الباحث في بطون التاريخ على جزئيات لا تؤيد هذا الحكم، ولكنها نادرة لا تقوى على مضادته أو نقضه.<sup>2</sup>

## 2.2 ب/ الثقافة الجزائرية في العهد الفرنسي.

وأما عن الثقافة الجزائرية في العهد الفرنسي، فقد جاء الفرنسيون إلى الجزائر ليس بنية نهب مواردها وخيراتها فقط ولكن بنية الاستيطان؛ إن أمانهم أن يجعلوا من الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وإلى الابد، ولكن فمن يروم صيد الأسد في عرينه.

لقد استخدم الفرنسيون طيلة استعمارهم للجزائر (القرن وثلث القرن) كل الوسائل المباحة لفرنسة الجزائر وإخضاع سكانها لسلطتها؛ وكان " التاريخ أحد الأركان الثلاث التي اعتمدها الاستعمار لفرنسة الجزائر إلى جنب محاربة الإسلام والقضاء على اللغة العربية، فقد أراد الاستعمار أن يخضع تاريخ الجزائر كما أخضع أرضها، وأراد أن يلغي الخصائص الوطنية للتاريخ، كما حاول أن ينكر خصائصها الجغرافية عندما اعتبر ذلك أن البحر الأبيض المتوسط يشق أرض فرنسا كما يشق السين مدينة باريس.<sup>3</sup> ودعمت فرنسا توجهها هذا إلى أن جعلت اهتمامها بتاريخ الجزائر " يتركز على عصور ما قبل التاريخ، وعلى العهد الروماني والحقبة الفرنسية واهمال العصور الإسلامية التي اعتبرها غوتي "عصورا مضلمة".

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج1، ص36، 37.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج1، ص73.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، مقدمة الطبعة، ج1، ص29.

وهكذا حاول مؤرخو فرنسا أن يجعلوا الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الغرب ورأى المؤرخ الفرنسي ستيفان غزيل المتخصص في التاريخ القديم لمنطقة المغرب العربي أن الغرض من دراساتهم التاريخية هذه أن ثمة " ضرورة تتمثل في إقامة استعمار يعتمد استيطان ريفي أوروبي ضخم، وضرورة تقريب الأهالي منا على أساس الرغبة الصارمة والأمل في أن يتحقق انصهارهم في مستقبل قريب أو بعيد. وعلى هذا الأساس أعيد تشكيل ماضي الجزائر بما يتلاءم مع هذا الهدف".<sup>1</sup> وأخذ المستعمر الفرنسي يبث طيلة احتلاله للجزائر بأنه لم يكن لأهل الجزائر ماضٍ سياسي ولا ثقافي خارج المناخ الثقافي الأوروبي.

فكان من مسعى الاستعمار أن عمل على " فرنسة الانسان [المغربي] بعد الأرض، [ذلك أنهم] وجدوا أن تزييف التاريخ وحده لا يكفي وأنه لا بد من اكماله بمسعى معمق على وجهتين اثنتين: تجهيل الجزائريين وحرمانهم من تعلم اللغة العربية بوصفها أداة أساسية في الاطلاع على التاريخ الإسلامي والتفاعل مع نبضه الحضاري، وفي نفس الوقت السعي إلى تجريدهم من الإسلام وتمسيح من يمكن تمسيحه منهم".<sup>2</sup> أي تحقيق مشروع ثقافي ذو ثلاثة أبعاد (وهذا مع افقارهم) : تحريف التاريخ وصنع تاريخ جديد يتماشى والانتماء الفرنسي، والتجهيل باللغة العربية، وافراغ الدين من مضمونه الحضاري وقوته الروحية حتى تتحقق لهم الفرّستان: فرنسة الأرض وفرنسة الانسان وتعبيده، وهذا يندرج تحت ما أسموه مشروع "انبعاث افريقيا اللاتينية" ودعموا المشروع بإصدار مجلة بالجزائر تحت عنوان "من أجل افريقيا اللاتينية".

ومن مساعيهم الاستدمارية أن عملت السلطة الفرنسية الإستدمارية بكل الوسائل على طمس الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية من خلال سياسة بيداغوجية سعت من خلالها إلى محو مقوماتها الوطنية؛ فكان أن هدمت معظم المؤسسات التعليمية والثقافية الوطنية أو حولتها إلى كنائس وثكنات عسكرية ومخازن وحتى سجون وإسطبلات للحيوانات؛ فضلا عن

<sup>1</sup> المرجع نفسه، مقدمة الطبعة، ج1، ص 29.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، مقدمة الطبعة، ج1، ص 30.

استحوذها عن الأوقاف والأحباس والأملاك التابعة للمؤسسات التعليمية والثقافية التي كانت تمثل مصادر تمويلها.

ولكن هيئات هيئات، فإنهم لم يهنوا بمساعهم، ولم تكن لتهدأ مقاومة سكان الشمال هنا حتى تشتعل هناك حتى جاء اليوم الموعود يوم الثورة المجيدة العارمة ولو بعد حين ( بعد القرن وثالث القرن) والتي حركت فيهم الهمم لأن يستردوا ما ضاع منهم وكانت صيحتهم فيها من رحم الإسلام والوطنية " إما النصر أو الاستشهاد" فجاءت على قواعد الحلم الذي لطالما غذته فرنسا وكنائسها الاستيطانية.

ومع ذلك فهذا لم يكن ليقضي نهائيا على آثار هذا الاستعمار الثقافية وكان أن تشبع ممن التحق بمدارسه وتخرج منها بكيفية أو بأخرى من هذه الآثار لدرجة أن منهم من لم يعد يرى للجزائر "وجودا" تماشيا مع التضليل الفرنسي؟! ومنهم من أسس حزبا شيوعيا لم يكن أكثر من امتداد للحزب الشيوعي الفرنسي. ولكن منهم وجلهم من بقي على العهد يربطه بماضيه دينه الاسلامي الذي تشرب منه حد النخاع وعاداته وتقاليده التي ورثها أبا عن جد وكانت الجذوة التي بقيت فيه مشتعلة تميزه عن غيره وتدفعه باستمرار إلى التفكير في هدفه الوحيد ألا وهو: كيف نتحرر؟ وكان أن أشعلها ثورة مدوية لم يرد من ورائها بديلا غير "الاستقلال" التام عن هذا الكائن الغريب مشبعين في ذلك بثقافة إسلامية . وطنية تدفعهم نحو: إما "الاستقلال" أو "الشهادة".

والحاصل أن كان من تاريخ الجزائر الحافل بالصراعات والثورات المتتالية أن أنجب ثقافات متنوعة الغالب والطاغي عليها الثقافة الإسلامية.

تمثلت هذه الثقافات على سبيل المثال في بعض الأقلام ك"مبارك بن محمد الميلي" وكتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث؛ ورواد الحركة الباديسية ك"ابن باديس" و "البشير الابراهيمي" و"العربي التبسي" ودورهم في إعداد النشأ وربطه بماضيه الإسلامي وكتاباتهم في المجالات التي أسسوها؛ وك"مالك بن نبي" والتزاماته بقضايا الوطن والثورة والحفاظ على

مسارها، وكشفه لطرق الاستدمار في إحباط الأفكار الثورية ودعوته إلى علم اجتماع خاص بمرحلة الاستقلال مستمد من النموذج الإسلامي.

ولا ننسى بعض الزوايا في الأرياف والبادية التي حافظت على دورها الجهادي إلى جانب تعليم القرآن الكريم وبعض علوم الدين ولم تخرج عن الجادة في المراحل الأولى من الاستعمار وقبل أن يأتي عليها الاستدمار.

ومن الثقافات الإنسانية ما انتجه المفكر الطبيب فرانس فانو ومن أفكاره الداعمة لثورة التحرير الجزائرية التحليل الاجتماعي/النفسي الذي خلص فيه إلى مشروعية العنف الثوري الجزائري بحكم أنه عنف يدافع عن حق مغضوب بالقوة. وكتابات أخرى تمثلت في عناصر الجذب الشيوعي المحسوب على الحزب الشيوعي الفرنسي والذين هم من خريجي المدارس الفرنسية.

ثم إن لغة القرآن التي هي اللغة العربية، في بعدها الثقافي والفكري والأنثروبولوجي فضلا عن اللساني، تنطوي معياريا على نمط من رؤيا للعالم خاصة و منفردة، وأنها تعد من مقومات عوامل الثبات و البقاء للهويتين الثقافية و اللغوية للمجتمع الجزائري، ورؤية اللغة العربية للعالم، التي هي رؤية قرآنية تماهت مع العنصر العربي . الأمازيغي لدرجة عدم الانفكاك، تتمايز وتختلف كل الاختلاف عن تلك التي انطوت وتشكلت في التكوين الأنثروبولوجي للتواجد الاستدماري في الجزائر؛ وبقيت كذلك رغم المدة الإستيطانية الطويلة التي قضاها الاستدمار في الجزائر.

### 3- خصائص الثقافة الجزائرية:

لا ريب أن الثقافة تختلف من مجتمع لآخر لاختلاف في المرجعيات، وقد تختلف في بعض مظاهرها داخل المجتمع الواحد؛ وهي شيء يكتسب ويعدل تبعا للمرجعية التي تستند إليها؛ ومن ذلك الثقافة الجزائرية التي من خصائصها:

. الثقافة الجزائرية ثقافة تحررية ترفض كل دخيل يريد استغلالها واستعبادها ولا تقبل إلا ما كان مسالما وعلى خيار محض لتمام بينهما؛ كما وقع مع الفينيقيين والعرب المسلمين من قبل ومن بعد.

. الثقافة الجزائرية ثقافة سامية عرفت المسيحية اعتناقا ظاهريا ونسبيا (المذهب الدوناتي لكونه مذهباً ثائراً) قبل أن تعتنق الإسلام عن حب وطوعية.

- وحدة في تنوع (ثقافة إسلامية موحدة في جوهرها ومتنوعة في مظاهرها وأعرافها).

الثقافة الجزائرية ثقافة دينية إسلامية استمرارية تنتقل من جيل لآخر نتيجة الرضا والتمسك بها، وهذا ما يفسر تمسك أبنائها بها رغم الاستيطان الفرنسي الذي دام لما يزيد عن القرن وثلاث القرن.

. الثقافة الجزائرية ثقافة تكاملية تلبى حاجات الروح والجسد معا ( تشبع حاجات الجسد المادية مما أحل الله لعباده وحاجات الفكر والروح تعبدا وتفكرا في ملكوت السموات والارض).

. من مظاهر الثقافة الجزائرية ما كان في كتابات بلغات أجنبية لكون أصحابها كانوا من خريجي المدارس الفرنسية.

جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله  
كلية العلوم الانسانية  
قسم الفلسفة

فرقة بحث :

أعلام الفكر الجزائري

رئيس الفرقة أ.الدكتور  
مناد طالب

اعداد الطالب : صابري خميسي

الموسم الجامعي : 2022/2021

الفصل الثاني :

أعلام الجزائر في العصر القديم

المبحث الأول : السياق المعرفي و التاريخي للفكر الجزائري القديم

المبحث الثاني : أعلام الجزائري في هذا العصر

1-يوبيا الثاني : (25 ق. م)

2-لوكيوس أبوليوس (125م)

3-دونا توس (ت سنة 355 م )

4-القديس أوغسطين (430 م)

## الفصل الثاني: أعلام الفكر الجزائري القديم

### المبحث الأول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري القديم

من المتعارف عليه لدى أغلب الدارسين لتاريخ الأمازيغيين وثقافتهم وحضارتهم، أن هذا الإرث لم يحظى بالاهتمام، فقد انصبت الدراسات والأبحاث على مراحل التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، مع غض الطرف عن فترة الممالك الأمازيغية التي كان لها إسهامات في سياق بناء الحضارة الإسلامية بشكل عام، وكان هذه المرحلة لم تكن حافلة بالأحداث وملامح الإنتاج الفكري لما يستحق أن يُنظر فيه ويعتنى به بحثاً وتحليلاً ونقداً.

وهو الذي يدعونا إلى القول أن الدراسات التي تتجاهل هذا الإرث الأمازيغي القديم، تحمل في طياتها خلفيات سياسية وإيديولوجية وعرقية، حتى وإذ ادعت الموضوعية والحياد. وهكذا فإن تجاهل هذه المرحلة والادعاء بأنها لم تعرف مفكراً أو مثقفاً بارزاً، وإن حدث ذلك، فإن ذلك كان بعد الفتوحات الإسلامية، وهو الذي يجعل من هذه الأحكام مطلقة وعامة خالية من الدقة والتمحيص، فضلاً عن بعدها عن الموضوعية والإنصاف.

وعليه، فإن تجاوز هذا الوضع غير الطبيعي، يقتضي أولاً إدراك السياق المعرفي والتاريخي لهذا العصر القديم والذي يمكن تلخيصه فيما يلي:

أولاً: يرتبط ظهور يوبال الثاني بجملة من الأحداث السياسية والعسكرية والثقافية التي تتمثل في مرحلة انتقالية من الحكم الفينيقي إلى الحكم الروماني تخللتها تحالف مع روما، وأخذ هذا النفوذ يضعف شيئاً فشيئاً بعد الكفاح المرير الذي قام به يوغرطة حتى اضمحل الحكم البربري المباشر إلى أن آل الأمر إلى الملك يوبا الثاني الذي يعد هو ابنه بطليموس آخر الملوك الأفارقة الذي مارسوا السلطة المباشرة مع الخضوع للحماية الرومانية، وهذا العصر الانتقالي المخضرم بين الاستقلال الذاتي للملوك الأفارقة، وتركيز الحكم الروماني المطلق هو الذي جاء في النهاية، بعد الحروب العنيفة المسماة بالحروب البونيقية التي دامت من سنة 264 إلى 146 ق.م بين الدولتين الرومانية والقرطاجية وصممت روما أثناءها العزم على إزالة قرطاج ومحوها من إفريقيا، ونجحت في ذلك، وبسطت حكمها، تاركة ممارسة

السلطة في البلاد الموريطانية الأخرى بيد الملوك البربر لزمان محدود. وبعد ذلك عملت على بسط إدارتها عليها وأزالت الممالك الأهلية واستغلال ثروات البلاد وحدها دون منافس لها ولا معارض.<sup>1</sup>

بهذا، فإن بسط نفوذ روما على كثير من الأقطار المجاورة للبحر الأبيض المتوسط أدى إلى فقدان الملوك الأهالي لأفريقيا الشمالية نفوذهم المطلق، وحتى قبل ذلك، حينما سيطر ملوك برابرة يمارسون السلطة تحت مراقبة قرطاج أو بتحالف معها حتى آل الأمر إلى ماسينيسا ( 148 ق.م ) الذي امتد حكمه من الفترة الأخيرة للحكم القرطاجني إلى المدة الأولى للحكم الروماني، وكان من سلالة الملوك البربر، أبوه "قايا" وجدّه "نارافاس" وكان ملكا على ما تسميه الآن الجزائر مضافا عليها وادي ملوية ثم مارس خلفه من سلالته الحكم بإفريقيا حتى استتب الأمر لرومة التي أبقت الملك بيد الملوك البربر وتركت لهم النفوذ، وآل الأمر أخيراً إلى يوبا الأول الذي كان يبسط سلطته على جزء من تونس وجزء من ولاية قسنطينة، أما موريطانيا الطنجية فكان بوخوس ملكا عليها وكلاهما حليفان لقيصر.<sup>2</sup>

**ثانياً:** لقد حكم يوبا الأول مثل أسلافه تحت حماية روما متخذة زامة الملكية عاصمة له وهي على التراب التونسي في دائرة الكاف قرب قرية زوام الحالية، إلا أن مجلس الشيوخ الروماني أعلن بأنه عدو لروما لانتمائه إلى حزب بومبي، وكان من سلالة الملوك الموريطانيين من حفدة ماسينيسا اني قايا بف نارافاس، ذلك أنه في وقت يوبا الأول وقعت بروما عداوة شديدة بين يوليوس قيصر وبومبي مشاركته في الحكم وأحدث حرباً مدنية عنيفة، التف حول كل واحدة منهما جماعات من الرومانيين وحتى من أهالي مستعمرات روما، فانتصر قيصر على خصمه، وقد تحزب يوبا الأول لبومبي وساند قائد جيشه الذي كون جيشاً قويا من البربر والرومان.<sup>3</sup> ووقت معركة طابيسوس، وكان ما انعكاساتها انهزام جيوش يوبا الأول وانتحاره

---

<sup>1</sup> - عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجة كليوباترة سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007، ص6-7 (بتصرف).

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص8-9 (بتصرف).

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص12.

بعد ذلك، ثم توجه قيصر إلى زامه وفتحت له المدينة واحتل دار الملك ونهبها جنوده، وأخذ ابن الملك المسمى يوبا الذي وجدته بين عائلته وهو ولد صغير السن وحمله إلى روما مع بقية الأسرى وربى يوبا بروما، فترعرع الأمير بين يدي مجلس الشيوخ الرماني والإمبراطور وعائلته في وسط الطبقة الأرستقراطية الرومانية، ولم يكن اتصال بالوسط البربري إطلاقاً<sup>1</sup>.

نفهم من هذا، أن الاحتلال الروماني لإفريقيا قد مرّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي التحالف مع الملوك البربر الذين بقوا محتفظين بنفوذهم السياسي واستقلالهم الداخلي مع شبه حرية التعاقد مع الخارجي.

المرحلة الثانية: تبدأ مع انتصار يوليوس قيصر وموت يوبا 1 عام 24 ق.م إلى قتل بطليموس ابن يوبا 2 سنة 40 ق.م.

أما المرحلة الثالثة: فتبدأ من هذا التاريخ إلى سقوط روما نهائياً خلفها بالحكم الوندالي الذي يزيد عن أربعة قرون حكماً مباشراً مطلقاً.<sup>2</sup>

هذه إذن أهم المعالم التاريخية التي أطرت الفكر الجزائري القديم والذي يمكن من خلاله عرض أربعة نماذج فكرية لها إسهامات واضحة في سياق هذه الأحداث وهي:

(1) يوبا الثاني: 25 ق.م

(2) لوكيوس أبوليوس (125م)

(3) دوناتوس (ت. سنة 355م)

(4) القديس أوغسطين ت سنة 430م)

هذا، ويمكن ملاحظة عامل هام وهو ظهور الديانة المسيحية التي كان لها أثر هام في الفكر الجزائري القديم خاصة مع الصراع بين دوناتوس وحركته المضادة للرومان والقديس أوغسطين، على أنه سنفصل في هذا الأمر، في قادم المباحث في هذا الموضوع.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 18-19 (بتصرف).

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 33.

## ثانياً: أعلام الفكر الجزائري القديم

### 01-يوبيا الثاني: 25 ق.م:

بجمع أغلب المؤرخين أن يوبيا أو جوبا الثاني (Juba 2) قد ولد في مملكة نوميديا، وهو ابن ملك يوبيا الأول الذي قاوم الرومان مقاومة شرسة، وبعد هزيمته، أسر يوليوس قيصر ابنه يوبيا الثاني الذي كان طفلاً صغيراً بين خمس سنوات وسبع سنوات، فحمله إلى روما، حيث نشأ في البلاط الفاخر، وعاش في كنف الإمبراطور، فعلمه الفنون والآداب والعلوم وشؤون الحكم في مدارس روما وأثينا ومعاهدها.<sup>1</sup>

هذا، وقد رأى النور في مدينة هيبون أو يونه ، وهو الاسم القديم لمدينة عنابة الجزائرية، الواقعة شرقي نوميديا سنة 52 ق.م قبل ثلاث سنوات من اندلاع ما سمي بالحرب الأهلية الرومانية الثانية (49 ق.م - 46 ق.م) اختار له والده أن يحمل اسمه يوبيا أو جوبا، التي تعني في الأمازيغية الاغليز أو الملك.<sup>2</sup>

ولم يعرف الاستقرار ولم يعيش طويلاً في قصر والده الملكي، الذي كان منشغلاً بالحروب التي كان يخوضها ضد أعداء مملكته الأمر الذي أدى إلى عدم رؤيته لوالده كثيراً، كما لم ينعم بالعيش في مكان واحد.<sup>3</sup>

وهكذا، وبعد أن أصبح أسيراً لدى يوليوس قيصر في روما، بعد أن كان مدلاً في سن الخامسة من عمره، قربه قيصر منه، وقرّر أن يخصص له أفضل المربين والمعلمين لتعليمه وتأديبه وأوكل أمر العناية به غلى أخته أوكتافيا فأضحى يلبس أجمل الثياب ويتناول ألد الأطعمة بيد أنه كان يشعر بالاغتراب ومشاعر الثورة كانت تزداد يوماً بعد يوم، ولكنه

<sup>1</sup> - د/جميل حمداوي، يوبيا الثاني، الملك الأمازيغي المتقف، ص6.

<sup>2</sup> - نجاة دحمون، يوبيا الثاني (52 ق.م-23 ق.م)، منشورات ANEP، الجزائر، 2018م، ص11.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص13.

أدرك كيف يتحكم في تلك المشاعر وحرص على إخفاءها ليحظى بالمعاملة اللائقة والاحترام.<sup>1</sup>

وبعد اغتيال يوليوس قيصر، وتولي سيد روما الجديد "غايوس يوليوس قيصر" (أوكتافيتوس ديفي فيليوس أغسطس) الذي حكم بين 27 ق.م و 14م، والذي كان أخ مربيته أوكتافيا، لم تضرب حياته حيث بقي فيبيت أخت الإمبراطور الجديد وأصبح يعيش في ظله، وهنا ركز على الدراسة، وكلما كبر زاد شغفه وحبه للفنون والعلوم، وعندما كان عمره ست عشرة سنة أعجب بفن النحت وكان يقدر الجمال، ولهذا عاش لأكثر من عشر سنوات في هدوء واستقرار، ومربيته تقد له العناية إذ كانت لطيفة معه، وشعر في منزلها بإنسانيته وراحته المثلى.<sup>2</sup>

غير أن يوبا الثاني، وهو يبلغ من العمر عشرين سنة، بدأ يحضر وقائع القتال وقيامه بالخدمة العسكرية ورغم كراهيته للحروب، إلا أنه كان يشعر ببعض الارتياح لمرافقة القيصر في تنقله لمحاربة خصمه مارك الى أنطوان في مصر، غير أن انهزام أنطوان على يد القيصر أوكتافيتوس وانتحار ملكة مصر كليوباترا، أدى استدعاء الإمبراطور أوكتافيتوس يوبا 2 إلى القصر وقدم له أبناء الملكة وهما بطليموس وكليوباترا سليلي<sup>3</sup> وقرّر أن تكون هذه الأخيرة زوجته في المستقبل عندما تكبر، وبالفعل نفذت المربية أوكتافيا أمر أخيها بمجرد وصول الطفلين إليها، وبانتهاء الحرب في مصر التي أصبحت ولاية رومانية، غادر يوبا الثاني مع الجيش الروماني للمشاركة في حرب أخرى من حروب قيصر وبعد انتصار القيصر في إسبانيا، قام هذا الأخير باستدعاء يوبا الثاني ومنحه مملكة موريطانيا وطلب منه أن يكون في مستوى ثقته به.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 22-23 (بتصرف).

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 25-27 (بتصرف).

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 29-30.

ونظرا لمكانة يوبا الثقافية وصدق ولائه، وإخلاصه للإمبراطور الروماني القيصر أوكتافيوس، فقد أجلسه هذا الأخير على عرش موريطانيا الغربية، وبالتالي حكم يوبا الثاني خمسين سنة في ظل الحماية الرومانية ولم يضيع هذه السنوات إلا فيما يعود على شعبه الوفي بالخير والسؤود والهناء وهكذا يرى احد الباحثين أن يوبا الثاني قد عرفت أيامه بالاستقرار والهدوء، حتى توفي سنة 23م، ليخلفه ابنه بطليموس الذي نهج سياسة أبيه في توحيد الأمازيغيين وتحقيق آمالهم وطموحاتهم، وقد توطدت العلاقات الإدارية والشخصية بين يوبا الثاني وقيصرية روما حتى استصحبه "كاريوس قيصر"، ولي عهد الإمبراطورية الرومانية... إلى الشرق، وزوجه هناك من الأميرة كليوباترة سليني، ابنة أنطوان وكليوباترا ملكة مصر.<sup>1</sup>

ويصفه أحد الباحثين، أن شخصيته متميزة بموسوعيتها الفكرية والثقافية، وذات خبرة محنكة في مجال السياسة والتدبير الإداري، وهي تعبر عن نبيل أخلاقه ووفائه الشهم، وإيثاره التضحية<sup>2</sup>، وفي هذا السياق، يذهب أحد الدارسين لفكره وهو الباحث المغربي محمد بوكبوط أنه "من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميزة، فعلاوة على أصله النوميدي الأمازيغي، وتربيته الرومانية، فهو يونيقي بما ورثه مع قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوباترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطور عند اختيار يوبا الاعتلاء عرش موريطانيا".<sup>3</sup>

وهنا، يمكن أن نقول بعد هذا، وبحسب أحد الباحثين، فإن حكم يوبا وابنه يعد باحثا غريبا في تاريخ روما الاستعماري.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - محمد محي الدين مشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، بيروت، ط4، 1969م، ص80.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص80.

<sup>3</sup> - محمد بوكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، منشورات مركز طارق بن زياد، الرباط، ط1، 2002م، ص45.

<sup>4</sup> - عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا 2، المرجع السابق، ص34.

أما عن إنجازاته السياسية والإدارية والاقتصادية، فيجدر الحديث أن يوبا الثاني قد استطاع من توحيد القبائل الموريتانية في إطار مملكة مورية واسعة الأطراف، تنقسم إلى قسمين، موريطانيا القيصرية وعاصمتها شرشال، وموريطانيا الطنجية، وعاصمتها ويلي، وقد كانت موريطانيا كلها خاضعة للوصاية الرومانية، مضى هذا كما يشير أحد الباحثين أن يوبا الثاني قد كان حليفاً للرومان وتابعاً وفيما لهم، لذلك سمحوا له بإدارة هذه البلاد وقام خلال الفترة بين 25 و 23 قبل الميلاد بتمهيد السبيل أمام الحكم الروماني من جهة، ومن جهة أخرى تمهيد مملكته حضارياً وثقافياً وعلمياً<sup>1</sup>.

غير أن هناك رأى آخر يتعارض مع هذا الموقف الذي يعتبر يوبا الثاني صنيعاً الرومان، حيث يرى أحد الباحثين أن هذا الملك قد كان متمسكاً بانتمائه الأمازيغي رغم أنه عاش طفولته وشبابه في رما، إذ كان يحن إلى نوميديا إلى موطنه الذي انتزع منه، وكان يشترق إلى صحاريها، إلى شمسها الساطعة وبحرها اللازوردي<sup>2</sup>.

هذا، ونشير إلى أن يوبا 2 لم يكن متبعاً لتقاليد رعيته واعتقاداتهم وعوائدهم وعباداتهم الإلهية، فاتخذ عبادات الإمبراطور والآلهة الرومانية فأسس يوبا وزوجته المصرية بلاطا هو خليط من عوائد رومانية ومصرية ممتزجة بعبادات وتقاليد إغريقية وحتى فينيقية<sup>3</sup>.

وكما أشرنا سابقاً، فإن يوبا الثاني قد اتخذ عاصمتين لمنطقة نفوذه (شرشال) في الجزائر وسماها قيصرية لإرضاء للروم والإمبراطور قيصر، وهنا يؤكد أحد الباحثين على عراققة هذه المدينة، كونها قديمة جداً يتصل عهدها بالحكم القرطاجي وكانت تسمى يول، فسماها يوبا الثاني قيصرية (Coesarea) تاركاً الاسم القديم وذلك امتناناً لولي نعمته قيصر، ولقد كانت هذه المدينة صغيرة أو ميناء لا أهمية، لكن يوبا الثاني اخترها لموقعها الحسن في وسط المغرب على شاطئ البحر مقابل إيطاليا وبلاد القال (فرنسا) وإسبانيا، فوسعها يوبا 2 وأسس إدارة على الطريقة الرومانية واليونانية وعين على رأسها موظفين

<sup>1</sup> - محمد بكبوط، المرجع السابق، ص 45.

<sup>2</sup> - نجاة دحمون، المرجع السابق، ص 20.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص 37.

رومانيين ماهرين أو بربر متشبعين بالثقافة الرومانية والإغريقية، وقد وسع الميناء وجعلها صالحة لإرساء السفن التجارية والحربية التي كانت تجوب البحر الأبيض المتوسط الأمر الذي يجعل منها أقرب إلى الموانئ الأوروبية قصد تسهيل المعاملات التجارية.<sup>1</sup>

وبذلك لعبت شرشال دوراً مهماً مثل عواصم الدول العظمى آنذاك إذ أضحت تضاهي قرطاج وطنجا ومرسى إلبا وغيرها.<sup>2</sup>

وتبعاً لذلك، فقد انشأ في كلتا العاصمتين (شرشال ووليلي)، حكماً ديمقراطياً نيابياً تمثيلاً، وحقق نهضة اقتصادية وتجارية وزراعية، الأمر الذي أدى إلى تحسن الأوضاع الفكرية والثقافية في عهده، ومن هنا نجد أن إسهامات يوبا الثاني في مجال الفكر والثقافة كبيرة جعلت منه مفكراً ومتقفاً وعالماً أكثر مما عرف حاكماً سياسياً.

وقد طالب يوبا 2 بتكوين مجلس بلدي يتم انتخاب أعضائه من بين المواطنين الأحرار، ويتولى كل مجلس تسيير أمور المدينة على غرار المدينة الرومانية.<sup>3</sup>

وقد حقق أيضاً طفرة اقتصادية متنوعة، وازدهاراً تجارياً كبيراً لأنه شجع الزراعة والصناعة والتجارة، وأقام مشاريع صناعية كبرى في عدة مدن مثل صناعة الأصباغ وتمليح السمك وضع الكاروم، وبذلك تميز عصره بتحسين الأحوال الاجتماعية وانتعاش النهضة الفكرية والثقافية.<sup>4</sup>

هذا، وقد أقام يوبا الثاني في العاصمة وليلي كل ما يوجد في مدينة روما، فقد أنشأ فيها الفوروم (الميدان العمومي والكابيطول (المعبد))، وفيها حمامات عمومية أرضياتها مبلطة بالرخام وجدرانها مغطاة بالفسيفساء، وقد كان مهتماً بعلم الآثار، فقد أقام عدة متاحف في مدن مختلفة من مملكته وأكبرها كان متحفاً في القيصرية وآخر في مدينة وليلي والهدف

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 34-41.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 43.

<sup>3</sup> - عبد الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1982م،

ص 31.

<sup>4</sup> - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 8.

من ذلك جمع الآثار: منحوتات، نقود، وثائق، معاد نفيسة وغير ذلك، وهذا كله في جو من الديمقراطية التي منحته من أن يجمع كل السلطات في يديه.<sup>1</sup>

وبهذا كان يوبا الثاني عالما واسع المعارف والإطلاع شملت معارفه جميع فروع العلم والمعروفة في عصره أخذها من العلماء الإجلاء الإغريقين والفينيقيين والرومانيين، كونه كان يقرأ الأغريقية بأثينا التي كان يحبها بصفة خاصة مثلما كان يحب روما وقد نصبت له أثينا تمثالا في مكتبتها بالمعبد البطوليمي القديم ونقش على التمثال "يوبا الثاني من سلالة ماسينية" وقد أعطى أهل مدينة أثينا ليوبا صفة المواطن الأثيني تكريما له، كما كان يحسن البربرية التي هي لغة آبائه ويتقنها ويحسن كذلك اللاتينية واليونانية والفينيقية والعربية والأرمينية، ولم تكن معرفته لها سطحية بل كان يؤلف فيها التأليف، أو يتكلم بها عن كتب، وكانت له مكتبة جمع فيها الكتب النفيسة المؤلفة في اللغات المذكورة وفي العلوم مثل التاريخ والجغرافيا والفلسفة والنحو والصرف والتنجيم وعلم الطبيعة، جمع فيها نساخا عديدين استغلوا بنسخ الكتب وكان يوبا أيضا أديبا وعالما في علوم مختلفة باللغة الإغريقية وبذلك كرس حياته كلها في الدراسة والمطالعة والتأليف، كما اخص بالتاريخ وأصل اللغات والجغرافيا والفنون الجميلة وعلم الطبيعة والمقارنة بين اللغات ونظم حتى الشعر وكان يجمع الكتب النفيسة.<sup>2</sup>

ومن هنا، تتجلى عبقرية يوبا الثاني ونبوغه في أنه أولا قد استفاد كثيرا من أسفاره وتجواله في بلاد كثيرة وذلك من خلال إتقانه لعديد من اللغات وتأليفه بها. وثانيا، قد من خلال إسهامه في مجالات ثقافية وفكرية متنوعة يمكن حصرها فيما يلي:

1- الاهتمام بالمكتبات والعلماء والمتاحف.

2- بناء المكتبات وجمع المخطوطات والوثائق.

<sup>1</sup> - نجاه دحمون، المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص 60-61 (بتصرف).

3- العناية بالعلماء<sup>1</sup>.

4- تأليف الموسوعات العلمية التي تظهر أن الأمازيغ كانوا سباقين إلى تأليف الموسوعات الكبرى.

5- العناية بالآداب ونظم الشعر وجمع القصص وتوثيقها.

6- الاهتمام باللغات والبحث في مصادر اللغة اللاتينية ومسألة التحريفات اللغوية والدلالية التي تعترى معاني الكلمات، وكان مهتما بالنحو والاشتقاق وفقه اللغة<sup>2</sup>.

7- الاهتمام بالذوق الفني والجمالي والموسيقى التي خصص لها كتب وافية بل وأنشأ معهداً لتعليم الموسيقى بشرشال، كما اعتنى بالمشرح عناية فائقة وألف كتابه الهام "تاريخ المسرح" وبنى مجموعة من المسارح في شرشال ووليلي وليكسوس، واهتم أيضاً بالفن التشكيلي والنحت<sup>3</sup>.

8- اهتم يوبا الثاني بالتاريخ وعلم الآثار والعلوم من فلك وطبيعيات ورياضيات<sup>4</sup>.

من هنا كان يكتب باليونانية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب وفقه اللغة المقارن فتعجب من نبوغه فلوتارخوس (Plutakhos) من كونه أمازيغياً نوميدياً ومن أكثر الأدباء ظرفاً ورفاهة حس<sup>5</sup>، وقد كانت هذه المكانة التي حظي بها أهلته ليكون شخصية ثقافية فذة في تاريخ الأمازيغيين.

وهنا، ينبغي أن نشير أن كثيراً من الباحثين وخاصة الفرنسيون منهم قد تحاملوا عليه واعتبروا إنجازاته الثقافية ليست لها أهمية، ومن هؤلاء على سبيل المثال الباحث الفرنسي "ستيفان أكصيل" الذي اعتبر مؤلفاته التي كتبها مجرد نقل مباشر للكتب السابقة أو كتب معاصريه، وأنه لم يبدع في أعماله كثيراً.

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 11-12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 13-15.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 15-19 (بتصرف).

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

<sup>5</sup> - محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط1، 1989م، ص 77.

إن هذا الموقف الذي اتخذته هذا المؤرخ يحاول أن يغض من قيمة أعمال يوبا الفكرية، كونه كان يعتبر الفرنسيين مجرد ورثة للرومان في أفريقيا الشمالية.<sup>1</sup>

وهنا ينبغي الإشارة إلى مؤلفاته التي جعلت منه مفكراً ومنتقفاً وعالماً بارزاً، والتي يجمع أغلب الباحثين على أنها لم تصل إلينا سليمة، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين هنا وهناك.<sup>2</sup>

في هذا الصدد يؤكد الدكتور حسين مجدوبي أن من أسباب ضياع مؤلفات يوبا الثاني هي الحروب التي شهدتها فترة بطليموس وأيديمون مع القوات الرومانية إبان كاليغولا وما تبعه من انحلال الحكم المركزي بكل ما يحمله ذلك من تدهور وضعية مدن رئيسية الذي لم يوفر الظروف لحفظ الإرث المكتوب ومن ضمنه إرث يوبا الثاني وآخرين.<sup>3</sup>

هذا، ويمكننا بعد هذا رصد مؤلفاته على النحو التالي:

1-ليبيا (Libyca) أو الليبيات، وهي موسوعة تاريخية ضخمة من ثلاث مجلدات جمع فيها ملاحظاته وما رآه خلال رحلاته العلمية وضمّنها اكتشافاته العلمية والجغرافية ومعلومات دقيقة حول شمال إفريقيا عامة والمجتمع الأمازيغي خاصة، وتحدث فيها عن عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، كما وصف فيها سواحل أفريقيا وتحدث عن الميثولوجيا (علم الأساطير والتاريخ الطبيعي للمنطقة).

2-أرابيكا (Arabica) أي تاريخ العرب، وهو المؤلف الذي وضعه لتعليم يوليوس قيصر، تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها البشرية والطبيعية وأهم عادات وتقاليدها ومنتجات سكان شبه الجزيرة العربية.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 8.

<sup>3</sup> - حسين مجدوبي، الملك الأمازيغي يوبا الثاني، أول عام ومؤلف في تاريخ المغرب، موقع ألف بوست بتاريخ 5

أفريل 2013م، نقلا عن جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 9.

<sup>4</sup> - نجاة دحمون، المرجع السابق، ص 54.

وهنا يشير أحد الباحثين أن يوبا الثاني قد انتقل لا محالة إلى البلاد العربية لما كان واليا على فلسطين وكان يعرف اللغة العربية، ويحتمل أن يكون قد حارب في جيوش قيصر لفتح الجزيرة لكن لم يخضعها الرومان لحكمهم سنة 4 ق.م.<sup>1</sup>

3- كتاب التحريف في اللغة، وهو في اللغات والفيلولوجيا كونه كان باحثا في مصادر اللغة اللاتينية وإرجاع الكلمات إلى أصولها الإغريقية ومعتمداً على الاشتقاق.

4- آثار آشور وهو الكتاب الذي وضعه بعد إطلاعه على الحضارة الآشورية وبعد ان زار منطقة الهلال والخصيب.

5- تاريخ روما الذي خصصه لتاريخ سكان إيطاليا الأصليين.

6- آثار الرومان القديمة سواء كانت آثار مادية أو معنوية ما يثبت اهتمامه بعلم الآثار وحبه للتقيب.

7- تاريخ المسارح ويقع هذا الكتاب في ثمانية عشر مجلدا، يحوي دراسات شاملة حول المسرح والموسيقى

8- تاريخ الرسم والرسامين للتعريف بفن الرسم والتصوير شكلا وموضوعا وأدوات، وكتب عن سير وتراجم بعض الرسامين من مختلف الجنسيات (أمازيغ-رومان-إغريق).

9- منابع نهر النيل، حاول أن يثبت أن منبعه من جبال الأطلس.

10- كتاب النحو.

11- كتاب النبات.<sup>2</sup>

هذا، وإن شخصية يوبا الثاني ثقافية فذة في تاريخ الأمازيغيين، اعتمدت على المقاومة الثقافية لبناء الإنساني الأمازيغي وعلى حل لمشكلات التنمية، على الرغم من الضغوط التي تعرض لها من الرومان من حين لآخر، ومن هنا عدّه الباحث جميل

<sup>1</sup> - عبد الحميد شنهو، المرجع السابق، ص64.

<sup>2</sup> - نجاه دحمون، المرجع السابق، ص54-55.

حمداوي في كتابه "المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ" مقاوما ثقافيا متميزاً، حيث يقول: "إن ما يمكن إثباته في حق يوبا الثاني أنه ملك أمازيغي مثقف، خدم شعبه على جميع المستويات والأصعدة، وحقق لموريطانيا القيصرية والطنجية عهداً من الازدهار والرخاء لمدة نصف قرن من الحكم تحت المراقبة الرومانية بشكل مباشر أو غير مباشر وعلى الرغم من بعض السلبات التي كانت تشوه صورة يوبا الثاني، إلا أنه الملك الأمازيغي المثقف الوحيد الذي كانت له شخصية متميزة تتسم بالموسوعية والانفتاح والتسامح وكثرة الإنتاج والثقافي، وهذا يعني انه خدم الثقافة الأمازيغية حتى أصبح نموذجاً يحتذى به في كل المدن والمصار خاصة في أثينا عاصمة الفلسفة والفنون والآداب والعلوم.<sup>1</sup>

ويشير باحث آخر إلى أن يوبا الثاني قد ألف عن الصباغة وأنوعها وبوبها في كتاب قسمه إلى ثمانية فصول<sup>2</sup>، ويذهب هذا الباحث أيضاً إلى أن ثمة قيمة علمية لمؤلفات يوبا الثاني من حيث أن الإغريق يقولون أنه من أعلم العلماء اليونانيين، فهل هذه مبالغة وتملق يتساءل هذا الباحث، المهم، أن يوبا كان من حيث التأليف ابن عصره على الرغم من فقدان كتبه العديدة ولم يبق منها ولو واحد، وفي رأيه أن الرومان أرادوا عند قصد محو كل أثر من آثار المدينة الموريطانية لينسى الأهالي كل مجد أسلافهم وملوكهم ورؤساهم حتى تذهب كل ذكرى من ذكريات ما يهم المجد.<sup>3</sup>

## خاتمة:

ما نستخلصه من هذه الدراسة حول شخصية يوبا الثاني أنه ملك مثقف عرف بسياسة الانفتاح والتسامح، ورجاحة الرأي وصحة الرؤية، والقدرة على مهادنة الرومان بذكاء لا نظير له، والاحتراز من المغامرات المتهورة التي تقوده وشعبه غلى الهلاك، لذا حق لهذا الرجل العظيم أن يعد أبرز شخصية فكرية في تاريخ الجزائر وإفريقيا الشمالية بوجه عام. ولقد عرف

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ، منشورات المعارف، الرباط، ط1، 2013م، ص202.

<sup>2</sup> - عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص65.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص65.

في تاريخ الحضارة الإنسانية بكونه مثقفا وعالما موسوعيا أكثر مما عرف حاكما سياسيا، وهذا هو السر في استمرار حكمه لمدة أطول بفضل سياسة الحكمة والتروي والتدبير الناجع.

### ثانيا: لوكيوس أبوليوس (125م-180م)

**1- نبذة عن حياته:** يكاد الاتفاق ينعقد على أن لوكيوس أبوليوس أولوشيوس أبوليوس، أو لوسيوس أبوليوس<sup>1</sup>، وبالأمازيغية أويولاي أو أفولاي هو واحد من أبناء شمال إفريقيا<sup>2</sup>، وبالتحديد مادورا أو مداورش الموجودة بولاية سوق أهراس بالجزائر الحالية، وللعلم، فهي مدينة نوميدية قديمة كانت تنتمي إلى مملكة سفاكس (القرن الثالث قبل الميلاد) ثم ألحقها الرومان بمملكة ماسينيسا ما بين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد مع نهاية الحرب اليونانية (218-201 ق.م) وبعدها أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول، وكانت مشهورة جداً بمدارسها وعلمائها وأساقفتها (...). يمكن الآن رؤية أطلال مادورا قرب مدينة مداورش بالجزائر الحالية.<sup>3</sup>

هذا، ويشير الباحثين إلى أنه واحد من أبناء شمال أفريقيا الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني، ومن هنا اعتبر أبوليوس بحق ممثل اللاتينية الأفريقية ووصف بأمر خطباء إفريقيا وأكثرهم نفوذاً وشهرة في عصره<sup>4</sup>.

أما الموسوعة العربية العالمية فتذهب إلى أنه قديم إفريقي المولد، كتب رواية التحولات أو التغيرات باللغة اللاتينية القديمة<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> - الموسوعة العربية العالمية، الجزء الأول، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999م، ص111.

<sup>2</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة د/أبو العيد دودو منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط3، 2004م، ص5.

<sup>3</sup> - عبد السلام بن ميسى، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، دار النشر، IDGL، المغرب، ط2، 2010م، ص10.

<sup>4</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص5.

<sup>5</sup> - الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق، ص111.

وفي ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، يعرف لوكيوس أبوليوس بأنه كاتب لاتيني وخطيب أمازيغي نوميدي وفيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي ومسرحي وملحمي وشاعر غنائي، على أنه كان يسمى نفسه في مخطوطاته أحياناً أبوليوس المادوري الأفلاطوني و"الفيلسوف الأفلاطوني" أحياناً أخرى<sup>1</sup>.

وبشأن مولده، فإن كل المصادر التاريخية تؤكد على أنه ولد حوالي 125م بمادورا أو مداورش وكان موقعها على الحدود بين غيتوليا (نسبة إلى قبيلة جدالة ونوميديا التي وصفها هو نفسه بأنها مستعمرة مزدهرة وكان يفخر بالانتماء إليها).

وهنا، يؤكد أحد الباحثين على مسألة الانتماء الجغرافي والمدني لهذا المفكر، حيث يرى أنه جزائري بمؤشر المولد، ويكون تونيسيا أيضاً أو قرطاجيا بالمكانة العلمية وبالحضور العلمي والأدبي، كما تشرفت تونس أيضاً بمؤشر الوفاة حيث استقر في ثراها، إذ توفي حوالي 170م كما يحق لليبيا أيضاً الادعاء بالمشاركة في تركيب هويته على قاعدة الاستقرار، إذ توقف في مدينة "أويا" وهي المدينة التي تحمل اليوم اسم طرابلس الغرب، عاصمة ليبيا الحالية<sup>2</sup>، وفي هذا السياق، نلاحظ مدى إشادة أركليوس بهويته إذ يقول: "لم يمتلكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويتي ومن وطني، بكل اعتزاز وافتخار: أنا نصف كدالي أو جتيولي ونصف نوميدي"<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لتاريخ ميلاده، فهو في عام 124 أو 125 بعد الميلاد، وينحدر من أسرة غنية، فقد كان أبوه من أعيان المدينة، وقد شغل بها عدة مناصب كبيرة، كان آخرها منصب الرجل الثاني وهو نائب حاكم المدينة، وهذا الوالد كان حريصاً على أن يتزود ولده بالعلم والمعرفة منذ صغره، فأرسله إلى المدرسة في مسقط رأسه، ثم إلى مدرسة عامة في مدينة

---

<sup>1</sup> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ 05/12/2017م، بعنوان "لوكيوس أبوليوس".

<sup>2</sup> - شرف الدين بن دوية، لوكيوس أبوليوس (أفولاي) ورحلة البحث عن الهوية، مجلة أبوليوس، جامعة سعيدة، العدد 6، جانفي 2017م، ص 116.

<sup>3</sup> - لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، نقلا عن شريف الدين بن دوية، المرجع السابق، ص 116.

قرطاجنة، فدرس فيها النحو والبلاغة، وأتم بعد ذلك دراسته في أثينا، فقد كانت له معرفة باللغة اليونانية منذ صغره، وهناك درس الفلسفة والهندسة والخطابة والموسيقى والشعر<sup>1</sup>.

ونراه هنا يفتخر بنفسه ويقول: "وأترك لكم الحكم: لقد كتب امبدوكليس الشعر، وأفلاطون المحاورات، وسقراط الأناشيد، وابيخارموس الموسيقى، واكزينيفانس التاريخ، واكزنوقراطيس الهجائيات، بينما يمارس أبوليوسكم كل هذه الأنواع، ويعني بكل العرائس بالحماسة نفسها"<sup>2</sup>.

غير أنه لم يلبث وأن مات أبوه وترك له ثروة كبيرة بدّدها أثناء الرحلات الكثيرة التي قام، والتي استغرقت عشر سنوات قضاها متنقلاً من مدينة إلى أخرى في بلاد اليونان وفي آسيا الصغرى وفي ربوع الإمبراطورية الرومانية، بيد أنه كسب معارف متنوعة، وانظم إلى جمعيات دينية خفية، وتعلم الرقى والتمايم السحرية حبا في معرفة الحقيقة، مما جعل فلسفته مليئة بهذه الأسرار الغريبة وأقام في روما حوالي سنتين ثم عاد إلى إفريقيا، وفي مسقط رأسه، فأخذ يلقي الخطب والمحاضرات، وواصل بحوث وأعماله الفكرية<sup>3</sup>.

ثم عاود السفر إلى الإسكندرية ثم إلى مدينة أويا، طرابلس اليوم في ليبيا، وهناك قرّر الزواج من امرأة أرملة غير اه، اتهم من أقاربها وأبناءها بأنه تزوجها عن طريق السحر والشعوذة، وبعد ذلك قدم للمحاكمة في حوالي 155م، ولكنه دافع عن نفسه ببراعة كبيرة وسخر من غباوة متهميه، فانتهدت المحاكمة بتبرئته مما نسب إليه<sup>4</sup>، وبعد أن قضى في هذه المدينة حوالي ثلاث سنوات، عاد إلى مدينة قرطاجنة التي كانت مركز الحضارة وحظي هناك بترحاب كبير وقد ألف معجم مؤلفاته الأدبية والعلمية والفلسفية، وقضى حوالي عشرين سنة على هذه الحال في جو أدبي وعائلي بملاً نفسه بالغبطة والسعادة، استمر في التأليف وإلقاء

<sup>1</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 6-7.

<sup>2</sup> - لوكيوس أبوليوس، كتاب الأزهير، تحقيق علي فهمي خشيم، كتاب الشعب، 1979م، ص 103.

<sup>3</sup> - لوكيوس أبوليوس، المرجع السابق، ص 7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 8.

الخطب والمحاضرات، ومن المرجح أن تكون وفاته، فيما يرى أغلب الدارسين قد وقعت حوالي سنة 180 بعد الميلاد<sup>1</sup>.

هذا، ويرى الدارسين لفكره أن معروف بعصاميته و شخصيته القوية، يقول أندي جوليان: "كان أبوليوس من أشهر الكتاب الأفارقة، لقد كان غريب الأطوار، كثير المتناقضات، فهو جدي طائش، متطير، شاك معجب بنفسه، طليق اللسان، لا يطيقه الناس ويبهتهم في نفس الوقت".<sup>2</sup>

وقد عرف بأخلاقه الرفيعة التي جعلته يبلغ مجداً قلّ نظيره في سن الثلاثين، كما دفعه فضوله المعرفي وحبه للاطلاع وللعلوم إلى تخصيص جزء هام من ثروته التي ورثها عن أبيه لبناء المدارس والجامعات، وقد اقتدى بسقراط بوصفه كان محاضراً متجولاً خلال تنقلاته الكثيرة<sup>3</sup>.

وبصنفه أحد الباحثين بأنه ينتمي إلى المدرسة السوفسطائية الجديدة التي ميزت القرون الميلادية الأولى، فهو تنتمي على حد قول عبد السلام بن ميسى "إلى فترة أدبية فرعية سميت بالفترة السوفسطائية الثانية (180/117م) وتمتاز هذه الفترة بإحياء الاهتمام بالريطوريقا والفلسفة بصفة عامة، وبالتنقل بين المراكز العلمية وكثر فيها الإنتاج الفكري والاختلافات الثقافية بحكم اتساع الإمبراطورية الرومانية وتعدد شعوبها".<sup>4</sup>

أيضاً، يمكن أن نشير في سياق آخر، إلى أن من العوامل التي صقلت شخصيته الفكرية هي نزعته التوحيدية الراضة للتعددية الوثنية، لأن ثمة نصوص كثيرة تدل على تمجيده لإيزيس، والذي يعبر عن ثروته، وتمرده على آلهة الرومان، فهو شرقي المعتقد والهوى، ولا يمت إلى الرومان إلا بصلة المعرفة والهوى.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 9-10.

<sup>2</sup> - تشارل أنديريه جوليان، تعريب محمد مزالي، البشري بن سلامة، دار التونسية للنشر، 1969م، ص 251.

<sup>3</sup> - شريف الدين بن دوية، لوكيوس أبوليوس (أوفلاي) ورحلة البحث عن الهوية، المرجع السابق، ص 112.

<sup>4</sup> - عبد السلام بن ميسى، المرجع السابق، ص 109.

<sup>5</sup> - شريف الدين بن دوية، المرجع السابق، ص 121.

يقول لوكيوس أبوليوس في المرافعة: "كل الكائنات تابعة لملك الأكوان وكلها تستمد منه وجودها، تسألون عن من هو ذلك الملك، علة وسبب وأصل كل الطبيعة، باري النفس الأعلى، حافظ كل الأحياء الحي الأبدى، صانع كونه الدائب (...). ها أنذا أزيد ضنونك بخصوص ممارستي السحر، إذن لن أجيبك يا أمليانوس عمن أعبد باسم الملك، بل حتى لو سألني الوالي عن هوية ربي لاحتفظت بصمتي"<sup>1</sup>.

هذا، ويتحدث أبو العيد دودو في سياق تحقيقه لرواية "الحمار الذهبي" أن أبوليوس كان في مظهره يتسم بالجمال والنبيل حتى بعد أن نحل جسمه وشحب لونه، ومن ثم كان الجمال من التهم الرئيسية الموجهة إليه<sup>2</sup>، ثم أنه يصفه أيضا بأن شخصيته متناقضة، كما يتضح ذلك من رواية الحمار الذهبي، اجتمع فيها الزهد بحب مسرات الدنيا، والجد بالهزل، فكانت صورة لعصره المريض المضطرب فهو يصف أفلاطون بالعبقرية الإلهية، ومع ذلك كان يعوزه الإدراك الواضح للنظام الفلسفي الأفلاطوني لأن الفلسفة بالنسبة إليه تتمثل في معرفة أسرار الطبيعة الخفية وعالم الأرواح، ثم أن مشاركته في الأسرار الدينية قادته إلي الديانات الشرقية، وخاصة الديانة المصرية أما الديانة المسيحية فقد أشار إلي نفوره منها بصورة قاطعة، وهنا يبرز هذا التناقض في شخصيته بوضوح<sup>3</sup>.

ومع ذلك، فإنه صاحب موهبة فذة وعظيمة وتبعاً لذلك، كان محيط كتاباته واسعاً إذ وضع مؤلفات كثيرة، الأمر الذي يدل على عمق فكره، ودقة منهجه ومثانة أسلوبه.

**02- مؤلفاته:** كما أشرنا سابقاً، فإن لوكيوس أبوليوس قد وضع مؤلفات عدة في الفلسفة والتاريخ والموسيقى والشعر والنحو والحساب وعلم الفلك وعلم الوظائف الأحياء والعلوم الطبيعية وعلم الأسماء، ولكن لم يصلنا من خطبه ورسائله وأشعاره وإلا القليل والتي يمكن ذكرها فيما يلي:

---

<sup>1</sup> - لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاحي، ص 79.

<sup>2</sup> - لوكيوس أبوليوس، المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 32.

**01- الدفاع Apologia:** وهي مرافعة أو خطبة مطولة استمد اسمها حسب الكثير من الباحثين من دفاع سقراط لأفلاطون، حين وجد نفسه، وهو الفيلسوف أيضا، في الوضع نفسه، وإن كان أساس التهمة مختلفا، وكان قد ألقاها أمام الحاكم الروماني كلاوديوس ماكسيموس الذي كانت له بدوره ثقافة فلسفية، وقد ألقاها دفاعاً عن نفسه عندما وجهت إليه تهم باطلة، وبعضها كان سخيفا وتتمثل في أنه رجل جميل جمالا لافتا للنظر، وبلغ، وساحر، وتهمة أخرى، تتعلق بزواجه من الأرملة وأنه أكرهها على ذلك بالسحر.

وقد على هذه التهم الموجهة إليه بصورة تتسم بالبراعة والسخرية في آن واحد.<sup>1</sup>

**02- الأراهير: Floride،** ويضم مجموعة من الخطب والملخصات النثرية، وبحسب أبو العيد دودو في ترجمته لمؤلف "الحمار الذهبي"، فإن هذا الكتاب يحتوي على ثلاث وعشرين خطبة، وهذا الكتاب مقسم إلى أربعة أقسام أو كتب، يحتوي الأول منها على تسع خطب من بينها مقارنة بين نظر الرجل ونظر النسر، وخطبة عن الهند وفلاسفتها، وعن الاسكندر الشهير، ويضم الكتاب الثاني ست خطب، من بينها خطبة عن العناية الإلهية، وعن البيعاء، وعن أغاني الطيور، وعن كراتيس الكلبي، وعن بروتاغوراس ومدرسته (480 ق.م)، وعن الفيلسوف هيبياس (حوالي 430 ق.م) ويحتوي الثالث على ثلاث خطب من بينها خطبة حول شكره للحاكم الروماني المذكور سابقا، وخطبة حول موت الشاعر الساخر فيليمون (263 ق.م) وخطبة حول حكاية عن بروتاغوراس وتلميذه، وأخيرا، خطبة حول طاليس الملطي (624 ق.م)، ويحتوي الرابع على ست خطب منها حديث عن الطبيب أسكليبياديبس، وعن كراتيس (320 ق.م).<sup>2</sup>

لهذا نفهم أن هذا الكتاب بمختلف أقسامه، هو عرض موسوعي لتاريخ هذه الشخصيات التي ذكرها، مع إظهاره لما كان يتمتع به من قدرات بلاغية ومعرفية متنوعة.

<sup>1</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمارة الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص11-12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص13-14.

3- عن آله سقراط **de deosocrates**: هذا الكتاب في الأصل محاضرة قدم فيها أبوليوس تصويره للعالم، الذي يظهر فيه الأثر الأفلاطوني الأثيني الذي يقسم العالم فيه إلى عالم مرتبط بعالم المادة والحس، وعالم متعال ومجرد ومنزه عن الحسيات، وي طرح فيه كيفية التواصل بين العالمين العلوي والسفلي، والذي تتكفل به قوى يصطلح عليها بالديمون Les démons الذي يترجم أحيانا بشيطان سقراط.<sup>1</sup>

ويؤكد أبو العيد دودو في ترجمته بشأن هذا الكتاب أن لوكيوس يدعو من خلال هذا الكتاب إلى الاهتمام بالعقل، أي بشيطان العقل والعناية به، وأفضل طريق إلى ذلك هو دراسة الفلسفة، فالحكمة الفلسفية أفضل كنز في حياة الإنسان.<sup>2</sup>

4- عن أفلاطون وتعاليمه: لقد كان أبوليوس يرى أنه من الأتباع الأوفياء لأفلاطون، ولهذا أراد أن يقدم للجمهور موجزاً عن هذا الفيلسوف، وهذا الكتاب مقسم على ثلاثة أجزاء، الأول عن حياة أفلاطون ويكاد يصبغ على حياته طابعا أسطوريا، مع ذكره لخصائص شخصيته ومواهبه المتعددة، والثاني الفلسفة الأخلاقية من وجهة النظر الأفلاطونية ثم عن البلاغة والفن والخير والشر والحب والصدقة، والثالث عن العقل والمنطق الصوري، وهنا يشير هذا الباحث، أن ثمة شكوك من نسبة هذا الكتاب لأبليوس، فهو يتحدث عن وجهة نظر أتباع الفلسفة الأرسطية والإيقورية.

5- عن العالم **de Mundo**: وهو عبارة عن خلاصة لكتاب أرسطو عن الكون، وقد قدمه بطريقة وكأنها من تأليفه ربما لأنه حذف منه أشياء، وأضاف إليه أشياء أخرى وعليه، فهو يمثل بصورة غريبة ما وصلت إليه العلوم الطبيعية في القرن الثاني بعد الميلاد.<sup>3</sup>

6- الحمار الذهبي أو كتاب التحولات أو الجحش الذهبي: يمثل هذا المصدر أبرز ما خلفه لوكيوس أبوليوس من مؤلفات تؤرخ لعبقريته، وهي أقدم رواية لاتينية، ويعتبرها البعض أول

<sup>1</sup> - شرف الدين بن دوية، لوكيوس أبوليوس (أفولاي)، ورحلة البحث عن الهوية، المرجع السابق، ص113.

<sup>2</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص14.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص15.

رواية نظراً لتمييزها بالاكتمال، وقد نقلت إلى العربية من طرف المفكر الليبي علي فهمي خشيم عن الإنجليزية بعنوان: تحولات الجحش الذهبي، وترجمها الأديب الجزائري أبو العيد دودو من الفرنسية، الحمار الذهبي، ثم نقلها من اللاتينية إلى العربية عمار الجلاصي بعنوان الحمار الذهبي أو التحولات.<sup>1</sup>

ويرى أبو العيد دودو أن هذا الكتاب هو رواية، تحتوي على أحد عشر كتاباً في التحول، ويحل المؤلف في الكتاب الأخير منها محل البطل.<sup>2</sup>

على أن هذا الباحث يعتبر موضوع الرواية كما جاء في كتب تاريخ الأدب الأوروبي من انه قصة إنسان يهتم بالسحر ويحب أن يتحول إلى طير، ولكنه يتحول إلى حمار-فيه أبحاف في حق هذه الرواية الفريدة.<sup>3</sup>

هذا، ويؤكد عمار الجلاصي في ترجمته لهذه الرواية على أن ما يعطي قصته نكهة فريدة مزوجته بين أساليب شتى من تشويق وفكاهة وإثارة جنسية ورعب وفضاعة وفخامة وجلال، ولها أيضاً قيمة تاريخية ثابتة، فهي مصدر مهم لمعرفة البيانات المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية في ذلك العصر والتي أثرت في المسيحية وعلى الأخص ديانة ازييس، ومن هنا، فإن هذه الرواية كما يذهب إلى ذلك هذا الباحث، تصف في أسلوب غلب عليه الطابع الهزلي، معاناة الحمار على أيدي الناس صغارهم وكبارهم ومن كلا الجنسين، ومن ثم، فإن قرائن عديدة تحمل على الاعتقاد، بأن أبوليوس أراد من خلال مغامرات حماره الممتعة تبليغنا رؤيته الأفلاطونية، والأقرب بالأحرى إلى الأفلاطونية المحدثة والمذاهب الغنوصية لمعنى الحياة الإنسانية.<sup>4</sup>

نفهم من هذا، أن هذه الرواية تستأهل أن تكون محور بحث ودراسة فلسفية لمفهوم الإنسان وعلاقته بالقيم الاجتماعية والأخلاقية، كما ان الإشادة بالرموز الدينية لا لاهة ازييس

<sup>1</sup> - شرف الدين بن دوية، المرجع السابق، ص112.

<sup>2</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص15.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص16.

<sup>4</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أو التحولات، ترجمة عمار الجلاصي، ص4-5.

المصرية تتطوي على تنديد مبطن للآلهة الرومانية، التي هي مجرد أدوات لتبرير الاستبداد السائد آنذاك في الامبراطورية الرومانية.

هذا، ويمكننا بعد هذا التمهيد، أن نلخص محاور هذه الرواية حسب ما قدمه لنا مترجمها "أبو العيد دودو"

يتوجه شاب يوناني، يدعى لوكيوس، من مدينة كورنث، لأسباب عائلية إلى مدينة هيباتا بمقاطعة تيساليا. فيلتقى في طريقه إليها بمسافرين، سمع من أحدهما حكاية بشعة، ولكنها مثيرة عن الأعمال السحرية، حركت فضوله. وعندما وصل مدينة هيباتا، نزل ضيفا على غني بخيل يدعى ميلو، والتقى في المدينة بصديقة لأمه، حذرته من الأعمال السحرية، التي تمارسها بامفيلا، زوجة مضيفه ميلو، وعرضت عليه أن يقيم عندها تجنبا لما قد يناله بسببها من متاعب، ولكنه رفض عرضها حتى لا يجرح شعور مضيفه البخيل، وزاد هذا التخدير من فضوله ومن رغبته في التعرف على هذه القوى السحرية الغامضة. وأخذ يتقرب، لبلوغ هذا الغرض من فوتيس خادمة بامفيلا، وسرعان ما عاش هو نفسه تجربة رهيبة، تتصل بالسحر، كادت توصله إلى حبل المشنقة. فعندما عاد في الليل من بيت صديقة أمه التي كانت قد دعتة لتناول طعام العشاء عندها، وتوجه إلى بيت مضيفه، رأى ثلاثة لصوص أمام الباب يحاولون سرقة، فجرد سيفه وجندلهم به ثلاثتهم. وفي صبيحة اليوم التالي أمرت السلطات بإلقاء القبض على لوكيتوس بتهمة الجريمة، التي ارتكبتها في الليلة الماضية، فقبضت عليه الشرطة وذهبت به إلى المحكمة، وبدأت محاكمته، وبعد المرافعة والسؤال والجواب وتوجيه التهم والرد عليها، طلب منه أن يكشف عن الجثث الثلاث، التي كانت قد تحت غطاء يحجبها عن الأنظار. وما أن رفع الغطاء عنها، حتى أخذ الحضور يضحكون ضحكا عاليا، فقد اتضح للجميع أنها ليست جثثا ثلاثا، وإنما هي ثلاث قرب منتفخة رافعة قوائمها إلى أعلى ! وظهر أن المسألة كانت مجرد دعابة، اعتادوا على تقديم مثلها مرة في العام احتفالا بعيد إله الضحك، وكان لزوجته مضيفه بطبيعة الحال يد في إعداد تلك العملية المرعبة. لكن ذلك لم يُشبع فضول لوكيوس، فألح على الخادمة فوتيس أن تمكنه أخيرا من

رؤية سيدتها وهي تمارس أعمالها السحرية، فوعدهته بتحقيق رغبته في وقت قريب. ووفت بما وعدهته به فعلاً، فقادته إلى مكان خفي، استطاعا منه أن يلاحظا معا كيف أخذت بامفيلاً مرهماً من إحدى العلب ودهنت به جسمها، فتحولت إلى بومة وطارت وراحت تحلق مبتعدة عن بيتها. عندها ملك الفضول عليه نفسه، وسيطر على مشاعره، واستبد بفكره، فحرص كل الحرص على أن يعيش هو نفسه تجربة تحول من هذا النوع على الفور. فألح على الخادمة أن تستجيب لرغبته، فلم تمنع في ذلك، وحين أحضرت له المرهم المطلوب، أخطأت في تناول العلبة المناسبة، فكانت نتيجة ذلك أن تحول لوكيوس بعد أن دهن جسده به إلى حمار بدل أن يتحول إلى طائر. وراح هو نفسه يشاهد كيف أخذت تبرز في جسمه كل أعضاء الحمار وكيف أخذ يتصف بجميع صفاته الظاهرة باستثناء عقله، الذي ظل عقل إنسان بما له من إحساس وإدراك وتدبير. لقد حزن لذلك، وأسقط في يد حبيبته الخادمة نفسها، غير أنها وعدهته بأنها ستحضر له في الصباح التالي باقة من الورد ليأكل منها، ويستعيد بذلك شكله الإنساني. وطلبت منه أن يصبر مدة من الزمن، ثم قادتته إلى الإسطبل، ليقضي فيه ليلته مع حصانه وحمار مضيفه ميلو، لكن سوء حظه أراد له أن تبدأ معاناته في تلك اللحظة وأن تطول مدة تحوله. فقد شرع زميلاه، اللذان خشيا مزاحمته لهما في علفهما، يرفسانه كلما اقترب منهما، مع أنه لم يكن ممكن يأكل التبن والشعير، ثم هاجم اللصوص البيت في الليلة نفسها وأخذوه مع زميليه فيما أخذوا من متاع، وقادوه تحت الضربات الكثيرة الموجهة إلى مغامرتهم في أحد الجبال، وكانت تقوم على خدمتهم فيها امرأة عجوز. وفي المغارة عاش حدثاً آخر مروعا، وهو أن اللصوص أحضروا معهم فتاة رائعة الجمال، جديرة حتى بإعجاب حمار مثله على تعبيره، هي خريطة، كانوا قد اختطفوها يوم عرسها وحملوها إلى المغارة لابتزاز أموال أبيها، فراحت تبكي بكاءً مرا تواصل طويلاً ولم تسكت إلا عندما هددتها العجوز، فراحت حينئذ تروي لها حكاية لتسليتها، هي حكاية أمور وبسيشة، أو الحب والنفس. وعندما عزم على الفرار، امتطته، ففر بها، لكن اللصوص لحقوا بهما، وأعادوهما، وكان من الممكن أن يعاقبوهما عقاباً شديداً، ولو لم يحضر شاب إلى مغارة اللصوص، ادعى أن له تجارب كثيرة في ميدان اللصوصية، واقترح عليهم أن يكون رئيسهم، فوافقوا على

ذلك. ولم يكن هذا الشاب في واقع الأمر غير تليبوليموس، خطيب الفتاة المُختطفة، فأسكر اللصوص، ثم قيدهم وفر بخطيبته بعد أن أركبها فوق ظهر الحمار. حاولت خريطة بعد نجاتها أن ترد للحمار جميله، فطلبت من والديها العناية به، فأمرًا بتسليمه إلى رئيس الإسطنبول لإرساله إلى المرعى مع الخيل. لكن ما أن وصل الحمار إلى المرعى، حتى وجد معاناة جديدة في انتظاره. فقد استُخدم في إدارة الرعى، وفُرض عليه حملُ الحطب من الجبل إلى السهل، ولقي معاملة قاسية من الغلام الذي كان يسوقه. كان عليه ذات يوم أن يحمل الحطب من جديد، وإذا بدب يظهر أمامه ويعترض طريقه، فخاف منه وهرب، لكن الخدم لحقوا به وأعادوه إلى رئيسهم. وتبدأ مرحلة جديدة في حياة لوكيوس بعد موت الفتاة، فقد سرقه رئيس الإسطنبول وفره به. وبعد مغامرات أخرى وقع في يد مجموعة من رهبان الإلهة السورية ايزيس، فكان عليه أن يحمل تمثالها أثناء تنقلهم. وكانت له معهم تجارب مريرة أيضا، وناله منهم العذاب أكثر من مرة، ولم يسلم من سطوتهم إلا بعد أن اتهم الرهبان بسرقة قدح ذهبي وسجنوا. وأصبح له سيد آخر، فقد اشتراه طحان استخدمه في إدارة حجر الرعى، وكانت زوجته تكره الحمار. وانتقلت ملكيته بعد موت الطحان إلى بستاني، فعانى عنده الجوع والبرد، ومنه انتقلت ملكيته إلى جندي، ثم إلى أخوين يعملان حلاويين وطاهيين عند أحد الأغنياء، وهو ثيازوس الكورنثي، فبدأت مرحلة رائعة بالنسبة اليه ، إذ صار يأكل بشكل كاف من بقايا الأطعمة التي كان الأخوان يحضرانها من بيت سيدهم. غير أن تناوله لهذه الأطعمة سرعان ما أصبح سببا في نزاع ثار بين الأخوين: إذ اتهم أحدهما الآخر بأكلها دون علمه، ثم اكتشفا السر، وحدثا سيدهما عن ذلك، فأبدى السيد اهتماما كبيرا بذوق الحمار الغريب واشتراه منهما، وقدمه لعتيق له للعناية به. وعلمه هذا ألعابا مختلفة نالت إعجاب الخاص والعام، وأخذ يؤجره لمن يرغب في خدماته المتنوعة ! من ذلك أن صاحبه قرر تقديمه في عمل مخز على المسرح، لكنه أنقذ نفسه من تلك المهزلة بالفرار منه. وأخذ التعب منه فنام حيثما اتفق له، وحين استيقظ في منتصف الليل وجد نفسه على الشاطئ، ورأى البدر في كبد السماء، فعرف أن وقت الخلاص قد اقترب. فأغطس رأسه في البحر سبع مرات وتضرع بخشوع إلى ملكة السماء أن تحرره من هيأة الحيوان. وعندما عاوده النوم

ظهرت له الإلهة إيزيس في حلمه، وأخبرته بأنها قد استجابت لدعائه. وما إن وصل الموكب العظيم لتمجيد إلهة كورنث حتى لمح لوكيوس الكاهن وهو يحمل إكليلا من الورد، فأسرع إليه واكل من أوراقه، فاستعاد في الحين هيأته البشرية. فتحدث الكاهن عن قدرة الإلهة على إحداث هذه المعجزة التي اندهش لها الناس، وأمر لوكيوس بتكريس حياته لعبادتها فانضم إلى الموكب المتوجه إلى البحر لتدشين سفينة، ثم عاد معه إلى معبد الإلهة وظل بعدئذ وفيها لعبادتها إلى أن تم له في النهاية الإطلاع على أسرارها، فكان يتردد في رومة على زيارة معبدها، وبعد سنة من ذلك اطلع أيضا على أسرار أوزيريس ونال الدرجة الثالثة من القدسية بعد فترة أخرى من الزمن وصار كاهنا في نظام الرهبنة.<sup>1</sup>

ندرك من هذا كله، أن لوكيوس أبوليوس يعد واحداً من الأفارقة أو من أبناء شمال أفريقيا اليوم الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني، فقد وصف بأمر خطباء أفريقيا وأكثرهم نفوذا وشهرة في عصره، وتنوعت كتاباته في المجالات العلمية والفلسفية والأدبية والشعرية وغيرها.

وبهذا، فإن التراث الجزائري الأمازيغي القديم من خلال هذا المفكر قد أبان عن القدرة على إبراز الهوية دون نفي الآخر وعدم التعايش معه.

### ثالثا: دوناتوس (ت 355م):

دونا أو دونا الكبير Donat le grand وباللاتينية (Donatus Magnus)، ولد دوناتوس في القرن الثالث الميلادي في نقرين، ولاية تبسة حاليا، بالجزائر، ويعتبر من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان بكل ما أوتي من علم ومن قوة، وهو أيضا من أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية في الوسط الأمازيغي، وهو قس وراهب واعظ في قرية بربرية، وبعد ذلك صار أسقفا وزعيما دينيا كبيرا في أفريقيا الشمالية، وله أتباع كثيرون يدافعون عن المذهب الذي أسسه نظرية وممارسة، وقد ألف كتابا ديني بعنوان "الروح القدس"، فهو بذلك زعيم المذهب الديني الدوناتى الذي تشكل في خضم الصراع الكنسي

<sup>1</sup> - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص(16-19).

الدائر يومئذ، وقد انضوى تحت هذا المذهب كل الرافضين للسيطرة الرومانية، وقد توفي دوناتوس في 35م.<sup>1</sup>

الطمع هذا، ويمكن أن نتحدث باختصار عن الإطار التاريخي والجغرافي لعصر دوناتوس، حيث كان للرومان الجرأة وطمعا في التوسع في شمال أفريقيا وجهازوا الجيوش وألحقوا بقرطاج وبأهلها أذى كثيرا، وتوسعوا غربا إلى مملكة نوميديا (الجزائر حاليا) وموريطانيا (المغرب حاليا) وأخضعوا كل سكانها الأصليين لحكمهم التابع للإمبراطور في روما.

وقد كان الرومان قبل اعتناق المسيحية على دين الصابئة يعبدون الأوثان والتماثيل التي غالبا ما ارتبطت بالإجرام السماوية والظواهر الفلكية والطبيعية وكانوا يقدسون الإمبراطور تقديسا كبيرا.

أما البربر، سكان الشمال الأفريقي، فقد آمنوا بالسحر والشعوذة ولم يكن لهم دين ثابت قبل الإسلام، وانتشرت اليهودية بشكل محدود بينهم عن طريق اليهود التجار، وبعد ظهور المسيحية، أخذت تنتشر بشكل سطحي ومحدود، غير أن اعتناق الرومان للمسيحية، حتى عملوا على نشرها في شمال أفريقيا، فكان الانتشار واسعا في قرطاج ونوميديا وموريطانيا، ولهذا اعتنق أغلب البربر المسيحية بعد العام 160م، الذي ولد فيه المفكر الأمازيغي تريتيليان حيث كان رجلا مسيحيا ومؤلفا وداعيا إلى هذا الدين الجديد، فانتشرت الكنائس والطقوس المسيحية في كل مكان تقريبا في شمال أفريقيا.<sup>2</sup>

هذا، وقبل أن نتحدث عن المذهب الدوناتى، يجدر بنا أن نشير إلى ما ذهب إليه أحد الباحثين إلى ما أطلق عليه "المذهب الأريوسى" الذي ينسب إلى القس الأمازيغي "أريوس" الذي كان يعتبر المسيح نبيا من أنبياء الله، فقد أرسله إلى الناس لهدايتهم، وبالتالي فليس

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، الديانة عند الأمازيغيين، شبكة الألوكة، ص12.

<sup>2</sup> - محمد دومير-عماد سعودي، دوناتوس، التأثير النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في أفريقيا، PDF 25 أبريل

2020م، ص6-8 (بتصرف).

إلاها ولا ابن إله، فهو مجرد رسول أو واسطة بين البشر والله وتتمثل رسالته في التوحيد ونشر الفضيلة والمسيحية السمحة وبذلك كان أريوس مسيحياً موحداً ويبشر بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم، بيد أن دعوته لقيت معارضة شديدة، وقد انتشر هذا المذهب في شمال أفريقيا وفي مصر خلال القرن السادس الميلادي وقد نكل الرومان بهؤلاء الأريوسيين تنكيلاً شديداً وصل إلى مذابح بشعة في حق أتباع أريوس.<sup>1</sup>

وعليه، فإن المذهب الدوناتى نسبة إلى دوناتوس قد تشكل كما أشرنا سابقاً في خضم الصراع الكنسي، حيث أنه حمل راية الرفض للخضوع لإدارة الإمبراطور ومقاومة أساقفة كنيسة قرطاجنة، فالدوناتية اعتبرت الكنيسة التابعة لها هي الممثل الشرعي في بلاد المغرب القديم.

ومن هنا، فإن هذه الثورة الدوناتية في شمال أفريقيا، وبالضبط في نوميديا، لم تظهر إلا عندما تبنى الإمبراطور الروماني تيودور العقيدة المسيحية ديناً رسمياً للدولة الرومانية منذ 331م، فاستغل دوناتوس الفرصة، فأسس مذهباً مسيحياً أمازيغياً مستقلاً هو (المذهب الدوناتى)، فأقبل الأمازيغيون على هذا المذهب الجديد للتخلص من نير الاستعمار الروماني، والتحرر من ريقة الظلم والضييم والعبودية والذل والعار، هذا ما جعلهم يعطون لكنيستهم صبغة قومية لتدافع عن مطالب السكان المحليين وتحميهم من تجبر القوات الرومانية وطغيان المستغلين من الأرستقراطيين ورجال الدين الكاثوليك الرومانيين.

ومن ثم تشكل الدوناتية حركة ثورية دينية واجتماعية وسياسية قامت بدور تاريخي هام فهي تتطوي على صيغة أمازيغية متمردة عن الحكم الروماني ورفض تعاليم الكنيسة الرسمية، أكثر من ذلك كما يقول أحمد الباحثين، فقد تشكلت ميدانياً، مجموعة من التنظيمات العسكرية التي كانت تهاجم مزارع الأرستقراطيين الرومان، بغية تحرير عبيدها وأقنانها المظلومين.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 11-12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 12-13.

هذا، ويؤكد الكاتب الجزائري أحمد توفيق المدني في كتابه قرطاجنة في أربعة عصور، أنه ما كادت المسيحية تعلن ديانة رسمية، حتى فر منها كثير من معتققيها البربر، وهم إنما اعتنقوها فرراً من سلطة الرومان وليتخذوها وسيلة لنزع السلطة الرومانية، ووجد البربر أن الوسيلة هي إيجاد خلاف في الدين، ولذلك، عندما مات أسقف المغرب المدعي مانسوريس، وقع الخلاف في تسمية خليفته، وترشح لذلك الراهب ساسيلسان، لكن أنصار الفتنة أبوا الموافقة على هذه التسمية، وكان زعيم المعارضين راهب قرية بربرية يدعى دونات وهو صاحب مذهب جديد في المسيحية، وحاول الإمبراطور قسطنطين إيجاد توفيق بين الطرفين فلم يفلح واستفحل الشقاق.<sup>1</sup>

وهنا تألف عندئذ جند من أشد الدوناتيين تعصبا، وأخذوا يجوبون أطراف البلاد تحت اسم المتجولين بدعوى ضم جميع المسيحيين إليهم، وكان اغلب هؤلاء الدوناتيين من العبيد من لا يملكون في هذه الدنيا غير أجسامهم، فاتخذوا لأنفسهم مذهباً اجتماعياً هو خليط من الشيوعية والفوضوية، ويقولون أنهم يريدون أن يقرروا مبدأ المساواة التامة في الرزق بين الناس، وأنهم لا يعترفون بأية سلطة، وانقلبوا عصابة نهب وسلب ترتكب الفضائح وتقوم بالمذابح، ولم يكن لهم من الصيغة الدينية أي شيء، فتعقبتهم الجنود الرومانية وقطعت في آخر القرن الرابع دابرتهم، وهنا، يؤكد هذا الباحث أن الدوناتيين الحقيقيين وأغلبهم من أبناء البربر، ظلوا محافظين على قوتهم وصلابتهم يتربصون سنوح فرصة للانقضاض على أعدائهم وكانت حركتهم سياسة ترمي إلى التحرير، منتمصة في ثوب حركة دينية، ومن هنا فإن من أسباب هذا الهيجان العظيم هو النظام الاستعماري الروماني الذي ملك الأرض بيد تلة منتفعة وحرَم منها عامة الناس.<sup>2</sup>

ويظهر لنا أن هذا الصراع الديني، قد أدى إلى مواجهات دموية عكست بوضوح الصراع الاجتماعي في ولايات روما الشمال أفريقية، ويتحلى ذلك في كون الإمبراطور والدولة الرومانية ومن ورائهما الملاك الكبار، ساندوا الكنيسة الكاثوليكية الرسمية ضد

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني ، قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986م، ص114.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص115.

دوناتوس وأتباعه الأمازيغ، وقاموا باضطهادهم لما شكلته المبادئ التي اعتنقوها من خطر على امتيازاتهم، ذلك أن دوناتوس الذي تعاطف مع قضايا الفقراء والمضطهدين نادى بإبعاد وطرد كبار الملاك والمرابيين وذوي النفوذ من المسيحية فكانت الدوناتية بذلك عقيدة الثورة التي فجرها الأمازيغ، واستمر لهيبها إلى زوال الحكم الروماني.<sup>1</sup>

من هنا، فإن من النتائج التي حققتها الثورة الدوناتية أن المقاومة الأمازيغية في شمال أفريقيا قد تجاوزت المقاومة العسكرية إلى نوع آخر من المقاومة المتمثلة في النضال الديني والاجتماعي، بذلك، حارب الأمازيغيون الإمبراطورية الرومانية المسيحية بالسلاح العقدي نفسه للتخلص من نير الاستعمار ومناهضة الاضطهاد والاستغلال.

من هنا ساهمت هذه الحركة الدوناتية كذلك في اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وتأجيج الصراع الديني وتناحر السلطتين: الدينية والسياسية على المستوى المركزي في العاصمة الرومانية.<sup>2</sup>

من جانب آخر، يؤكد عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب: "تهافت المغاربة على الحركة الدوناتية (نسبة على الأسقف دونات) المنشقة، وأعطوا لكنيستهم صيغة قومية واضحة، دون أي اعتبار لمفهوم الكتلة. أي الجماعة، محور كل مسيحية تكيفت مع واقع التفاوت الاجتماعي".<sup>3</sup>

أكثر من ذلك، فإن تجذر الدوناتية في أوساط الأمازيغ تعد تعبيراً على الإصرار على التمسك بهويتهم والحفاظ على كينونتهم المتميزة عن المحتلين الرومان، ومن ثم كانت الدوناتية رد فعل مذهبي واجتماعي من جانب الأمازيغ ضد القوالب الفكرية الدينية التي كانت مؤسسات الاحتلال دولة وكنيسة صهر الأمازيغ فيها لاحتوائهم وطمس هويتهم.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - محمد بوكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، مركز طاق بن زياد، المطبعة فيديبرانت، الرباط، ط1، 2002 من ص73.

<sup>2</sup> - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص15.

<sup>3</sup> - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي، الدار البيضاء، طبعة 1984م، ص60.

<sup>4</sup> - محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص76.

ونستخلص من ذلك كله، أن الحركة الدوناتيية قد ساهمت بشكل كبير في تدهور الإمبراطورية الرومانية واضمحلالها، ليحل محلها الوندال الغزاة ومن بعدهم البيزنطيين.

هذا، ومن نتائج الانشقاق الدوناتي وقوع مجابهات دموية كثيرة، وأيضا ظهور القديس أوغسطين (430م) في واجهة الصراع ضد الحركة الدوناتيية، متكلا على السلطة المدنية ومستفيدا من الرعب الذي استولى على كبار الملاكين، ومن المناسب هنا أن نفصل في طبيعة هذه العلاقة، وعليه، يمكننا أن نشير إلى أن يعين القديس أوغسطين أسقفا جديداً على رأس أسقفية هيبوريغوس عنابة حالياً، لعب دوراً بارزاً في أحداث الانشقاق داخل الحركة الدوناتيية باستعمال كل الوسائل والإمكانيات بما في ذلك شرعية استخدام القوة لإعادة المنشقين إلى الكنيسة الكاثوليكية، ودعا القديس أوغسطين إلى ضرورة اللجوء إلى "إرهاب مجد" تقوم به السلطة الزمنية لجعل الدوناتيين على الرجوع إلى الكنيسة الكاثوليكية اعتماداً على قول المسيح (عليه السلام) "ادفعوهم إلى دين الله دفعا".<sup>1</sup>

وهنا، يذهب أحد الباحثين، على أن أوغسطين يعترف بالعنف الممارس ضد خصومه وأنه طلب من السلطات الزمنية القضاء على البدعة الدوناتيية، لأن ذلك في صالح الجميع، ولعل ذلك ما شجع السلطات الزمنية على إصدار تلك الترسانة من القوانين والقرارات الداعمة للطرف الكاثوليكي، ويقول في هذا السياق: "قد يغيضكم أن ننزع من قبالتكم أسلحتها الحقيقية، إن لم يكن ذلك طبقاً للقوانين، فبالخطاب على الأقل"، وهنا، كان عقد مجمع قرطاج في 397/07/28م لمنع إعادة التعميد والعودة بقوة إلى القواعد الأخلاقية السابقة والدفاع عن النظام ومنع قبول أساقفة أجانب، وهنا رأى أوغسطين في ذلك نصراً للكاثوليكية (سنة 400م)، إذ قال إن الفرع الدوناتي الذي كان متهما في كل العالم، ها هو في عجزه

---

<sup>1</sup> - عولمي الربيع، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة باتنة 1 العدد 13، 20/06/2017م، ص 281.

ينتج ثمار السلم والمحبة وذلك كدليل رضا وابتهاج منه لما كان يحدث داخل البيت الدوناتي.<sup>1</sup>

إذن، يعتبر أوغسطين من أهم كتاب اللاهوت في العالم المسيحي، وساهم من خلال مواقفه الفلسفية والدينية في تثبيت السيطرة الرومانية على الحركة الدوناتية، إلا أن لا يعني أن المقاومة الأمازيغية في شمال أفريقيا قد اضمحلت نهائياً، بل تواصلت بقوة حتى انهارت الإمبراطورية الرومانية بعد استيلاء الوندال ومن بعدهم البيزنطيين.

## خاتمة:

وعلى العموم، فقد قاد دوناتوس الزعيم الديني الأمازيغي، الحركة الدوناتية بوصفها حركة ثورية اجتماعية، دينية، سياسية مناهضة للاحتلال الروماني وسيطرة رجال الدين الكاثوليك الذين كانوا يباركون الاحتلال ويعترفون بشرعيته، ومن ثم كانت تحارب كل أشكال الرومنة والاستغلال والظلم، الأمر الذي يجعل من فكر دوناتوس مصدر إلهام للمقاومة الشرعية للاحتلال الأجنبي في كل العصور.

## 4-القدّيس اوغسطين 430م

يعدّ القدّيس أوغسطين أو أغسطينوس أوريليوس من أبرز الفلاسفة الذين كان لهم شرف تمثيل المرحلة الفلسفية الوسيطة وذلك من خلال ثراء وخصوبة مشروعه الفلسفي الحامل لجملة من المحاور كالأخلاق والسياسة والدين والفلسفة والتاريخ... الأمر الذي أدى إلى إثارة السؤال حول المسائل المتداولة أو الموروثة من ناحية، و من ناحية أخرى يكشف لنا عن قيمة الآثار الفلسفية المنجزة، وهو الذي يشكّل متكافئاً فلسفياً قامت عليه النهضة الفكرية الأوروبية فيما بعد، وعليه، كان لزاماً علينا تعقب أثر القدّيس أوغسطينوس و مرجعياته الفكرية والمراحل التي مرّ بها وتفاعل مع أطروحاتها، وهو خليق أن يحملنا على

<sup>1</sup> - عبد الحميد عمران، القدّيس أوغسطين وصراعه مع الدوناتيين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر العدد 11، 25/03/2017م، ص98-99.

إبراز المنزلة التي يحتلها الفكر الجزائري القديم، الذي اضحى أوغسطينوس واحدا من أبرز ممثلي الفلسفة المسيحية في عصر الكنيسة الكاثوليكية، وهو الجزائري المولد و المنشأ من أعمال نوميديا ، سوق اهراس حاليا .وسنحاول أن ننطلق في الكشف عن الفلسفة الاغسطينوسية من تساؤلات محورية وهي: أين تكمن قيمة المنجز الأغسطينوسي وإلى أي مدى يصل أثره في تاريخ الفكر الجزائري؟.

### أولا: نبذة عن حياة أوغسطينوس و مكانته الفلسفية و المنهجية.

يشبه الكثير من الدارسين مكانة القديس أوغسطينوس في الفلسفة المدرسية التي سادت خلال العصور الوسطى بمكانة "أرسطو" من ناحية الأثر والتأثير والامتداد، وأن سلطة القديس أوغسطينوس في العصر الوسيط لا تعادلها سوى سلطة أرسطو في اليونان، "فقد بلغت من قوة التأثير درجة؛ بحيث أنه ما من عقيدة وسيطية لم تستند عليها أو تستدعيها، وكان تأثيرا عميقا بحيث أصبحت ينبوعا لتيارات معينة، بل إن نفس النصوص كانت تؤخذ بمعان شتى لتعم مواقف متناقضة لمفكرين مختلفي الأهداف والمنهج، فقد وسم القديس أوغسطينوس بأعماله الفلسفية روح هذا العصر، وشكل له ايدولوجية هيمنت مدة طويلة"<sup>1</sup>.

و لهذا فان حياة الفيلسوف ومساره التكويني هي المرآة العاكسة لتطوره الفكري والمفسرة لمختلف الاستشكالات التي يثيرها أو الاستدلالات التي يصل إليها، وهنا نجد أن التغيرات المذهبية والمنعطفات المعقدة التي ميّزت حياة أوغسطينوس من النشأة إلى مقام محبّي الشغف والحكمة المسيحية والانتهاى إلى مقام الفلاسفة والقديسين، قد شكلت له القاعدة الفلسفية التي يستند إليها في بلورة أفكاره حول مسائل الخير والشر والله والخلص واللاهوت... و غير ذلك .

هذا ،و قد ولد القديس أوغسطينوس (أوريلوس أوغسطينوس) سنة 354 في طاجستيا<sup>2</sup> Tagaste المدينة الصغيرة التابعة لمقاطعة نوميديا بشمال افريقيا وهي الآن تسمى "سوق أهراس" منطقة مداوروش الواقعة بشرق الجزائر، تبعد حوالي مائة كيلومتر من

<sup>1</sup>-علي زعيور: أوغسطين؛ مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار اقرأ، بيروت/لبنان، ط11973م، ص99

<sup>2</sup>- أوغسطينوس أوريلوس: لنفرح بميلاد امسيح، ترجمة: نصحسعيدالحميد، مؤسسة القديس أنطونيوس/المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، القاهرة، 2011م، ص04(من مقدمة المترجم).

مدينة عنابة، كان أبوه "باتريقوس" وثنيا وأمه "مونيكا" نصرانية<sup>1</sup>. وبعد أن أنهى دراساته الأولى في مسقط رأسه بطاجستيا (سوق أهراس)، انتقل إلى مادور Madaure ثم إلى قرطاجنة Carthage ليدرس الآداب والخطابة<sup>2</sup>، وهذا قبل أن ينقطع عن الدراسة في سن السادسة عشر بسبب وضعه المادي، وكما كان مولعا باللاتينية والادب اللاتيني، لكنه كان يكره اليونانية التي لا يبدو أنه أتقن منها سوى بعض المبادئ الأولية اللازمة لمقارنة نص مترجم بالنص الأصلي، وكما اهتم بالبلاغة والخطابة والفن والمسرح والسيرك...، والأدب والفلسفة. وعلى الرغم من أن أمه "مونيكا" الشديدة الورع - أو القديسة كما توصف - حضّته على العماد (التعميد)، إلا أنه لم ينتصر للمسيحية في بداية الأمر ولم يعتقد بها، وعاد إلى طاجستا حيث عاش حياة منحلة أورثته ندما شديدا فيما بعد، كما يشهد بذلك في كتاب الاعترافات les confessions ويقول في فصل "الفتى المراهق": "... كل ما كان يحلو لي آنذاك هو أن أعشق وأعشق لكني لم أتقيد بما للصداقة من سبل نيرة ..، لهذا لما بلغت أشدّي تصاعدت في أتون شهوتي الجسدية، أبخرة غمرت قلبي وضغطت عليه فما عدت أستطيع التمييز بين الحب السنّي الطاهر والدّنس الحالك السواد اللذين اختلطا فيّ فاختمرا واقتادا سني الواهية الضعيفة في أثر المغريات وغمساني في لجة الرذائل..."<sup>3</sup>.

غير أن أمه القديسة الحريصة عليه أنقذته من هذا العالم الدنيئ إلى رحاب المسيحية الخالصة، وعلمته مبادئ الدين المسيحي وأصوله، ، ويقول في ذكر فضل أمه عليه معترفاً: "... فإنني لازلت أذكر تأثير جوابك -الرب- عليّ بلسان أُمي اليقظى وهدوئها التام لقاء شرحي الحرفي الخاطئ وسرعتها في إدراك ما عيبت عنه... وقد أحببت فيها الفضائل، فلم تكفّ بعد أن أنعشها الأمل دون أن يخفّف من دموعها وزفراتها، عن الترتي لحالي بحضرتك كلما للصلاة..."<sup>4</sup> "ويسطت يدك من عل وانتشلت نفسي من لجة هذه الظلمات وكانت أُمي خادمك الأمينة منتصبه أمامك ترثي لحالي بدموع قلّ أن تذرف مثلها الأمهات على أمواتهن"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة؛ الفلاسفة المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون، دار الطليعة، بيروت، ط2006، ص3، م118.

<sup>2</sup> -حسن حنفي، نماذج من الفلسفة الوسيطية في العصر الوسيط؛ أوغسطين، أنسلم، توما الاكويني، مكتبة الانجلو مصرية، مصر،

ط1978، م2، ص09.

<sup>3</sup> - أوغسطينيوس أوريليوس: الاعترافات، ترجمة: الخوري يوحنا الحلو، دارالمشرق، بيروت، ط4، 1991م، ص29

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص55

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص54

على الرغم من أن أوغسطينوس أعلن خلاصه من حياة الترف والمجون والماديات التي استقاها من مبادئ ماني؛ إلا أنه بقي يعيش نوع من الصراع الداخلي بين أوغسطينوس الفتى المراهق العبثي الطائش وبين أوغسطينوس الملتزم لتعاليم وفضائل الدين المسيحي، وقد وصف عبد الرحمن بدوي هذه المرحلة "بالأزمة الحاسمة"، ويقول في وصف حال القديس المشتت: "فقد شعر بأن نفسه ممزقة بين إرادة الخير وإرادة الشر، بين مطالب الروح ومطالب الجسد"<sup>1</sup>،

بعد الخلاص من هذا الصراع النفسي، اعتمد القديس أوغسطينوس في بناء فلسفته حول مختلف المواضيع على جملة من الفلسفات التي سبقته والتي كانت متداولة في المرحلة الوسيطة، إذ كان باحثاً ناهما ومحصّصاً لما يتلقاه، وشكلت له مرجعية فلسفية متينة، وهذا بدءاً بالفلسفة اليونانية، ويشبه القديس أوغسطينوس الفلسفة الأفلاطونية بالعدوى التي تصيب أي ناهم للبحث عن الحقيقة، فلما وقعت بين يديه بعض الكتب الأفلاطونية والأفلاطونيين قال بعد الاطلاع عليها أنه وجد فيها ما يشبه القول المستهل في انجيل يوحنا، وأخذ عن أفلاطون الكثير الكثير من المفاهيم الأساسية كالمثل والنفس... على الرغم من أنه غير مفاهيم وأفكار أخرى ونقحها وفقاً للتداولية المسيحية كالزمن والله وخلق العالم والعقل والجسد والخلود... حتى أن "ول ديورانت" في قصته للحضارة يقول بأن أوغسطينوس كان مفتتن بالفكر الأفلاطوني إلى درجة وصفه بـ"النصف إله"<sup>2</sup>. وكما تأثر أيضاً بالخطيب الروماني "شيشرون" الذي شكّل له القاعدة الفلسفية في بداية بحثه عن الحكمة والحقيقة، يقول في "الحياة السعيدة": "في السنة التاسعة عشرة من عمري اكتشفت في صف الخطابة كتاباً لشيشرون يسمّى هورتسيوس فاضطرت حباً للفلسفة وفكرت على الفور في أن أقف نفسي على دراستها"<sup>3</sup>، فقد أخذ من شيشرون أصول البحث الفلسفي وكيف الانتقال من المسلم من القول إلى ممكن الشك حول هذا المسلم من القول .

إضافة إلى هذه المرجعيات السالفة الذكر؛ نجد قاعدة أخرى قد لا تقل أهمية عن أفلاطون وهي فلسفة أفلوطين خاصة في ميولاته نحو التصوّف والحدس من خلال كتاب

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان. ط1، ص1984م، ص248.

<sup>2</sup> - ول ديورانت: قصة الحضارة؛ عصر الايمان، الجزء 01- المجلد 04، ترجمة محمد بدران، بيروت، 1949م ص92

<sup>3</sup> - أوغسطينوس أوريليوس: في الحياة السعيدة، ترجمة: يوحنا الطلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2007، ص92

التاسوعات، واعتبر أن جوهر الافلاطونية والأفلوطينية قابل لأن يتناغم مع تعاليم المسيحية ومبادئها، وهذا ما جعله دائم الاشتغال حول تقريب الافلاطونيين والافلوطيين إلى الدين المسيحي، وكما أن لأوغسطينوس مرجعيات أخرى عابرة لم تكن مفصلة فارقة في فلسفته كتأثره في البداية بالأبيقوريين والأريستيبوسيين لما كان من أتباع المانوية، والفلسفة الرواقية خاصة منها زينون الايلي، ثم تأثره بالمدرسة الشكّية أو الشكاك خاصة أثناء تشكيكه في المانويين وبداية اهتدائه للمسيحية ومساءلته لقضايا الله والشر والخير..

### ثانيا: مؤلفاته.

يعدّ لأوغسطينوس حوالي مائتي رسالة خمسمائة موعظة، والضياع طال الكثير من أعماله، ومن بين أهم مؤلفاته نذكر له: الاعترافات والمناجيات والمحاورات والمعلم، وكتبا في الرد على المانويين منها: أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين، في سفر التكوين ردّا على المانويين، الرد على أدامنث تلميذ ماني، الرد على فاوستوس...، وكتبا للرد على المسيحيين المبتدعين خاصة في الردّ على الدوناتيين والأريوسيين، إذ كانت الأريوسية آنذاك تقصد عقول الشباب وتنشر الأباطيل، وكما كتب في فته سقوط روما "مدينة الله"، وكتب عقائدية أشهرها "في الثالث" و"العقيدة المسيحية" ومراسلات مع القديس جيروم"، وكما له كتابات أخرى حول: خلود النفس، في الموسيقى...<sup>1</sup> وكثير ما يمتاز أسلوبه بالقوة والبيان والبلاغة.

و انتشر صيت تقواه في النواحي المجاورة، حتى أنه في سنة 391 أثناء رحلة له في هبون (بونه) طلب الأهالي الى أسقف فالريوس أن يكلف أوغسطين بمساجلة الدوناتيين، و هي ملة أسسها دونات Donat أسقف قرطاجة في سنة 312 و استمرت قوية في الشمال الافريقي حتى الفتح العربي و القضاء على المسيحية هناك. و معظم آرائها تتعلق بأمر عملية مثل اعادة التعميد. فحمله على قبول مرتبة برسبتيروس (كاهن في مرتبة دنيا)، ثم أشركه، في سنة 395، في مهمته الأسقفية. و بعد ذلك خلف أوغسطين فالبيوش على أسقفية هبون (بونه)ن و ظل يمارس هذه المهمة حتى وفاته سنة 430. و في هذه الفترة ألف الكتب التالية :

<sup>1</sup> - جونو و بونجوان، تاريخ الفلسفة و العلم في اوروبا الوسطية، ترجمة علي زيغور و علي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، بيروت/لبنان، 1993م، ص276

- 1- في سنة 396 أتم كتابه (في مختلف المسائل)
- 2- في سنة 401 نشر كتابه الشهير (الاعترافات) (في 13 مقالة)
- 3- سنة 412- سنة 416 : (مدينة الله)
- 4- في سنة 415 أتم كتابه (في التثليث)
- 5- سنة 413- سنة 415: (في الطبيعة و اللطف: ضد البلاجيين)
- 6- سنة 417: (ضد اتباع بلاجيوس)
- 7- سنة 426 (في اللطف و حرية الارادة)0
- 8- سنة: 429 (في البدع)<sup>1</sup>

### ثالثاً: مشروعه الفلسفي.

اشتغل القديس أوغسطينوس في فلسفته على مسألة البحث عن الحقيقة، والكشف عن تمظهراتها في حياة الإنسان، خاصة وأنه مرّ بأزمة شكّية حادة بعثت فيه جلّ الأسئلة المحورية الكبرى المتعلقة بالدين والأخلاق والمعرفة من قبيل "وجود الله" "الحرية الانسانية" "مصدر الشر"... وأصبح يشك في كل شيء ويتحرى في مقابل الشكّ اليقين التام.

اعتنق في بداية الأمر المانوية كسبيل موصل للحقيقة؛ آمن من خلالها بالمذهب الحسّي الذي تتبناه والحياة بمادّيّاتها، وكما أن في المانوية جانب آخر يهدف إلى قمع الشهوة والغريزة، التزم فيها القديس أوغسطينوس الصمت والسّماع، وارتضى منها شكلها العام من منهج ومبادئ واعتبار الله جسم منير...<sup>2</sup>، ولكنه اقتنع بعدما قضى فيها تسعة سنوات أن منهجها لا ينتهي بنا إلى الحقيقة المثلى، فقد لاحظ فيها النواحي الكثيرة غير المقبولة وتخلّى عنها بعد مناقشته لفاوستوس Faustus الذي بدا ناقص العلم وضعيف البراهين وبعيد عن الحقيقة، وأغلب أقوال المانوية وصفها في "الاعترافات" بأنّها: "أقوال فاسدة منبوذة"<sup>3</sup> لا تزيدنا إلّا بعدا عن الحقيقة، وبعدها تحوّل إلى الأفلاطونية المحدثة التي لمس فيها مبتغى العقل في بحثه عن الحقيقة خاصة استلهامه لفكرة عالم المثل التي جسّدها فيما بعد بما يسميه مدينة الله، وحقيقة الروح المتجلية فيما وراء عالم المادة، ولكنه أعرض عن بعض التصورات الأفلاطونية، خاصة مسألة القدم.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي الموسوعة الفلسطينية الجزء الأول، المرجع السابق، ص 249

<sup>2</sup> - جونو و بوجوان، تاريخ الفلسفة و العلم في أوروبا الوسيطية، مرجع سابق، ص 278

<sup>3</sup> - أوغسطينوس أوريليوس: الاعترافات، مصدر سابق، ص 123

وكذلك ما جعل القديس أوغسطينوس يرى الحقيقة في الفلسفة الأفلاطونية هو قربها الشديد للمسيحية، ويقول في "مدينة الله": "وإذا كان الحكيم بنظر أفلاطون من يتشبه بالله ويعرفه ويحبه فيملكه ويسعد حقاً، فهل من حاجة بعد مناقشة التعاليم الأخرى، وليس من تعليم يقارب تعليمنا أكثر من تعليم أفلاطون"<sup>1</sup>، بل نجده يخصص باباً كاملاً في طرح التقارب الموجود بين أفلاطون والدين المسيحي؛ ويقول في هذا الباب: "إخوان لنا بالمسيح يتعجبون حين يعلمون -إمّا بالحديث أو المطالعة- أن أفلاطون كانت له أفكار عن الله مطابقة لحقيقة ديانتنا"<sup>2</sup>.

الفلسفة الأفلاطونية بالنسبة لأغوسطين مثلت نوعاً ما المخرج والحل الذي كان يبحث عنه طوال تمذهبه بالمانوية ودخوله في الأزمة الشكّية، فقد وجد فيها حلولاً تساؤلاته، خاصة بعد اطلاعه على كتابات أفلوطين التي جاءت إلى حدّ كبير متوافقة مع فلسفة أفلاطون، في مسائل الله والخير والشر والسعادة...، وبالفلسفة الأفلاطونية والأفلوطينية اتضحت لدى أوغسطينوس الحقائق المسيحية التي كانت أمه الورعة تحدّثه عنها، وتقول اعترافاته أنّه كان يتلهّف على بلوغ اليقين وعلى الاستقرار عند حقيقة يطمئنّ إليها، وتشكّلت صداقة بينه وبين القديس الذي عمّده "أمبرواز" وقد كان يملأ الفكر ويشغل المفكرين والمؤمنين<sup>3</sup>، ومع هذا القديس اهتدى أوغسطينوس إلى المسيحية التي صار لا يرى الحقيقة إلا في ظلّ التعاليم التي جاء بها الكتاب المقدّس، وأنّ الحقيقة واليقين ليست من عمل العقل المشدّد كما نجدها عند أفلاطون ولا هي نتيجة من براهين واستدلالات منطقية كما يتبناها أرسطو ولا هي متجلية في المادّة كما عند المانوية، وإنما هي فوق كل ذلك وتتعلق بالحياة الروحية للإنسان والتي يستلهمها من الدّين.

كيف تصل النفس إلى إدراك الحقائق؟ يجيب أغسطين بالاشراق الباطن من الله على النفس..، مامعنى الاشراق - يتساءل عبد الرحمن بدوي- إنه يفترض أولاً أنّ إدراك النفس شبيه بإدراك العين للأجسام، فكما أنّه لكي تبصر العين الأجسام لا بد من النور؛ كذلك النفس

<sup>1</sup>-أوغسطينوس اوريلوس: مدينة الله، المجلد الأول، ترجمة: الخور أسقف يوحنا، الحلو، دار المشرق، بيروت/لبنان، ط2، 2006م،

ص371

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص382.

<sup>3</sup>-جونو و بوجوان، تاريخ الفلسفة و العلم في اوروبا الوسيطية، مرجع سابق، ص279.

في إدراكها للحقائق لا بدّ لها من إشراق نور عليها، وكما أنّ الشمس مصدر النور المادّي الذي يجعل الأجسام مرئية فإن الله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مبصرة للعقل، فالله بالنسبة إلى عقلنا كالشمس بالنسبة إلى بصرنا، وكما أنّ الشمس مصدر النور، كذلك الله مصدر الحقيقة<sup>1</sup>.

إن أكبر حقيقة يمكن أن يصل إليها عقل الانسان هي درجة الايمان ومعرفة الرب الإله، وهو ما تتشده المسيحية، فالحقيقة لا تُنشَد خارج مضامين الكتاب المقدّس، كمصدر للحقيقة والمسيح كالحامل المطلق لها، فهو معلّم الحقيقة الثابتة وهو التجلي النهائي للحقيقة ذاتها، و"ليس ثم غير المسيحية هاديا ومنيرا، لأن المسيحية وحدها هي التي تقدّم لنا الحكمة كاملة، وتقدّم لنا الله في أعظم صورته"<sup>2</sup>، لهذا فإن العقل عند أوغسطين، وإن كان ينشد الإيمان؛ إلا أن الإيمان من جهة أخرى يسبق العقل، لأن الإيمان هو الحقّ والعقل يسعى إلى الحقّ بغية تعقله وادراكه، فأنتى للعقل أن يسبق الإيمان ماذا سيعقل آنذاك لو لم يكن الحق -الإيمان- موجودا؛ غير أن هذه الحقيقة ذاتها في حاجة أيضا إلى العقل كي يكشف عنها، ويبين لنا أهميتها وقيمتها، ومن هنا كان الإيمان عند أوغسطينوس يعني "قبولا عقليا لحقائق الدين"<sup>3</sup>، فما يقرّه الدين يمثل الحقيقة المطلقة وما حاد عن النصوص الدينية المسيحية هو عينه الزيف والضلال.

تعليقا على انتهاء أوغسطينوس الى المعتقد المسيحي وتسليمه على أن الحقيقة في أكمل تجلياتها لا تكون إلا في هذا الدين قد نتساءل: هل تعب أوغسطينوس من البحث عن الحقيقة؟ فتوقف عند هذا المنتهى الإيمان المسيحي؟ أم أنه وجدها حقيقة في هذا الدين؟ بعد رحلة طويلة شاقّة في البحث عن الحقيقة، كأنه تعب من السّير؛ فاستسلم للدين، "هنا تطرح مشكلة النوايا مرة أخرى ومزّت، فهل القضية استسلام فعلا للإيمان، أو هي تعب ثم رضوخ؟"<sup>4</sup>، ولكن كتابة أوغسطينوس لكتاب الاعترافات الذي روى فيه مسار اهتدائه للحقيقة المسيحية كانت اجابة على هذا التساؤل، وأن الانتهاء للمسيحية هو انتهاء للحقيقة، والمدينة التي تهتدي للمنهج المسيحي وتتعلق بفكرة الخلاص هي التي يسميها بمدينة الله.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص250.

<sup>2</sup> - محمد محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب لعمالية، لبنان، ط1، 1993م، ص36

<sup>3</sup> - المرجع نفسه الصفحة نفسها

<sup>4</sup> - جونو و بوجوان: تاريخ الفلسفة و العلمفي أوروبا الوسيطية، مرجع سابق، ص279.

يقول أوغسطينوس في "مدينة الله": "تلك هي الديانة الحقيقية التي تتضمن الطريق المطلق لخلص النفس، والتي لا تستطيع أي نفس أن تخلّص إلاّ بها، وهي بمثابة الطريق الملوكي الذي وحده يوصل إلى هذا الملكوت، الذي لا تتأثر عظمته بتقلبات الأزمنة، بل تثبت على أسس الأبدية الراسخة"<sup>1</sup>، فالديانة المسيحية تكسبنا حقيقة الإشراق الالهي والعلم الباطني الداخلي الذي ينبع من نور إلهي إيماني مقدس، وليس للعقل الانساني إلا أن يهتدي لهذ الاشراق الروحاني ويتبع المعالم التي يرسمها له المعلم الأول وهو الرب، ولهذا نجد أوغسطينوس يفسر اكتساب الحكمة بإشراق الحقيقة الإلهية، أي بواسطة تأثير خلاق وغني، والذي تشارك فيه الروح الإنسانية الكمال الدائم والثابت للحقيقة ذاتها متجاوزة كل تجربة بشرية متغيرة وعابرة، لأنّ الوقائع الحسيّة ليست مصدرًا للكمالات الدائمة، يجب إذن إثبات وجود حقيقة جوهرية، مع الإيمان بقدرة العقل الإنساني على الوصول بذاته إلى الحقيقة، وذلك بواسطة المشاركة الحميمة أكثر مع هذه الحقيقة الجوهرية التي تتميز بالوجود الضروري والأولي<sup>2</sup>، فالحقيقة المطلقة وفقا للرؤية الأوغسطينوسية تأتي عن طريق الاشراق، أي إشراق نور العقل الالهي على العقل الإنساني. وهي الفكرة التي استمدّها من فلسفة الفيض الأفلوطيني وهي الفلسفة التي تبناها حتى الفلاسفة المسلمين فيما بعد كنظرية مفسرة لفيض العقول عن الله. كالكندي والفارابي وابن سينا.

أثرت الحقيقة الدينية الإلهية الاشراقية التي انتهى اليها القديس أوغسطينوس في مسار بحثه عن الحقيقة المطلقة، على جل آراءه حول القضايا الفلسفية ونظريته في المعرفة، وأصبحت آراء لا تنفكّ تنفصل عن المبادئ المسيحية الحقّة، فالفلسفة حسبه هدفها الأساسي أن توصل الإنسان إلى الله، وتحولت معه المعرفة من الحقيقة العقلية كما أقرّها اليونان مع أفلاطون وأرسطو، إلى معرفة روحية اشراقية إلهية. ومن بين أهم المسائل التي اهتم بها أوغسطينوس في فلسفته على غرار كل الفلاسفة الذين سبقوه نجد مسألة الأخلاق.

**رابعاً: السعادة وثنائية الخير والشرّ.**

لقد صاغ القديس أغلب آرائه الأخلاقية لمتواليّة الخير والشر ومعظم خطاطات السعادة والحكمة الأبدية في كتاب "مدينة الله" وكتاب "اعترافات"، فطرح إشكالية مصدرية الشر

<sup>1</sup> -- أوغسطينوس أوريليوس: مدينة الله، المجلد الأول، مصدر سابق، ص513.

<sup>2</sup> -سعودي كحول، نظرية الاشراق قيمة الحدس في بناء المعرفة عند القديس أوغسطين، مجلة العلون الانسانية و الاجتماعية، عدد 44-

ديسمبر 2015، ص 12.

وأصليته وفضيلة الخير ولزومية التعلق بمنبعه الالهي، والسعادة القصوى هي الله وحده بعيدا عن أي تعلق مادّي دنيوي، وكلما ارتقى الانسان في اعترافه كلما كان على قدر النقاء والصفاء الذي يمكنه من بلوغ السّعادة، فالقديس يربط مسألة السعادة بالاعتراف، لأن الاعتراف ينقي النفس من شوائب الخطيئة وهو طريق الخلاص، يقول في الباب العاشر من "الاعترافات" وهو الباب الذي يسميه الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور" "باب رحلة البحث عن الله"<sup>1</sup>: "...أظهرت لك ذاتي يارب، أنا أيّا كنت وقلت لك لأية غاية اعترف لك، واعترافاتي هذه أقدمها إليك لا بألفاظ وأصوات بل بكلام النفس، بهتاف الفكر الذي تعرفه أذناك: أنا كنت شريرا فاعترفتي لك هو غم وكرب وكدر، وإن كنت صالحا فليس اعترافي تمجيذا لنفسي، لأنك أنت أيها الرب تبارك البارّ بعد تبرّره لخطئه..."<sup>2</sup>، فأهم مسألة تحصل السعادة وتبلغ الانسان المسيحي المؤمن مبلغ الفضيلة هي مسألة "الاعتراف" بحيث يمثل المنهج الذي على النفس أن تتقيّد به اذا ما أرادت النقاء والصفاء وتحصيل الحدس الإلهي والحقيقة اليقينية المطلقة لأن الحدس لا يكون إلا لمن تعلق بالحكمة الالهية وانفصل عن مبتغيات المادة، وليس هناك أي إنسان لا يأمل السعادة والوصول إلى الفضيلة والقرب إلى الرب، وإن كان هذا مبتغى أي إنسان إلا أن الله لا يقرب إلا لمن كسر قلبه بالاعتراف والتواضع أمامه بخاطر مجبور" فكما يقول القديس: "قريب هو الرب، ممّن؟ من المنكسرة القلوب، الربّ عال ويرى المتواضع؛ أمّا المنكبر فيراه من بعيد"<sup>3</sup>، وفي تعريف القديس أوغسطينوس لمسألة السعادة في الجزء الثاني من كتاب "مدينة الله" يقول: "هي رغبة شرعية في لكلّ كائن؛ التمتع بلا تشويش بالله ذاته، الخير الثابت، وبعيدا عن كلّ شك، وعن كل الضلال يعزى لضمان الغبطة الأبدية، إنّنا نعتقد بإيمان وورع، إن تلك السعادة هي سعادة ملائكة النور"<sup>4</sup>.

تمثّل مسألة الرّغبة في السعادة في الفلسفة الأوغسطينوسية أهم دليل برهاني على وجود الله، لأن الانسان دائم الاحساس بالتيهان والشّتات في هذا الوجود الغامض، سيكون دائم البحث عن الرّشاد والسّر المتحكّم في هذا الوجود، ولهذا كان اهتدائه يُعزى الى البحث

<sup>1</sup>- بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009م، ص158

<sup>2</sup>- أوغسطينوس أوريليوس: الاعترافات، مصدر سابق، ص194.

<sup>3</sup>- أوغسطينوس: حديث الرب مع السامرية؛ رابع النفوس العجيب، ترجمة و اعداد: الراهب القمص موقوريوس الانبايشوي، مكتب النصر للطباعة، القاهرة، ط1، 2007، ص24.

<sup>4</sup>- أوغسطينوس أوريليوس: مدينة الله؛ المجلد الثاني، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروتن ط2، 2006، ص24.

عن الله وتحقيق السعادة المنشودة، ويعتبر أوغسطينوس أن تلك الرغبة ربّما كانت حنيننا إلى السعادة التي فقدناها آدم مع اقترافه لفعل الخطيئة أو ما يسميه بول ريكور بالذنب الأول لما كان يتمتع بالإرادة الحرّة، فسعى الانسان وراء بلوغ المحبّة الالهية، والتقرب من الله كان ناتج عن لاوعي الخطيئة التي تعود لسيدنا آدم، والسعادة هو التكفير الالهي وقبول الله لتوبة عبده، وكلما كان الانسان قريب من الله باعترافه كلما تذوق السعادة وأحس بالبراء الذي يخرج من داخل ذنب الخطيئة الأولى، ونقرأ للقديس في الباب العاشر من الاعترافات ما نصّه: "إن إقرارى بالخطايا الماضية المغفورة - وقد غطّيتها أنت يا من أردت أن أجد فيك سعادتي يوم غيرت نفسي، من حال إلى حال، بإيمانك وسرّك - يحيي قلب من يقرأه ويمنعه من أن يستسلم لليأس ويهتف (أنا عاجز) ويوقظه على محبة رحمتك وعذوبة نعمتك التي تقوّي الضعفاء وتجعلهم يشعرون بضعفهم، أمّا الصديقون فيطيب لهم سماع أخبار هفوات أناس قد شفوا منها لأنّهم يعرفون أنّها كانت وامّحت"<sup>1</sup>، فسعادة الانسان تكمن في تقبّل الله له وقبول اعترافاته، وكل الخدمات الي يقدمها في خدمة الله ليس الغاية منها الا بلوغ السعادة؛ وقد خصّص القدس اغسطينوس الفصل الثالث عشر للكشف عن سبل ارضاء الله والحصول على السعادة، ويقول: "... عليّ أن أخدمك وأكرمك لكي أحصل على سعادتي يا من خلقتني للسعادة"<sup>2</sup>. "والسعادة هي أن يفرح الإنسان بك ولأجلك ويسببك؛ أجل تلك هي السعادة ولا سعادة إلّاها وكل من يتصوّر سعادة سواها يسعون في أثر فرح مخالف للحقيقة"<sup>3</sup>، وعلى حسب الاعتقاد الاغسطينوسي فإن الأصل في الإنسان هو تحقيق مبتغى السعادة التي خلقه الله عليها، لأن هذه السعادة تمثل الهدف الأسمى في وجوده وغاية تعبّده، وفي ملخص فلسفة السعادة عند أوغسطينوس هو ما وصل إليه في رحلة البحث عن ذاته منذ أن كان على خطى المانوية وشيشرون ثم أفلاطون وأفلوطين، بحيث وصل إلى أن السعادة هي "الله"، وهو ما أقرّه في كتاب "محاورة الذات": "... اللهم أيها السعادة.."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أوغسطينوس أوريليوس: الاعترافات، مصدر سابق ص 195

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ص 195

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 215

<sup>4</sup> - أوغسطينوس أوريليوس: محاورة الذات، ترجمة: الحور أسقف يوحنا الطو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2005م، ص 09.

هذا، وان أكثر المسائل التي تناولها هذا الفيلسوف. مشكلة أصل الشر وفضيلة الخير الأسمى حيث درس القديس أوغسطينوس مسألة الخير والشر في مختلف المذاهب التي اعتنقها، خاصة منها المانوية، التي وجد فيها التفسير البسيط والمادي لهذه المشكلة، وتبني مبدأ استحالة الفصل في هذه المشكلة كونها أشبه بصراع النور والظلمة واللذة والألم التي عرفها العالم منذ الأزل، "ولكن بعد اعتناقه للمسيحية كان عليه أن يجد تفسيراً آخر لوجود الشر في الإنسان وفي العالم، إن الله خير، وهو لا يتغير وبالتالي لا يفعل الشر، أما المخلوقات فهي وإن كانت مخلوقات الله، فإنها ليست من جوهر الله"<sup>1</sup>، يستمد القديس نظريته للخير والشر من منظوره العام لتيمة السعادة والأخلاق التي لخصها في مقولة الله الثابت الأبدي المنعم على الانسان من فضله وسماحته، فنجده يقدم تعريفا مضبوطا لمفهوم الخير والشر والغاية منهما؛ ويقول في مدينة الله: "إن مشكلة الغاية المنشودة من الخيور والشرور، تنير لدى الفلاسفة جدلا طويلا، وإذا ناقشوها بعمق اهتموا في اكتشاف ما يجعل الانسان سعيدا، وفي الواقع، إن الغاية من خيرنا هو ما يجب أن يسعى إليه الإنسان بكلّيته، وبتحد ذاته، والغاية من الشر ما يتجنبه بكلّيته في حد ذاته، وعلى هذا النحو فإننا نعني بالخير ما يحققه ولوصوله إلى كماله لا ما يقضي عليه نهائيا، كما أن غاية الشر لا ما يقضي عليه نهائيا بل ما يوصله من الأذى إلى الذروة، هاتان الغايتان هما الخير الأسمى والشر الأسمى"<sup>2</sup>. والخير وفقا لما توحى إليه أغلب كتابات أغسطين هو "الله". ولهذا كان إقبال الإنسان على الخير هو إقبال على الله، لأن الله يمثل النعيم الأبدي الخير المطلق الذي لا يصدر منه الشر إطلاقا، وعلى الانسان أن يسمو إلى الخير والنعيم الأبدي ويترفع عن نزوعه نحو الشر الذي يدخله عالم الشقاء والبؤس والتعاسة، ويقول القديس أغسطين معترفا بعوج طبيعة البشر نحو الشر على الرغم من أن الله خلقها على سليقة الخير: "إلهي... متى يستقيم عوج طبيعتي على نهج صلاحك لأقترب من كمالك، الوحدة السكون الحق الطهارة، كلّها ياسيدي مستحبة لك، والجموح، الضوضاء الكذب الحسد مكرمة عندي...، أنت محب مَنّان قدّوس عادل؛ أمّا أنا فشرير محبّ لذاتي خاطئ وظالم، أنت النور والحياة والدواء، البهجة والحق المطلق، أمّا أنا فظلام، موت، مرض وتعاسة مطلقة كسائر البشر..."<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدويك موسوعة الفلسفة، ج1، مرجع سابق، ص251

<sup>2</sup> - اوغسطينوس اوريلوس: مدينة الله؛ المجلد الثاني، مصدر سابق، 102-103

<sup>3</sup> - اوغسطينوس أوريلوس: الهي أعترف لك، ترجمة: بانوب عوض، كنيسة الشهيد مارجرس، دط، دت، ص22

فأصل الشر حسب هذا الاعتراف الاغسطينوسي هو الانسان وليس الله، وصفات الله كلها خيرة تعبر عن النعيم الأبدي والمحبة والتسامح والجمال.

### خامسا: المدينة والتاريخ.

كان طرح القديس أغسطينوس لمسألة الأخلاق في فلسفته والبحث عن إمكانات السعادة التي يصبو إليها الإنسان يهدف أساسا إلى تأسيس مدينة سياسية أخلاقية بنظام إلهي ديني يربها الله بعدله وحكمته، ويكون فيها الانسان مواطنا صالحا عابدا ومطيعا للسلطة الإلهية وملتزما بالفضائل الأخلاقية، دون أن تكون له أي سلطة في فرض أي نظام مناقض لسلطة الله الأمر النهائي، ومحاولة التاريخ لهذه المدينة والدفاع عنها ونقد كل الأنظمة السائدة التي كانت تركز للوثنية وحب الذات والحروب واللا-أخلاق.

### 1/ بين مدينة الله ومدينة الأرض.

يطلق القديس أغسطينوس على هذه المدينة العلوية العادلة الفاضلة بمدينة الله؛ وتمثل نزعة الانسان نحو الخير، يقول القديس في مقدمة الجزء الأول من كتاب مدينة الله: "إن مدينة الله المجيدة، سواء كانت تتابع حجتها وتعيش إيمانها بين الأمم، أم استقرت في الأبدية التي تتوق إليها بصبر حتى يعود القضاء إلى العدل الذي ستظفر به أخيرا هذه المدينة بسلام تام.. إنه لعمل شاق يتطلب وقتا طويلا. لكن اتكالنا على الله الذي يمدنا بقوة منه"<sup>1</sup>، فمدينة الله ستكون مدينة فاضلة عادلة تستمد قوة حكمها من قوة الله العادل ونعمته لا غير، ولا مكان فيها للمتكبرين والمتسلطين من البشر.

أما المتكبرين والمتسلطين الذين يغلب عليهم منطق الشهوة على الحكمة إلى فينتسبون إلى مدينة أخرى غير مدينة الله المجيدة وهي ما يسميه القديس بالمدينة الأرضية أو "مدينة الأرض"، بحيث تكون منزلتها دون مدينة الله ومعارضة لها في مبادئها وأحكامها وحتى مواطنيها من جانب الالتزام بالأخلاق والفضيلة، فاذا كانت مدينة الله تمثل نزعة الانسان نحو الخير فإن مدينة الأرض فهي تمثل نزعة الانسان نحو الشر، يقول في وصف هذه المدينة: "مدينة الأرض سيّدة الشعوب المستعبدة التي سوف تكون بدورها أسيرة شهوة التسلط"<sup>1</sup>، وعلى مواطني المدينة المجيدة حماية هذه المدينة من تطاول مواطني مدينة الأرض التي هي ملاذ للتسلط والظلم والشهوة، وكما يمكن وصفها حسب تلاميذ أغسطينوس فيما بعد بـ"مدينة

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص09.

الشیطان" لكونها في حرب دائم مع مدينة الله، ومدينة الأشرار، الحب فيها غير نقي، في خلاف دائم مع الله، حسودة، هدفها إخضاع الغير، وهي مدينة الشعوب الكافرة، على الرغم من أن القديس لم يقدّم بشيطنة هذه المدينة، بل اعتبر أن الله وحده من سيفصل في طبيعة هذه المدينة ومصيرها<sup>1</sup>، وقد أدانها القديس ووصمها بالإثم والخطيئة، ولما كان أهل هذه المدينة الأرضية في صراع دائم مع المدينة الإلهية، كان أهل هذه المدينة في كفر وخروج عن منهج الله، لهذا كانت سياستها خائبة وغلبت حب الذات على حب الله، ولن يصمد نظامها طويلاً، وقد نلمس التأثير الأفلاطوني على الرؤية الأغيسطونيسية للمدينة من جانب تقسيمها الى عالم علوي وعالم سفلي أرضي، والذي يتوافق مع التقسيم الأفلاطوني لعالم المثل والعالم السفلي الأدنى.

## 2/ التاريخ والدفاع عن العقيدة.

إن تأثر القديس أوغيسطينوس بالمدرسة الشكّية، جعله يعتمد هذا المنهج الشكّي ليشك في مختلف الحقائق وجل الأحداث التاريخية التي تلقّاها، ومحاولة إعادة قراءتها قراءة جديدة وفقاً للمنظور اللاهوتي المسيحي، وهو ما عكف عليه في كتاب "مدينة الله" الذي انتقل فيه بين مختلف الأمصار والمذاهب والحقب التاريخية التي اختصّت الأنبياء، فلو تأملنا كتاب مدينة الله الذي فصل فيه بين تاريخ مدينة الله ك لحظة تاريخية مقدّسة فارقة يرسم مساره الله وحده ويكون أبدياً<sup>2</sup>، وبين تاريخ مدينة العالم الأرضي الذي يميّزه الصّراع والجشع، والحروب ويكون مؤقتاً، فالتاريخ حسب هذا المنظور "يدور حول كلّ من المؤقت والأبدي الدائم، فالله أبديّ وهو خالق الزمن ولا يجوز فهم الأبدي أو من وجهة نظر المؤقت، فالله موجود وحالّ في الزمان كلّه مثلما هو أبدي، .. وأنّ العلاقة بين المؤقت والأبدي غير مفهومة للإنسان، والله في إطار التاريخ البشري هو العناية الإلهية"<sup>3</sup>.

حاول دراسة تاريخ البرابرة والدخول في صراع مع الدوناتيين، ودراسة تاريخ المانويين وتاريخ المدينة الرومانية والعبرانيين والآشوريين والقوط والمذهب الوثني، وكما استخدم المنهج التاريخي من أجل البحث عن البشائر والنبوءات التي تثبت نبوءة المسيح في تاريخ الأنبياء

<sup>1</sup> - علي عزيبور: أوغسطين؛ مع مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفة الوسيطية، مرجع سابق، ص225-227

<sup>2</sup> -أنظر: أوغسطينوس أوريليوس: مدينة الله، المجلد الثالث، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الطو، دار المشرق، بيروت لبنان، ط2، 2007م

ص6.

<sup>3</sup> -رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ؛ نظريات في فلسفة التاريخ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2000م،

والرسل، والدفاع عن العقيدة المسيحية، فقد استخدم التاريخ كمنهج لإثبات عقيدته وشرعتها تاريخياً، "وتصوّر بأنه ثمة علاقة نفعية تبادلية بينه وبين العقيدة المسيحية، ويمكن توظيف التاريخ بعدة طرق لإبراز قيمة المسيحية والدفاع عنها، وأوّل توظيف للتاريخ عنده هو جعله يلعب دور الدعامة القوية للمسيحية، وما يميّز المسيحية عن الوثنية هي أن الثانية دعامتها الأسطورة أما الأولى فدعامتها التاريخ"<sup>1</sup>، ويعود اهتمام القديس بالتاريخ أساساً إلى تثبيت المسيحية وتبرير أطروحاتها وأهدافها الانسانية من أجل نقل الإنسان وتخليصه من مدينة العالم السفلي الأرضي إلى مدينة الله، أما الدور الثاني الذي ارتآه لفن التاريخ غير الدفاع عن المسيحية هو محاولة ادخالها في التاريخ العالمي الشامل وادخالها ضمن منظومة التاريخ المقدّس.

### الخاتمة:

نصل في الأخير إلى القول بأن القديس أوغسطينوس اهتم أساساً في فلسفته بمسألة الدين المسيحي منتهاها إلى أن أقصى ما يمكن أن يبلغه الإنسان في بحثه عن الحقيقة والمعرفة الحقة وهو "الله" وتتبع سبل الوصول إليه كحقيقة مطلقة تبعث في الإنسان إشراق السعادة من فضائل وأخلاق والخير الأسمى، وتمكّنه من تحقيق الخلاص المنشود عن الخطيئة أو الذنب الذي بقي متعلّقاً بالإنسان منذ بداية الخلق، فكانت فلسفته دينية/مسيحية باحثة في ماهية الله، وقد اهتم بأغلب العلوم التي يمكن له أن يستخدمها للدفاع عن المعتقد المسيحي كاللغة والخطابة والتاريخ والسياسة، وحتى في تقسيمه للمدينة بين مدينة الله ومدينة الأرض كان الغاية منه فصل مختلف الشّور التي يتسبب فيها الإنسان

بمنازعه عن الله الخير المطلق، وحصرها في مدينة الأرض دون مدينة الله الحق، وقد اعتمد أوغسطينوس في فلسفته على المنهج النقدي وفلسفة التاريخ؛ خاصّة من جانب نقد مختلف المذاهب التي مرّ عليها واعتنقها كالمناوية والابيقورية والشكية...، بهذا، نفهم أن التفلسف عند أوغسطينوس لا يتم عنده بدون تطهير القلب بمعونة النعمة الإلهية، وهو ما يعني أنه بحق يعد الممثل الأبرز للعصر الذهبي الفلسفي الوسيطة الذي صاغ مشروعاً

<sup>1</sup> - زينب محمد الخضيرى: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء، القاهرة، ط1، 1997م، ص57.

فلسفيا في تفعيل الحركة العقلية الفلسفية في الفكر الغربي الحديث. وشرف بذلك تاريخ الفكر  
الجزائري القديم.

جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله  
كلية العلوم الانسانية  
قسم الفلسفة

فرقة بحث :

أعلام الفكر الجزائري

رئيس الفرقة أ.الدكتور :  
مناد طالب

اعداد الطالب : ايكار محمد عبد القادر

الموسم الجامعي : 2022/2021

## الفصل الثالث: أعلام الجزائر في العصر الوسيط

السياق المعرفي و التاريخي للفكر الجزائري الوسيط

## السياق المعرفي و التاريخي للفكر الجزائري الوسيط :

الوقوف على النتائج الفكرية لعلماء الجزائر في العصر الوسيط يقتضي منا تسليط الضوء على البيئة والظروف الاجتماعية والثقافية التي تميزت بها المرحلة، باعتبار أن الفكر وكيفما كان لونه وميدانه يتنكه ويتنسم بنكهة هذه الظروف الملائمة له، إذ هو في النهاية تجلٍ لها. ومادام الأمر كذلك نسعى إلى اعطاء نظرة خاطفة على بيئة هذا العصر.

بداية البيئة الثقافية للعصر الوسيط الجزائري عرفت بتمازج ثقافي متعدد يرجع إلى دويلات عدة بداية من الدولة الموحدية وامتدادا إلى العهد العثماني؛ فمن جهة الدويلات التي اعقبت دولة الموحدين المتناحرة والمتضاربة خلال هذه الفترة والتي عرفت بضعفها الثقافي، ومن جهة ثانية العهد العثماني المعروف باهتمامه بالجانب العسكري أكثر من شئٍ آخر. ذلك حسبما أورده أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي (وأثناء دراستنا لإنتاج القرن التاسع عشر سيتضح أنه كان حلقة بين إنتاج عاش في ظل إمارات محلية ضعيفة وإنتاج عاش في ظل "احتلال" إسلامي مركزي قوي)، لكن رغم ذلك يشير المؤرخ أبو القاسم سعد الله إلى أن عدد علماء الجزائر خلال القرن التاسع الهجري أي (15م) يفوق عدد علماء الجزائر في القرون الأخرى خصوصا القرن العاشر هجري الذي عرف تراجعا في التأليف والإنتاج الفكري عموما اللهم الاعتناء بتراث القرن التاسع وشرحه والتعليق عليه من خلال الحواشي<sup>1</sup>.

الجزائر آنذاك كانت تعرف بالمغرب الأوسط كما المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وهي الأسماء التي أطلقها العرب المسلمون على المنطقة، ولم تعرف بالجزائر إلا مع العثمانيين حسب أبو القاسم سعد الله، حينها المغرب العربي كان تحت نفوذ ثلاث دول وهي المرينية والزيانية والحفصية؛ دول لم تتمكن من تثبيت الحكم وإقراره على حال إذ شهدت مرحلتها تناحرا داخليا ومكائدا سعيا وراء السلطة والاستئثار بالملك، ضف إلى ذلك أن أماكن ومناطق عدة من المغرب العربي قد تم الاستيلاء عليها واحتلالها من البرتغاليون والإسبان،

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1998، ص39.

من بينها دلس وجيجل وعنابة وبجاية ووهران وهذا خلال القرن التاسع الهجري دائما وبات الأجنب يتدخلون في توجيه الشؤون الحياتية للأقاليم<sup>1</sup>، وبشكل عام عرفت البيئة السياسية اضطرابا كبيرا وضاعت أمصار عدة من الأراضي الإسلامية ما جعل بعض علماء المرحلة يستنهضون الهمم للجهاد منها رسالة عبد الرحمن الثعالبي في الجهاد يحمل فيها المسؤولية للعلماء أمام اللهو الناس لصد غارات واعتداءات الأجنب أو كما أسماهم بني الأصفر<sup>2</sup>، وذلك بعد أن أدرك العلماء عدم جدوى السلاطين حينها في حماية بيضة الامة. كما أن التدهور الكبير للحالة السياسية و الاقتصادية دفع بعض العلماء إلى الهجرة للمشرق والمغرب في حين ظل بعضهم ملازما لبض الأمراء ومنهم من اعتزل الحياة مفضلا الزهد والتصوف، يقول أبو القاسم سعد الله أن الجزائر خسرت علماء أفاضل حينها كالونشريسبي الذي ركن إلى فاس لأسباب سياسية، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي مهاجرا من تلمسان إلى السودان القديمة ومنهم من هاجر إلى المشرق كالمشدالي البجائي وأحمد بن يونس القسنطيني وغيرهم، وممن لازموا السلطان "ابن القنفذ" الذي ألف الفارسية للسلطان أبي فارس الحفصي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الذي ألف (نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان) للسلطان أبي عبد الله محمد بن أبي تاشفين الزياني، ليتجه عبد الرحمن الثعالبي وتلميذه أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري وكذا محمد بن يوسف السنوسي معاصرهما إلى العزلة والتصوف وترك الدنيا والاهتمام بعلوم الآخرة<sup>3</sup>.

لكن ومن جهة ثانية ومع كل تلك الظروف كانت العديد من المدن والحواضر مراكز علم اشتهرت فيها مدارس وعائلات عرفت بالعلم والاشتغال به منها، عائلة المقرئ والعقباني في تلمسان، وعائلة ابن باديس والقنفذ في قسنطينة، وعائلة المنجلاتي والمشدالي في بجاية، وابن السكات بالجزائر، ومن مدن وحواضر العلم حينها؛ تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وعنابة ويسكرة، كما أنه أحصي في تلمسان خلال القرن التاسع الهجري خمس مدارس على الأقل أما مساجدها كانت حوالي ستين مسجدا، مما أسهم في انتشار

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 40- 41

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 43

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 45- 46(بتصرف)

التعليم في الزوايا وحلق الدروس والمساجد والمدارس، على أنه تعليم غلب عليه الجانب النظري وعلوم الدين وعلوم اللغة العربية، كما تجدر الإشارة إلى سيطرة الفقه المالكي وغلبته على العبادات والمعاملات والانتاج الفقهي بشكل خاص.

أيضا كان لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الجزائري الذي قال عنها المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنها كانت خيرا وبركة على المغرب العربي بشكل عام فلعبوا دورا أساسيا في الانتاج الفكري والثقافي، فقد تولوا التدريس والتعليم بما فيها الموسيقى وجاءوا بطرائق جديدة في التعليم لا تقتصر على تحفيظ الأطفال القرآن فحسب كما كان الامر من قبل بل زادوا تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وعلموا روايات القرآن، كما أسهموا في ايجاد بيئة فكرية عالية بين العلماء بإجراء مناقشات علمية وفكرية وعقد مجالس مناظرة بين كبار العلماء إما في دورهم أو في المساجد والزوايا، وبذلك اكتسح الاندلسيون الحياة الثقافية المغربية بشكل عام في مختلف جوانبها ونواحيها<sup>1</sup>.

بعد هذه الإطالة السريعة على البيئة الثقافية للجزائر خلال العصر الوسيط وما شهدته من تجاذبات وتدافع فكري كبير جدا يمكن القول بأنه وبحق علماء هذه المرحلة رابطوا وجاهدوا في سبيل الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية والذود عنها ولا أدل على ذلك الإنتاج التراكمي الذي خلفوه وراءهم متحدين الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية القاهرة التي ما فتئت تحارب العلم والفكر سواء على الصعيد الداخلي من طرف بعض السلاطين وأذنايهم بالمكائد والدسائس و الوشاوي المغرضة، أو من طرف العامل الخارجي الغزو الصليبي الذي ظل مترصا بالحواضر الإسلامية ولم ينسى هزائمه خلال الفتوحات الإسلامية.

وعليه نحاول بعون الله الترجمة لبعض العلماء وإعطاء نظرة عامة على إنتاجهم الفكري خلال هذه المرحلة، متسائلين عن أنساقهم المعرفية وعن كيفية تفاعلهم مع هذه الظروف الحامية المتوترة وما انتجوه من معرف وأفكار فكيف ذلك؟

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص46 - 47 (بتصرف).

## أعلام الجزائر في العصر الوسيط الفصل الثالث

المبحث الاول: السياق المعرفي و التاريخي للفكر الجزائري الوسيط

### المبحث الثاني

(أعلام الجزائر في هذا العصر)

1. عبد الرحمن الثعالبي (1384م)
2. أحمد الونشريسي (1430م)
3. عبد الرحمن الأخضرري (1512م)
4. محمد بن أحمد المديوني (ابن ابي مريم)  
(1611م)
5. أبو عبد الله السنوسي (895 هـ)

أولاً: عبد الرحمن الثعالبي

(1384م - 1479م)

1. ترجمة الشيخ الثعالبي: (إسمه، مولده، ونشأته)

2. حياته العلمية: (تلقيه للعلم)

3. مشايخه

4. تلامذته

5. آثار ومؤلفات الشيخ الثعالبي

## ترجمة الشيخ الثعالبي: (إسمه، مولده، ونشأته)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري<sup>1</sup>. الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح العرف بالله، صاحب التصانيف المفيدة، كان من أولياء الله المعرضين عند الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين<sup>2</sup>.

ولد الشيخ الثعالبي سنة 786هـ. وقيل 787هـ.<sup>3</sup> بوادي يسر شرق الجزائر العاصمة وهناك نشأ وترعرع إلى أن شب، حيث تلقى تعليمه الأولي من مبادئ العلوم، فكان الثعالبي نتاج عصره كما وصفه المؤرخ الجزائري "أبو القاسم سعد الله". ويرمي إلى الاهتمام البالغ من بيئة الشيخ بعلوم الدين وما يلزمها من علوم الآلة كاللغة والحساب وغيرها.

أما عن الحالة الاجتماعية للثعالبي؛ أورد صاحب كتاب (التحفة المرضية في الدولة البكديشية في بلاد الجزائر المحمية) محمد بن ميمون أن للثعالبي ثمانية أولاد كلهم من أم واحدة إسمها "مريم"؛ أربعة ذكور: (محمد الصغير، محمد الملقب بـ"ابن الصالحيت" محمد الكبير، ويحي الذي كان يكنى به). أما الإناث وهن أربع أيضا: (فاطمة، رقية، محجوبة، وعائشة).

توفي الشيخ الثعالبي رحمه الله يوم الجمعة 23 من شهر رمضان سنة 875هـ، الموافق لـ 15 مارس 1479<sup>4</sup> عن عمر ناهز تسعين عاما كانت كلها في مرضاة الله وخدمة دينه، وهو ما شهد به تلامذته ومعاصروه، نقل جثمانه إلى مرقده المعروف حاليا بباب الواد حيث كان يسمى حينها بـ "مقبرة الطلبة" حيث دفن جميع أبنائه ذكورا وإناث.

للشيخ عدة ألقاب أشهرها **الثعالبي**؛ نسبة إلى قبيلة الثعالبة وهي قبيلة عربية استقرت ببسر، وهو لقب الشهرة الذي يميز، ويعرف به ومنه سمي تفسيره المشهور "تفسير الثعالبي"

<sup>1</sup> محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف ( شجرة النور الزكية) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424.هـ. ط. 1. ج. 1. ص. 382.

<sup>2</sup> أحمد بابا التنبكتي (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) دار الكاتب طرابلس. ط. 2. ص. 257-258.

<sup>3</sup> نيل الابتهاج. ص. 260.

<sup>4</sup> محمد بن ميمون الجزائري (التحفة المرضية) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1981. ص. 337.

ويلقب أحيانا بالمالكي إضافة كونه عالما من علماء المالكية في المغرب الأوسط كما هو مبين في (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية).

## 2. حياته العلمية: (تلقية للعلم)

اشتغل الشيخ الثعالبي بالعلم في سن مبكرة حيث هجر الديار مرتحلا في سبيل طلب العلم وتحصيله ومدارسته، وهي الميزة الأساسية لطالب العلم حينها (الهجرة سعيا وراء التحصيل والإستزادة من العلم)، حظ الرحال ببجاية الوجهة الأولى له حيث كانت قبلة آنذاك للعديد من الطلبة لما فيها من عناية بعلوم الدين والتصوف نذكر من ذلك مدرسة "عبد الرحمن الوغليسي"<sup>1</sup>. قصد بعدها تونس وكانت عاصمة الحفصيين وملتقى علماء جامع الزيتونة، كما يرجح أبو القاسم سعد الله أنه توقف بقسنطينة، وأخذ العلم بتلمسان، ومن بعدها مصر ومكة ولعله<sup>2</sup> زار أيضا بغداد ودمشق والقدس كما هو شأن العلماء في رحلة الحج.

كان يتلقى العلم خلال تجواله بالمشافهة وأحيانا بالإجازة، فأجيز في الحديث في صحيح البخاري ليصبح فيما بعد محدث الجزائر وتونس والمغرب العربي عموما، وقد وضع فهرسا في علم الحديث أسماه (غنية الواجد وبغية الطالب الماجد)<sup>3</sup>.

يقول عن نفسه موجزا رحلته في طلب العلم: (رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثامن فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمن الوغليسي و أصحاب الشيخ ابي العباس أحمد ابن إدريس متوافرون يومئذ، أصحاب ورع ووقوف مع الحد لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم وسلك أتباعهم مسلكهم كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي ابن عثمان المكلاطي وشيخنا الولي الفقيه المحقق أبي الربيع سليمان بن الحسن وابي الحسن علي بن محمد البليلي و علي بن موسى والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي، حضرت مجالسهم

<sup>1</sup> د. أبو القاسم سعد الله (تاريخ الجزائر الثقافي) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1981. ج.1. ط.1. ص.83

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله نفس المصدر. ص.83

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله نفس المصدر. ص.83

وعمدتي على الأولين ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة وأصحاب ابن عرفة متوافرون فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيسى الغبريني وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله البي وأبي القاسم البرزلي.. ثم رحلت للمشرق وسمعت البخاري بمصر على البلالي وكثيرا من اختصار الإحياء له، وحضرت مجالس شيوخ المالكية بها، وحضرت كثيرا عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي وأخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث، وفتح لي فتحا عظيما وأجازني، رجعت لتونس... ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث إذا تكلمت انصتوا وأقبلوا على ما أرويه، تواضعا منهم وإنصافا واعترافا بالحق، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمت من المشرق: كنت آية في علم الحديث..<sup>1</sup>

هذه الشهادة للشيخ الثعالبي تعكس الجد في طلب العلم وتنوع المصادر وبالتالي اتساع الرؤية ومثانة الأداة الاستنباطية وقوة الترجيح، كما يكشف عن ثراء حواضر الجزائر آنذاك بالعلم والعلماء ولا أدل على ذلك تعدد مشايخه في بجاية وحدها.

ليعود إلى الجزائر من جديد بعد هذا التطواف وطلب العلم ليشغل بالتدريس وبتث العلوم الشرعية بين أبناء الأمة، والتأليف على اختلاف أصناف العلوم الشرعية كما تعكسه مصنفاته، تقلد القضاء في الجزائر وفي فترة وجيزة تولى عنه ليتفرغ بالكلية لرسائله الشريفة العلم والتعليم.

كان الشيخ الثعالبي رحمه الله حريصا على إحياء مذهب أهل السنة وإيقاظ النفوس وتهذيبها بأخلاق الإسلام وهذا ما تكشفه عنه معظم كتبه فهو كان صوفيا ينتمي للمدرسة الأخلاقية في التصوف التي تهتم بالتربية وتزكية النفس، ومن جهة الفقه كان مالكا من طبقات المالكية في المغرب العربي، أما من حيث العقيدة فقد كان أشعري العقيدة، متكلما

<sup>1</sup>. أحمد بابا التنبكتي (المصدر نفسه). ص 258

بارعا لغويا كما يستنبط ذلك من كتابه في التفسير الذي بلغ به الآفاق (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) وهو اختصار عن تفسير ابن عطية.

ومن شهادة العلماء واعترافهم بالفضل له ما يروى عن الشيخ زروق قال: (شيخنا الفقيه الصلح يتحرى في النقل أتم التحري وكان لا يستوفيه في بعض المواضع).

ووصفه السخاوي قائلًا: ( كان إماما علامة مصنفا اختصر تفسير ابن عطية في جزئين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها).

وقال ابن سلامة البكري: ( كان شيخنا الثعالبي رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من أكابر العلماء، له تأليف جمة أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لابشراء ولاعوض)<sup>1</sup>.

أورد أبو القاسم سعد الله أن الثعالبي أثر بشكل كبير في ميدان الزهد والتصوف من ثلاث طرق، أنه كان مدرسا ناجحا وعالما واثقا من رسالته ومحدثا ومفسرا قويا وصاحب شخصية جذابة، والثاني تأليفه المتنوعة، والثالثة عن طريق زاويته التي تأسست عند طريقه والتي أصبحت مقصد الزوار وملقى الطلبة<sup>2</sup>.

### 3. مشايخه:

عرف الثعالبي بتنوع مشاربه العلميه واختصاصته وذلك لتعدد مدرسه ومشاخه نذكر منهم:

#### أ. بيجاية:

- أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي الزواوي

- أبو الربيع سليمان بن الحسن

- أبو الحسن علي بن محمد اليليتي

- علي بن موسى

<sup>1</sup> أحمد بابا التنبكتي (المصدر نفسه) ص. 257  
<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله (المصدر نفسه) ص. 84.

- أبو العباس أحمد النقاوسي

- أبو القاسم محمد المشدالي..

#### ب. بتونس:

- أبو مهدي عيسى الغبريني

- أبو القاسم بن أحمد البرزلب القيرواني

- أبو عبد الله محمد بن خلف الأببي الوشتاني...

#### ج. بمصر:

- البلالي

- أبو عبد الله الباطي.

- ولي الدين العراقي...<sup>1</sup>

#### 4. تلامذته:

يذكر للشيخ تلامذة كثر نورد منهم حسب صاحب كتاب (التحفة المرضية) مايلي:

. عيسى بن سلامة البسكري

. محمد بن مرزوق الكفيف

. محمد السنوسي الإمام

. علي بن محمد التالوتي أخو الإمام السنوسي لأمه

. محمد بن عبد الكريم المغيلي

. أحمد زروق الفاسي

. أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري (التحفة المرضية) ص.339-340

## 5. آثار ومؤلفات الشيخ الثعالبي:

ترك الشيخ الثعالبي تأليف كثيرة في شكل مخطوطات منها ما حقق وطبع ومنها ما يزال حبيس المخطوط عدها البعض حوالي تسعين مخطوط بين خزائن المغرب والجزائر والسودان من أهمها:

- 1- الجواهر الحسان في تفسير القرآن
- 2- تحفة الإخوان في إعراب آي القرآن
- 3- الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز
- 4- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة
- 5- كتاب المرآئي
- 6- روضة الأنوار ونزهة الأختيار
- 7- رياض الصالحين
- 8- الأنوار في معجزة المختار
- 9- شرح على مختصر خليل بن اسحاق المالكي...

هذا الزخم والثراء في شخص الثعالبي بؤاه مكانة علمية وروحية في قلوب الجزائريين خواصهم وعوامهم إلى يومنا هذا، مكانة تعتبر شهادة إخلاصه النية لله في خدمة عقيدة التوحيد. كما يعتبر الشيخ رحمه الله نموذج للعقل الجزائري العميق في التفكير وإعمال أداة العقل الحصيف في فهم الدين فهما وسطيا بعيد عن السطحية أو الغلو، فرحمه الله رحمة واسعة.

---

<sup>2</sup>. محمد بن ميمون الجزائري (المصدر نفسه) ص.340

ثانيا: أحمد الونشريسي

(1430م - 1509م)

1. ترجمة العلامة أحمد الونشريسي: (إسمه، مولده، ونشأته)

2. حياته العلمية: (تلقية للعلم)

3. مشايخه

4. تلامذته

5. آثار ومؤلفات الشيخ الونشريسي

## 1. ترجمة العلامة أحمد الونشريسي: (إسمه، مولده، ونشأته)

هو أبو العباس، أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، التلمساني<sup>1</sup>.

العالم العلامة حامل لواء المذهب (المالكي) على رأس المائة التاسعة.<sup>2</sup>

ولد أحمد الونشريسي سنة 1430م الموافق لـ 834هـ لم تذكر كتب التراجم عن مكان

ولادته شيئاً، غير إشارة جملها إلى أنه نشأ وترى في تلمسان، حيث تلقى تعليمه الأول على

عدد من مشايخها كما سيأتي لاحقاً. استوطن فاس بالمغرب الأقصى، بعد أن انتهت داره

من طرف سلطان تلمسان وهذا سنة 874هـ.<sup>3</sup>

لم يرد ذكر واضح للحالة الاجتماعية للشيخ الونشريسي غير إسم ابنه الذي تتلمذ على يديه

وأصاب بعضاً من علمه؛ عبد الواحد الونشريسي.

توفي الشيخ الونشريسي رحمه الله يوم الثلاثاء في العشرين من صفر سنة 914هـ<sup>4</sup> الموافق

لـ 1509م<sup>5</sup> وقيل 1508.

## 2. حياته العلمية: (تلقية للعلم)

أخذ العلم عن عدد من علماء ومشايخ تلمسان حتى اتقن جملة من فنونه وفروعه، وهو

ماتوضحه الفهرسة التي تركها يذكر فيها شيوخه والعلوم التي تلقاها عليهم، كما حضر

دروس قاضي مدينة فاس " محمد بن الغرديس ". ويشير أبو القاسم سعد الله صاحب تاريخ

الجزائر الثقافي إلى أن الونشريسي لم يرتحل طلباً للعلم على عادة أهل زمانه بين الأمصار،

كما لم يرد في أخباره أنه حج بيت الله.

<sup>1</sup> . عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الغسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت

– لبنان، ص 343

<sup>2</sup> . أحمد بابا التنبكتي (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) دار الكاتب طرابلس. ط. 2. ص. 135

<sup>3</sup> . د. أبو القاسم سعد الله (تاريخ الجزائر الثقافي) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1981. ج. 1. ط. 1. ص. 124

<sup>4</sup> . أحمد بابا التنبكتي (المصدر نفسه). ص. 136

<sup>5</sup> . عادل نويهض (المصدر نفسه). ص. 343

تولى الونشريسي التدريس في تلمسان، وهذا بعد أن تمكن من علوم عصره؛ من فقه ونحو وبيان. حيث درس المدونة وفرع ابن الحاجب منأهات الفقه المالكي. كما كان له اهتمام واسهام في بعض العلوم الأخرى كالوثائق والاصول والتواريخ والفرائض، إضافة إلى قرض الشعر. تولى الفتوى في تلمسان غير انه فر بعدها إلى المغرب بعد غضب السلطان عليها واستوطن مدينة فاس، ساكنا جوار القرويين، ليتولى تدريس نفس الكتب المشار إليها سابقا . كما سمحت له هذه الوجهة الجديدة بتوسيع آفاق معارفه ، متعرفا على علماء جتمع القرويين والاستفادة من خزائن كتب فاس في أبحاثه، خصوصا بعد احتفاء سلطانها به.

تشهد التراجم للونشريسي بفصاحة قلمه ولسانه معا، وقيل انه كان لايبارى في الفقه، والنحو مستدلين على كفاءته في الفقه بان من لايعرفه يقول إنه لايحسن غير الفقه كما أن من ربه في درس النحو يقول لو كان سيبويه حيا لتتلمذ عليه.<sup>1</sup>

### 3. مشايخه:

تلقى الونشريسي العلم على جملة من علماء ومشائخ تلمسان من أبرزهم:

- أبي الفضل قاسم العقباني
- أبي سالم العقباني القاضي ابن أبي الفضل
- محمد بن أحمد بن قاسم العقباني
- محمد بن العباس
- أبي عبد الله الجلاب
- ابن مرزوق الكفيف
- بالإضافة إلى الغريالي والمري.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>. أبو القاسم سعد الله (المصدر نفسه)، ص.125

<sup>2</sup>. التنبكتي(المصدر نفسه). ص. 135

#### 4. تلامذته:

من جملة ما يذكر من تلامذة العلامة أحمد الونشريسي ومن أخذوا عنه العلم حسب صاحب كتاب نيل الابتهاج مايلي:

- الفقيه أبي عباد بن مليح اللمطي الذي قرأ عليه ابن الحاجب
- الشيخ أبي زكرياء السوسي
- الفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورتديري
- الفقيه عبد السميع المصمودي
- الفقيه العلامة القاضي محمد بن الغرديسي التغلبي
- وولده عبد الواحد الونشريسي.<sup>1</sup>

#### 5. آثار ومؤلفات الشيخ الونشريسي:

ترك الشيخ الونشريسي تأليف عدة من أهمها:

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (12 جزء) قال فيه صاحب نيل الابتهاج: ( جمع فأوعى وحصل فوعى)<sup>2</sup>
- إيضاح المسالك على قواعد الإمام مالك
- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق
- تعليق على مختصر ابن الحاجب في ثلاثة أجزاء
- غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق الفشتالي
- فتاوى الونشريسي (أجوبة فقهية)
- فهرسة بشيوخه والوفيات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>. التتبيكتي (المصدر نفسه).ص. 135

<sup>2</sup>. عادل نويهيض(المصدر نفسه).ص. 344

<sup>3</sup>. أبو القاسم سعد الله (المصدر نفسه).ص126

ثالثاً: عبد الرحمن الأخضرى

(1512م - 1546م)

1. ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى: (إسمه، مولده، ونشأته)

2 . حياته العلمية: (تلقيه للعلم)

3. مشايخه

4 . تلامذته

5. آثار ومؤلفات الشيخ الأخضرى

## ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى: (إسمه، مولده، ونشأته)

هو أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ محمد الصغير الأخضرى<sup>1</sup>، الفقيه العلامة المحقق الأديب المنطقي، المعروف بتنوع علومه وتعدد فنونه.

ولد عبد الرحمن الأخضرى سنة 1512م الموافق ل 910هـ<sup>2</sup> في بنطوس من قرى نواحي بسكرة. وهناك نما وشب حيث كان والده محمد الصغير من علماء الوقت إذ ألف (أي الوالد) حشية على خليل وكتابا في التصوف يهاجم فيه المنحرفين عن الملة والشرع القويم. ماجعل الأخضرى سليل بيت علم وفضل كان له الأثر الكبير والواضح في مساره العلمي.

لم يعمر طويلا حسب عديد الرويات إذ منها ما يذهب إلى انه عاش ثلاثا وثلاثين سنة فقط كما يذكر الشيخ ابو القاسم سعد الله. كما أنه لم يتزوج بل قضى حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته في بنطوس إلى أن أدركته الوفاة في أحد الأسياف في كجال نواحي سطيف بالهضاب العليا<sup>3</sup> رحمه الله سنة 1546م الموافق ل 953هـ<sup>4</sup>.

## 2. حياته العلمية: (تلقية للعلم)

بدأ تلقي العلم كما تمت الإشارة إليه على يد والده الشيخ محمد الصغير وأخيه الأكبر بمسقط رأسه بنطوس نواحي بسكرة، ويشير صاحب تاريخ الجزائر الثقافي أبو القاسم سعد الله إلى أن الأخضرى قد طلب العلم أيضا بقسنطينة على يد الشيخ عمر الوزان. كما طلبه بتونس على مشائخ جامع الزيتونة. على انه رواية غير مؤكدة. كما أخذ ورد الطريقة الشاذلية والزروقية على الشيخ محمد بن علي الخروبي عند مر هذا الأخير بالزاب في طريقه

<sup>1</sup> محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف ( شجرة النور الزكية) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424. هـ. ط. 1. ج. 1. ص. 412.

<sup>2</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الغسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت

– لبنان. ص. 14

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله (نفس المصدر) ص. 501

<sup>4</sup> عادل نويهض(المصدر نفسه). ص. 14.

إلى الحج. وممن درس عليهم الأخصري الشيخ عبد الرحمن بن القرون. وتأثر بتعاليم عمر  
الوزان الذي كان يدعو على الجمع بين العلم والعمل، وبين الفقه والتصوف<sup>1</sup>.

### 3. مشايخه:

تلقى الونشريسي العلم على جملة من علماء ومشائخ أغلبهم من ضواحي منطقة الزاب من  
أبرزهم:

- الشيخ محمد الصغير بن محمد ابن عامر (والده)
- الشيخ علي بن محمد الخروبي الذي قال فيه أبو القاسم سعد الله (لو لم يكن للخروبي  
من التلاميذ غير عبد الرحمن الأخصري لكفاه)<sup>2</sup>
- الشيخ عمر الوزان
- الشيخ عمر الرحمن بن القرون.

### 4. تلامذته:

تتلمذ الأخصري العديد من العلماء والطلبة مشرقا ومغربا وهذا إن مباشرة أو على كتبه  
وأراجيزه ومتونه التي تركها خصوصا في الفقه المالكي.

### 5. آثار ومؤلفات الشيخ الأخصري:

ترك الشيخ الونشريسي تأليف عدة تنوعت بين الشروح والحواشي والمتون نذكر منها:

- المنظومة القدسية (في التصوف)
- الجواهر المكنون في صدق الثلاثة فنون (المعاني والبيان والبدیع)
- الشلم المرونق (في المنطق) نظمه وهو ابن عشرين سنة
- الدرّة البيضاء (في علم الفرائض والحساب)

<sup>1</sup>. أبو القاسم سعد الله (نفس المصدر) ص.501

<sup>2</sup>. أبو القاسم سعد الله (نفس المصدر) ص.500

- شرح الدرّة في جزئين
- شرح السراج (في علم الفلك - قصيدة لسحنون الونشريسي)
- مختصر الأخضريري (في العبادات على مذهب الإمام مالك)
- رسالة في التحذير من البدع<sup>1</sup>.

هذا، ومن خصائص فكره كما يشير إلى ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله، أنه يؤلف الكتب ويشرحها ويجمعها، وكان تصوفه بسيطاً معتدلاً، لم يدع أثناء حياته كرامة ولا كشف سر ولا إدراك علم الظاهر والباطن، وإنما كان كالما يؤلف المتن ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج للتلاميذ شأن العلماء الصالحين، ومن الواضح أن هذا العالم قد أثر بعلمه أكثر مما أثر بتصوفه، فكتبه في العلوم كانت تدرس في المشرق والمغرب وتوضع عليها الشروح والحواشي، ولم نعرف عنه أنه ألف في التصوف غير (القدسية)، وله أيضاً أرجوزة في طبيعة النفس، وقد هاجم البدع، ومن سماهم "علماء السوء" ودعا إلى العمل بالكتاب والسنة.

واستخلص الباحث "سعد الله" أن عقل الأخضريري يبدو أنه كان عقلاً رياضياً أكثر منه عقلاً صوفياً يميل إلى الغموض والروحانية<sup>2</sup>.

ونشير في هذا السياق أيضاً إلى أهمية كتابه "السلم المرونق" الذي يعد من أشهر المؤلفات في المنطق، وقد شرح المنطق، كما جاء به أرسطو طاليس (322 ق.م) شعراً، من ذلك مثلاً له فصل في "جواز الاشتغال به" حيث يقول:

والخلف في جواز الاشتغال	به على ثلاثة أقوال
ما بين الصلاح والنواوي حرماً	وقال قوما ينبغي أن يعلموا
والقولة المشهورة والصحيحة	جوازه لكامل القريحة
ممارسة السنة والكتاب	ليهدتي به إلى الصواب <sup>1</sup>

<sup>1</sup>. عادل نويهض (المصدر نفسه). ص. 15.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 501-502.

وله باب في القياس مطلعته:

إن القياس من قضايا صوراً

مستلزماً بالذات قولاً آخراً

ثم القياس عندهم قسمان

فمنه ما يدعى بالافتراضي

وهو الذي يدل على النتيجة

بقوة واختص بالعملية<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضر، العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بلاد النشر، الجزائر، ط2، 2009م، ص284-285.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص277.

## محمد بن أحمد المديوني (ابن أبي مريم) توفي 1020هـ/1611م

### 1- ترجمة الشيخ المديوني:

هو فقيه ومؤرخ وأديب من منطقة تلمسان، وقد أخذ علومه من مشايخ بلدته وخاصة الشيخ سعيد المقرئ، تتلمذ على يديه بعض علماء عصره، مثل الشيخ البطيوي الذي ترجم له في كتابه "مطلب الفوز والفلاح".<sup>1</sup>

وقد أضاف عادل نويهض في "معجم أعلام الجزائر" أنه محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بابن مريم، أبو عبد الله الشريف، المليتي نسبا، المديوني أصلا: مؤرخ، باحث، مشارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها.<sup>2</sup>

وفي كتابه البستان أنه "المديوني نجاراً، التلمساني منشأ ومولدا وداراً".<sup>3</sup>

وبحسب رأي أحد الباحثين، فإن الشيخ المديوني قد ولد بتلمسان من عائلة عريقة النسب تعود في أصولها إلى أشرف قبيلة مليتة.<sup>4</sup>

ويذهب عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر، إلى أن ابن مريم قد كان حيا سنة 1025هـ/1611م<sup>5</sup>، مما يؤكد على اختلاف الدارسين حول تاريخ محدد لوفاته، بينما يرى أحد الدارسين إلى أن القول الأقرب إلى الصحة، أنه توفي ما بعد 1025هـ في مدينة الحناية قرب تلمسان.<sup>6</sup>

---

<sup>1</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، الجزء 2، دار كرادادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015م، ص124.

<sup>2</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م، ص292.

<sup>3</sup> - ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة

الثعالبية، الجزائر، ط1، ص5.

<sup>4</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص292.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>6</sup> - عبد القادر بوباية، عرض وتقديم كتاب البستان، مجلة التاريخ العربية، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب،

العدد62، ص219.

نفهم من هذا أنه قد نشأ بتلمسان وأخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه، وتلقى تعليمه الأولى بمدارس تلمسان وكان له الحظ الأوفر بعد ذلك ليكون أبرز فقهاء عصره لمعارفه الفقهية واللغوية، وقد كان يخلف أباه

عند مرضه وبقي كذلك بعد وفاة والده<sup>1</sup>، وفي هذا السياق يقول عن ذلك "تماديت على ذلك، فتخرج علي والحمد لله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولداً، كلهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يدرسون العلم في كل فن من العلوم الظاهرة والباطنة."<sup>2</sup>

هذا، وقد أشار عيسى بن محمد الراسي البطوني في كتابه "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح" إلى أن الشيخ المديوني يملك صفات عظيمة باعتبار جليل علومه وأواله وصالح دعائه، يقول عنه: "فما رأيت عينا قط مثله خُلُقاً وخُلُقاً وإنصافاً وحرصاً على العلم، ورغبة في نشره، واجتهاداً في طلبه، وإدماناً على تلاوة الكتاب العزيز، وتواضعاً وخشية ومودة وصبراً، واحتمالات وحياء، وصدق لهجة، وسخاء وإيثارة، ومواظبة على قيام الليل وتسحراً في سائر العلوم الشرعية، وحسن إدراك وقوة فهم، وحباً في الخير لجميع المسلمين."<sup>3</sup>

ويضيف أيضاً، أن "من حسن سيرته (...) أنه كان يحب الفقراء والمساكين ويأتي إليهم، ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويشفق على الأيتام والأرامل ودوي الحاجة، ويعظم أهل العلم والدين وحملة القرآن أشد تعظيماً ويتأدب معهم ويعظمهم عند العامة، وينزلهم أعلى منه منزلة، ولا يغتاب أحد من الناس ولا يتكلم فيه إلا بالشرع والنصيحة، ولا يتكلم فيما لا يعني أصلاً"<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> - عبد الله واسيني، منهج أبي عبد الله بن مريم المديوني، في الترجمة لعلماء تلمسان في كتابه البستان، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 18، جوان 2017، ص 87.

<sup>2</sup> - ابن مريم المديوني، البستان، المرجع السابق، ص 269.

<sup>3</sup> - عيسى بن محمد الراسي البطوني، مطالب الفوز والفلاح، مخطوط رقم 1667م، الخزانة الحسنية، الرباط، نقلاً عن عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 207.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 217.

هذه إذن، بعض من ملامح حياته ونشأته العلمية، التي تكشف لنا عن مكانته العلمية وفضائله الأخلاقية.

**2- مشايخه:** لا شك أن مقام الإمام المديوني وجزارة علمه واجتهاده، يتم عن حسن تلقيه للعلوم والمعارف من شيوخ أفاضل لهم باع طويل في كثير من العلوم السائدة في عصره. وقد ذكر ابن مريم هؤلاء الشيوخ وذلك في قوله: "الشيوخ الذين أخذت عنهم القرآن: والذي رحمه الله، وجعل الجنة منزله ومأواه، والشيخ سيدي عبد الرحمان بن تاغريبب والشيخ سيدي محمد بن فارس، والشيخ سيدي محمد الوجديدي، والشيخ سيدي عبد الرحمن الساباني، والشيم سيدي محمد الدرار، والشيخ سيدي عثمان بن معرف، والشيخ سيدي زيان، والشيخ سيدي عيسى بن عبد الرحمان الصميمي، والشيخ سيدي محمد العطافي، هؤلاء قراءت عليهم القرآن، وأخذت العلم عن الشيخ سيدي أحمد أبركان الورنيدي، والشيخ سيدي أحمد حدوش، والشيخ سيدي الهامل الوجديجي، والشيخ سيدي محمد أبو السادات المديوني، وابنه سيدي محمد الصغير، والشيخ سيدي محمد بوزوبع الكناني، والشيخ سيدي سعيد المقري، والشيخ سيدي عيسى بن سلامة المستغانمي".<sup>1</sup>

وبضيف الباحث عبد القادر بوباية أن شيوخ الإمام ابن مريم في التصوف، هم الشيخ سيدي علي بن يحيى السلكسيني، والفقيه الخطيب الجاديري، وأخذ هو عن الشيخ المري السالك سيدي يوسف العطافي الجادري، وقد أخذ الشيخ ابن مريم أيضا عن الشيخ الرباني سيدي محمد بن يوسف السنوسي رضي الله عنهم أجمعين، وسنده معروف عند جميع الناس.<sup>2</sup>

نفهم من هذا، أن هذا العالم الجليل، تلقى مختلف العلوم السائدة في عصره، من شيوخ أثروا بشكل واضح في إبراز شخصته العلمية وفي التوجهات التي تبناها في مسيرته الفكرية.

---

<sup>1</sup>- البطوني، بطلب الفوز والفلاح (المخطوط) ص430-431، نقلا عن عبد القادر بوباية، عرض وتقديم كتاب البستان، المرجع السابق، ص208.

<sup>2</sup>- البطوني، بطلب الفوز والفلاح، المرجع السابق، ص432، نقلا عن عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص208.

**3- تلامذته:** أما عن تلامذته، فقد خلف الإمام المديوني من بعده، العديد من التلاميذ، ويذكر الباحث عبد القادر بوباية نقلا عن الشيخ البطوني أسماء من أصبحوا تلاميذ من بعده، وفي رأيه، فإن مقام الشيخ وسعة علمه وحسن خلقه قد أدى إلى إقبال كبير للطلبة عليه من كل حذب وصوب، فقال: "قرأ عليه القرآن علي بن منصور الشرقي، والفقيه محمد شقيقة، والفقيه محمد بن يوسف الشرقي، والفقيه محمد الندرومي، والفقيه محمد بن عبد الله الحداد، والفقيه موسى بن أحمد، والفقيه ممد بن سليمان الحجار، والقيه محمد بن عبد الله، والفقيه أخ بلقاسم ابن مريم، والفقيه محمد الساباني، والفقيه محمد البطحي..."<sup>1</sup>.

ويضيف الشيخ البطوني، أن من تلاميذ الشيخ المديوني الذين تلقوا عنه العلم، أحمد الجراري، والفقيه الحاج عمر الحانوتي، والفقيه علي بن موسى، والفقيه عثمان بن عبد الرحمن المطماطي، والفقيه الحاج سليمان الصالح الحجازي، والفقيه السيد حواما بن يوسف الوليزي والفقيه أحمد بن إبراهيم بن مريم، والفقيه علي بن محمد الشريف، والفقيه موسى الشاوي، والفقيه المعلم أحمد الحجام الزواوي والفقيه أخوه إبراهيم بن محمد بن مريم.<sup>2</sup>

ندرك من هذا الاهتمام يتلقى العلم من هذا الشيخ الجليل، المكانة المرموقة التي كان يحتلها في تلمسان خاصة والمغرب الأوسط بشكل عام، وهو ما يقدم الدلالة على ازدهار الحياة الثقافية وإقبال العلماء على تلقي العلوم من مختلف المدن والأمصار.

**4- آثار ومؤلفات الشيخ المديوني:** لقد ألف الشيخ المديوني (ابن مريم) الكثير من المصنفات، ومبعث ذلك كما يقول أحد تلاميذه أنه "كان رضي الله عنه كثير البحث في العلم، حريصا على اكتسابه، لا تكاد تسأله عن مسألة إلا وتجدها عنده مقروءة، محفوظة، وكان له المشاركة في كل علم وخصوص علم التصوف، ولقد ألف كتبا عديدة نحو من ثلاثة عشر تأليفا شرحا على الرسالة، وعلى مقدمة ابن رشد، وعلى الرقعي وعلى القرطبي،

---

<sup>1</sup> - البطوني، مطلب الفوز والفلاح، المرجع السابق، ص152، نقلا عن عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص213.

<sup>2</sup> - البطوني، المرجع نفسه، ص431-432، نقلا عن عبد القادر بوباية، المرجع نفسه، ص214.

وعلى الحكم لابن عطاء الله، وغير ذلك إذ لم نطلع (على) جميعها، (...) وألف كتابا في مناقب الصالحين سماه "البستان في مناقب أولياء تلمسان، وجعله على حروف الهجاء".<sup>1</sup>

هذا، ويذكر صاحب معجم أعلام الجزائر، أن له "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، وقد انتهى منه سنة 1014هـ، و "غنية المرید لشرح مسائل أبي الوليد" و "تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار"، و "فتح الجليل في أدوية العليل" لعبد الرحمن السنونسي المعروف بالرققي، و "فتح العلام لشرح النصح التام للخاص والعام" لإبراهيم التازي، و "كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد" و "التعليقة البسنية على الأرجوزة القرطبية" و "شرح على مختصر الصغرى" و "تعليق على رسالة خليل" في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها، و "شرح المرادية" للتازي، و "تفسير الحسام" في ترتيب وصيفة التازي وما يحصل من الأجر لقارئها، و "كتاب" في الحديث النبوي وحكايات الصالحين.<sup>2</sup>

هذا، وقد ذكر ابن مريم غيب آخر كتابه "البستان" أنه له هذه المؤلفات، وهي في أغلبها شروح في أمور الفقه والعقائد والذكر والتصوف والزهد والتراجم.<sup>3</sup>

نستنتج من هذا العرض لمؤلفاته، أن الإمام المديوني ابن مريم، قد كان كثير الكتابة مما يدل على سعة علمه وعمق فكرة، ودقة منهجة، الأمر الذي يستدعي البحث في تراثه العلمي بمزيد من الأبحاث العلمية الجادة.

---

<sup>1</sup> - البطوني، مطلب الفوز والفلاح، المرجع السابق، ص430، نقلا عن عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص221.

<sup>2</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص292-293.

<sup>3</sup> - ابن مريم المديوني، البستان، المرجع السابق، ص314-315.

رابعاً: أبو عداالله السنوسي (محمد ابن يوسف)

(1428م - 1590م)

1. ترجمة الشيخ السنوسي: (اسمه، مولده، ونشأته)

2. حياته العلمية: (تلقيه للعلم)

3. مشايخه

4. تلامذته

5. آثار ومؤلفات الشيخ السنوسي

## ترجمة الشيخ أبو عبد الله السنوسي: (إسمه، مولده، ونشأته)

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي، التلمساني العالم الصالح الفاضل العلامة المتكلم المتقن شيخ العلماء والزهاد والأساتذة العباد العارف بالله الجامع بين العلم والعمل<sup>1</sup>. كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد<sup>2</sup>.

ولد السنوسي أبو عبد الله سنة 832 هـ الموافق ل 1428 م<sup>3</sup> على الأرجح بتلمسان حيث نشأ، وترعرع، وتلقى بعض صنوف العلوم.

اشتهر بالسنوسي، أيضا الحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه<sup>4</sup>، كما يكنى بأبي يعقوب يوسف.

توفي العلامة الشيخ السنوسي في جمادى الآخرة سنة 895 هـ الموافق ل 1490 م<sup>5</sup>

## 2. حياته العلمية: (تلقية للعلم)

اشتغل بالعلم تلقيا، ومدارسة، وتدريسا، منذ يفاعه. حيث تلقاه على يد جملة من أفاضل وعلماء أهل عصره بداية من والده وأخوه لأمه، ماجعله سليل بيت علم وفضل ساهم في تكوينه العلمي وصقل موهبته وفطنته. أتقن منه فنونا عديدة وعلوم كثيرة، مزوجا بين علم الأديان وعلم الأبدان. كما روى ذلك عند صاحب تاريخ الجزائر الثقافي أبو القاسم سعد الله. وبذلك فقد اشتغل بل وساهم في علم الطب وألف فيه رسالة صغيرة في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة. غير أنه برز في علم التوحيد وعلوم الدين كما توضحه آثاره.

<sup>1</sup> محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف ( شجرة النور الزكية) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424 هـ. ط. 1. ج. 1. ص 384

<sup>2</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الغسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت

– لبنان. ص. 180

<sup>3</sup> عادل نويهض (المصدر نفسه) ص. 180

<sup>4</sup> أحمد بابا التنبكتي (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) دار الكاتب طرابلس. ط. 2. ص. 563

<sup>5</sup> عادل نويهض (المصدر نفسه) ص. 180

### 3. مشايخه:

للعلامة السنوسي أساتذة ومشائخ عدة نذكر منهم بعد والده:

- العلامة نصر الزواوي
- العلامة محمد بن توزت
- الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس (أخذ عنه القراءات)
- أبي عبد الله الحباب (علم الاسطرلاب)
- الإمام محمد بن العباس (الأصول والمنطق)
- الفقيه الجلاب (الفقه)
- الولي الصالح الحسن أبركان الراشدي
- أبي الحسن التالوتي اخيه لأمه (أخذ عنه الرسالة)
- الإمام أبي القاسم الكناشي
- الإمام أبي زيد الثعالبي (التوحيد والصحيحين وغيرهما من كتب الحديث)
- العلامة إبراهيم التازي
- العالم أبي الحسن القلصادي الاندلسي (الفرائض والحساب)<sup>1</sup>

### 4. تلامذته:

للعلامة السنوسي طلبة ومريدين وتلامذة كثر من بينهم:

- الملاي صاحب مؤلف التلمساني الذي قال عنه:(عالمها وصالحها وزاهدها وكبير علمائها الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع أبو يعقوب يوسف)<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>. التنبكتي (المصدر نفسه) ص.564.

<sup>2</sup>. التنبكتي (المصدر نفسه) ص.563.

- ابن سعد
- أبو القاسم الزواوي
- ابن أبي مدين
- ابن العباس الصغير
- أبو عبد الله المغيلي
- الشيخ زروق<sup>1</sup>

## 5. آثار ومؤلفات الشيخ السنوسي:

ترك العلامة السنوسي شروح وتآليف كثيرة وتصانيف عديدة في مختلف علوم الدين وفروعه نورد منها على لسان تلميذه الملاي في كتابه "المواهب القدسية في المناقب السنوسية":

- المقرب المستوفى (ألفه وهو ابن تسعة عشر عاما)
- عقيدة التوحيد (الكبرى، الوسطى، والصغرى) وبها اشتهر رحمه الله
- شرح ايساغوجي في المنطق
- شرح أسماء الله الحسنى
- شرح صحيح البخاري (لكن لم يكمله)
- شرح لامية الجزري
- شرح جمل الخونجي
- شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين
- شرح قصيدة الحباك في الاسطرولاب
- مختصر بغية السالك في أشرف المسالك
- شرح جواهر العلوم
- شرح رجز ابن سينا في الطب
- مختصر في القراءات السبع

<sup>1</sup>. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (المصدر نفسه). ص. 385



جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

فرقة بحث:

أعلام الفكر الجزائري

رئيس الفرقة أ.الدكتور:

إعداد الطالب: سامي سنوسي

مناد طالب

الموسم الجامعي: 2022/2021

## الفصل الرابع:

### أعلام الجزائر في العصر الحديث

#### (أعلام الجزائر في هذا العصر)

المبحث الاول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري الحديث.

المبحث الثاني: أعلام الجزائري في هذا العصر

- 1- حمدان خوجة (1773م)
- 2- الامير عبدالقادر الجزائري (1808م)
- 3- محمد بن علي السنوسي (1859م)
- 4- محمد بن يوسف أطفيش (1914م)
- 5- محمد بن ابي شنب (1929م)

## ثالثا : الفكر الجزائري الحديث

يتطرق طالب الدكتوراه سنوسي سامي إلى الفكر الجزائري الحديث، ويتحدث أولا عن السياق التاريخي والمعرفي لهذا الفكر الحديث، على أن يبرز في المراحل اللاحقة من البحث الشخصيات المشهورة في هذه المرحلة، حيث رأى أن الكلام عن الفكر العربي عموما في العصر الحديث فيه نوع من **العزة والقلّة**، إذ أن هذه العصور عرفت ضمورا شبه تام للإنتاج الفكري، وهذا عائد إلى سبب رئيس وهو نشاط الحركات الاستعمارية على كل الجغرافيا العربية والإسلامية شرقا وغربا، وهذا بغض النظر عن طبيعة هذا الاستعمار أكان انتدابا أم ولاية أم استمارا عسكريا مباشرا كما هو حال الجزائر ما بعد عام 1932م.

وعلى اعتبار امتياز الأمة العربية بالتأريخ واختصاصها بالتاريخ فطرة وشغفا<sup>1</sup>؛ إذن يتقرر أن الكلام عن الفكر العربي أو بالأحرى التأريخ له في العصر الحديث أمر صعب غير مبتذل، ورغم هذا كله، فليس يعني انعدامها تماما للإنتاج الفكري والثقافي في كل المنطقة، بل ثمة ما يبيّن وجود شيء من التفكير على قلته في الوطن العربي كله، والجزائر منها.

تعدّ الجزائر في العصر الحديث، أي ما بعد سنة 1600م تقريبا وبالضبط إبان العهد العثماني منتمية تحت لواء الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعرضت - كولاية عثمانية - إلى أطماع الاستعمار الأوروبي الصليبي لعدة مرات، ولكن المقدمات الذهبية التي كانت تزخر بها من قبل في المرحلة الوسيطة حالت دون وقوع ذلك إلا بعد سقوط الخلافة ككل وتقسيم جغرافيتها، والجزائر في هذه الفترة - على غرار سائر الأمة العربية الإسلامية - كانت تنسج تحت وطأة الضمور الفكري.

لكن وللإنصاف هناك مفكرون جزائريون أحيوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا من الإنتاج الثقافي بعاملته، أي مختلف مشارب الفكر الإنساني وتحاكوا وتفاعلوا بقريحة كبيرة مع

---

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1965، ص 24.

واقعهم، ولعل ذلك كان راجعا إلى الأوضاع التي أملت عليهم أن ينتجوا ويفكروا ويكتبوا آلام واقعهم وآمالهم المرجوة.

وقبل إيراد محاولتنا في بيان إنتاج أعلام الفكر الجزائري الحديثة والبارزين منهم، لا بد ابتداء من الوقوف على مقولات السياق المعرفي والتاريخي التي من خلالها نسعى لوضع أعلام الجزائر وإنتاجهم مواضعها، ومن أهم المقولات التي وجب الإشارة إليها هي: العهد العثماني، الاستعمار.

## 1 - العهد العثماني:

يعدّ العهد العثماني في الجزائر أحد أبرز المقولات التي من خلالها نستند للوقوف على منتج أعلام الجزائر في العصر الحديث، على اعتبار أن هذا الحكم عمّر ودام في الجزائر قرابة أربعة قرون وبذلك كان كافيا لأن يتغلغل كنسق تاريخي في العقلية الجزائرية المتميزة. ولعل المؤرخين يتفقون على أن ذروة الحضارة العثمانية كانت خلال القرن السادس عشر الميلادي، ( العاشر الهجري)، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى ذروة قوتها وأوج ازدهارها، فمدت جناحيها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ودقّت أبواب فيينا، وبسطت نفوذها على ما يُعرف اليوم بدول شرق أوروبا واليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط، وأجزاء من إيطاليا والنمسا، كما خضعت لسيطرتها الأرض الممتدة من القوقاز شمالا حتى الصحراء الإفريقية جنوبا، وحدود المغرب الأقصى غربا، كما أنها مدت جناحها الشرقي حتى بلاد فارس وجبال كردستان، فكانت أقوى دولة في العالم شهدتها العصور الوسطى<sup>1</sup>؛ فكان العهد العثماني بين التأثير في المجتمع الجزائري وثقافته المتقدمة جدا قبل ورود ما يسمى الآن بالثقافة الاستعمارية.

---

<sup>1</sup> محمود الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط1 2002،

لقد تميز الحكم العثماني في الجزائر بشيء من التمييز الطارئ على تهميش الجزائريين وتعريض الأتراك العثمانيين للمناصب الحساسة ومنع السكان الأصليين منها، أي الجزائريين، وهذا ما جعل الوضع الفكري يتأزم أكثر أو قل يتقرّم باستمرار، وقد تساءل أحد الباحثين في هذا الميدان بقوله: (( أَلَمْ يكن بداية تحرير وهران ( 1792م) مؤشرا لانتشار الثورات القبلية والطرقية ضد الأتراك ))<sup>1</sup>.

وبالجملة تميّز العهد العثماني بالجزائر بقوة التسلط والهيمنة العثمانية على حساب التواجد الجزائري في المناصب الرئيسية في الدولة، (( ولعل أهم سمة ميزت وجود الأتراك . العثمانيين بالجزائر - هي هيمنتهم شبه المطلقة على أمور الإدارة والجيش والاقتصاد، أما غالبية السكان فكان حظهم التهميش<sup>2</sup>.

والإشكال الآخر أن التأليف الموضوعي غائب أو قليل ما هو وارد حول ذكر مجهودات الجزائريين الفكرية إبان العهد العثماني، ربما قد تعود الأسباب إلى الأيديولوجية المتجذرة في عقول المتأخرين حول ما قام به المتقدمون، إما بفعل استعماري وإما بأمور أخرى، لهذا أشار أبو القاسم سعد الله في مصنفه ( تاريخ الجزائر الثقافي) إلى قلة التأليف حول ما يجب تغطية العهد العثماني، لهذا أصبح على المؤرخ أن يعود إلى كتب المعتدلين الذين كتبوا أمثال: الصباغ القلعي، والفكون وابن مريم والبطيوي وابن سليمان ونحوهم<sup>3</sup>.

وعليه تميز العهد العثماني بنوع من بسط النفوذ، وحتى المؤرخين لما جاؤوا بعد هذا العصر تم الالتفات إلى العموم العثماني وغض البصر عن الإنتاج الفكري الجزائري بصورة يجب أن تكون، وهنا تم الإشكال واضحا بخصوص التأريخ الفكري للإنتاج العلمي لعلماء الجزائر إبان هذه الحقبة، وحتى مقولة الاستعمار التي سنوردها الآن كان لها كل التأثير.

---

<sup>1</sup> حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008، ص 9.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 10.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1. دار الغرب الإسلامي. ط1، بيروت. 1998. ص 29.

## 2 . الاستعمار :

الاستعمار اصطلاح يعني في عمومه وفي الحقل التاريخي الاستيطان الخارجي للأراضي الداخلية أنى كانت، ولكن قد يعني معان أخرى كاستعمار واحتواء أراض فارغة، لكن المقصد الأسمى هنا هو الاستعمار وقد شهدته الجزائر منذ العصور القديمة، كالروماني والجرماني والعربي والعثماني وأخيرا الفرنسي، وقد سقنا هذه المقولة لما لها من وزن واعتبار في إشكال طمس الفكر الجزائري في العهد الحديث ومطلع العصر الاستعماري الفرنسي المعاصر، أي ما بعد 1830.

لهذه الأسباب الاستعمارية تبددت أفكار الجزائريين في العالم الأوروبي والعالم العربي الإسلامي، توزعت المخطوطات على هذه الأمصار وقد ذكرها أبو القاسم سعد الله، وكما ضاعت هذه الوثائق الأساسية لدراسة الحياة الثقافية ضاعت أيضا المخطوطات التي تركها علماء الجزائر أثناء نبش وبعثرة المكتبات الخاصة في الحروب التي رافقت الاحتلال الفرنسي، وهكذا تفرقت مصادر تاريخ الجزائر الثقافي، في عواصم أوروبا، برلين ولندن وميونخ ودريد وباريس، وغيرها، بالإضافة إلى مكتبات العالم الإسلامي<sup>1</sup>.

ومع كل هذا ثمة مجهودات ذكرها المؤرخون لعلماء الجزائر إبان العصر الحديث العثماني ومطلع العصر الاستعماري الفرنسي، والذين سنحاول في هذا الفصل (( تاريخ أعلام الفكر الجزائري في العصر الحديث))، الاطلاع على منتوجهم الفكري ( الفلسفي والأدبي والعلمي والعقدي الكلامي والفقهية والفني وغيرها)، ومن هؤلاء: حمدان خوجة صاحب كتاب المرأة، والأمير عبد القادر الجزائري الذي وُصف برجل العقيدة والوطن،

---

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ص 30.

ومحمد بن أبي شنب كبير المستشرقين الجزائريين في فترة متقدمة<sup>1</sup>، ومحمد بن علي السنوسي المتكلم الأشعري الكبير، ومحمد بن زكري التلمساني، ومحمد بن يوسف أطفيش.

هؤلاء المفكرين الجزائريين الذين سناول الوقوف على إنتاجهم يُعدون إتماما وتطويرا للمفكرين الذين سبقوهم في العصرين القديم والوسيط، كما يُعدّون مقدمات كبرى للمفكرين والعلماء الذين سيأتون في العصر المعاصر إلى يوم الناس هذا. إذن بالجملة لقد كان السياق التاريخي لأعلام الجزائر خلال الفترة الحديثة متسما باللون العثماني والاستعمار الفرنسي، خاصة من جهة البدايات. وبحول الله تعالى سنسعى في المباحث اللاحقة على تحليل إنتاج كل مفكر جزائري على حدة بدءا بالعهد العثماني إلى غاية العهد الاستعماري الفرنسي.

إذن وبعد إيراد المقصود من اصطلاح العهد العثماني والاستعمار، نطرح الإشكالية كالتالي فنقول: من هم أبرز أعلام الجزائر في العصر الحديث؟ وكيف أسهموا في تطوير الإبداع الفكري والعلمي والديني والثقافي عموما والجزائر بالخصوص؟ بمعنى آخر؛ ما هي مظاهر الحياة الفكرية والفلسفية التي تميزت بها الجزائر خلال عصر عزت وقلت فيه الكتابة عموما والكتابة الإبداعية بشكل خاص، ولا سيما وقد شهدت المنحنى الحضاري الهابط من لدن العصر الذهبي الوسيط.؟؟

نخلص إذن إلى أن ظهور مرحلة الفكر الجزائري الحديث يتزامن بجملة من الأحداث السياسية لعل من أهمها احتلال الجزائر مركز القوة في حوض البحر المتوسط وذلك بفضل قوة أسطولها البحري من جهة، ودعم الباب العالي لها من جهة أخرى، خاصة مع توحيد أقطار المغرب في ذلك الوقت (الجزائر - تونس - طرابلس) تحت سلطة واحدة هي الباب العالي، وهنا نجد فرنسا قد انتابها الخوف من هذا التقدم الذي بلغته الجزائر وتدخلت لدى

---

<sup>1</sup>مديرية الثقافة المدية: الدكتور محمد بن أبي شنب والاستشراق، منشورات مديريةية الثقافة لولاية المدية، الجزائر

الباب العالي من أجل تغيير نظام الحكم في الجزائر قصد الحصول على مواطن نفوذ بالساحل الجزائري.

وبعد حدوث تطورات الثورة الفرنسية عام 1789م التي أدت إلى ظهور فرنسا كأقوى دولة على جانب إنجلترا حيث حاولت التقرب من الجزائر للتزود بما يحتاج نظامها من الحبوب، بيد أن مجيء نابليون بونابرت إلى الحكم عام 1799م استرجعت فرنسا قوتها، وتوج على رأس هذه الإمبراطورية سنة 1804م، واستطاع أن ينتصر على أغلب الدول الأوروبية وبيعت إلى داي الجزائر سنة 1802م رسالة يعرب فيها عن رفضه لدفع الديون التي كانت للجزائر على فرنسا وفكر بعد ذلك في القضاء عليها أو على الأقل في اضعافها، وبعد توالي الأحداث قررت فرنسا القيام بحملة على الجزائر عام 1830م، تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر من الحماية العثمانية إلى الاحتلال الفرنسي وما تبعته من حركة مقاومة طويلة وبطولية.<sup>1</sup>

هذا وعلى الرغم من ان النظام العثماني لم يهتم بالتعليم في الجزائر كاهتمامه بحفظ الأمن وحماية الحدود وجباية الضرائب، إلا أن لهم الفضل في تأسيس عاصمة تتوسط البلاد وتربط شرقها بغربها، وكذلك يعود الفضل إلى بعض الدايات والبايات في أنهم أولو عناية كبيرة للثقافة فشجعوا التعليم وإنشاء المدارس بيد سرعان ما ضعف التعليم بعد ذلك وانحصر في الزوايا، وأدى ذلك على بساطة المعرفة وغلق باب الاجتهاد ولهذا فإن الشأن الثقافي في توقف على الجزائريين الذين حملوا لواء نشر التعليم أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وفي هذا المحيط الثقافي عاشت ونشأت فئة متتورة كان لها الشأن الكبير آنذاك في المجال الفكري والسياسي والاصلاحي وغير ذلك من المجالات المختلفة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - د/ أحميدة عميراي، دور حمدان خوجة في تطور القضية.

<sup>2</sup> - أحميدة عمراوي، المرجع السابق ص 64-69 بتصرف.

أولاً: حمدان خوجة (1773م - 1841م)

## 1 - ترجمة موجزة من حياته:

حمدان خوجة، ولد في عائلة جزائرية عريقة كانت تقطن بالعاصمة، حيث كان والده عثمان فقيها وسياسيا، يشغل منصب الأمين العام للإيالة، يشرف على حسابات الميزانية وعلى السجلات التي تشمل أسماء ورتب ورواتب الانكشارية، أما خاله الحاج محمد فكان أمينا للسكة قبل الاحتلال الفرنسي.

ولد حمدان سنة 1773م، حفظ القرآن وتعلّم بعض العلوم الدينية على يد والده، ثم دخل المرحلة الابتدائية التي نجح فيها بتفوق فأرسله والده مكافأة له مع خاله في رحلة إلى اسطنبول سنة 1784م، وكان خاله في مهمة حمل الهدايا إلى السلطان العثماني، فكان لهذه الرحلة دور كبير في نفسية الطفل الذي لم يتجاوز الحادية عشرة، حيث فتحت له أبوابا للتطلع على كل ما هو أسمى.

بعد عودته من إسطنبول انتقل إلى المرحلة العليا حيث تلقى فيها علم الأصول والفلسفة وعلوم عصره، ومنها الطب الذي كتب في بعض جوانبه كالحديث عن العدوى ومسبباتها في كتابه "إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء".

بعد وفاة والده شغل مكانه كمدرس للعلوم الدينية لمدة قصيرة ثم مارس التجارة مع خاله ونجح فيها، فأصبح من أغنياء الجزائر،<sup>1</sup> وهو ما فتح له المجال للقيام بعدة رحلات إلى أوروبا، وبلاد المشرق والقسطنطينية، ومنها استطاع تعلم عدة لغات كالفرنسية والإنجليزية مما ساعده على التفتح وتوسيع معالمه والتعرف على العادات والتقاليد، والأنظمة السياسية

<sup>1</sup> محمد عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، الجزائر، 2007، ص 19، 20.

السائدة في تلك البلدان. وأثناء الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر ساهم كغيره من الجزائريين في الدفاع عن بلاده ولكن بطريقته الخاصة.

بعد الاحتلال الفرنسي اشتغل كعضو في بلدية الجزائر، وفيها حاول الحفاظ على ما تبقى للجزائريين من ممتلكات، حيث رفض تسليم عدة مساجد للفرنسيين الذين أرادوا تدميرها بحجة إقامة مؤسسات وطرق عمومية بدلها، كما شارك في لجنة التعويضات الفرنسية لتعويض الأشخاص الذين هدمت ممتلكاتهم لفائدة المصلحة العامة كما يقول الاستعمار الفرنسي، وفيها بذل حمدان جهودا لخدمة إخوانه الجزائريين، ولكن الاستعمار الفرنسي تظن لنواياه ونوايا الأعضاء الجزائريين المشاركين في هذه اللجنة فحلها، وأغلق باب التعويضات.

بعد ذلك شارك خوجة كوسيط بين أحمد باي والفرنسيين، وأرسل إلى الجنرال سولت مذكرة يصف فيها التجاوزات التي قام بها الفرنسيون في الجزائر، فكان من نتائج هذه المذكرة إنشاء اللجنة الإفريقية في 07 جويلية 1833 للبحث عن حقيقة الأوضاع في الجزائر. و في باريس راسل السلطان العثماني وناشده أن يتدخل لإنقاذ الشعب الجزائري قائلا: "إن المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا في هذه التربة سوف يسألونكم يوم الحساب لماذا تخلّيتهم عنهم". وظل حمدان خوجة يناضل بشكل قوي ليبيّن عيوب الاستعمار، ولما رأى أن جنرالات فرنسا مصرون على المضي في مشروعهم الاستعماري رحل إلى فرنسا في 1833، وواصل هناك جهوده للدفاع عن الجزائر من خلال الاتصال بالشخصيات الفرنسية التي ظن أنها يمكن أن تدعم قضيته، لكنه في النهاية رأى أن ذلك غير مجد فغادر باريس نحو القسطنطينية في 1836 وتوفي هناك ما بين 1840-1845<sup>1</sup>، بينما يؤكد محمد عبد الكريم ثبوتوفاته اواخر 1840م، و الراجح ان وفاته كانت فب الفترة ما بين سنة 1840م و 1841م، ونبني هذا

---

<sup>1</sup> محمد عقاب، مرجع سابق ص 35.

اعتمادا على ماجاء في سجل عثماني لمحمد ثريا، و على أن الأمير عبد القادر، كان قد أرسل رسالة الى حمدان خوجة بتاريخ 10 ديسمبر 1841م، و اننا لمنعثر حتى الآن على الرد.<sup>1</sup>

## 2 - إنتاجه الفكري والفلسفي:

لقد عرف تاريخ الفكر الجزائري في العصر الحديث ضمورا ملحوظا، لكن هذا لم يعن انطفاء نوره بصفة تامة، إذ أن ثمة محاولات جادة تُثبت وجوده، علامات واضحة تبرز ثبات الفكر الجزائري وبصفة دائمة رغم العقبات ولاسيما الاستعمارية، فكان المفكر والحكيم حمدان خوجة أحد أبرز أعلام تلك المرحلة الحديثة، والتي ميّزها الطابع العثماني، فما هي يا ترى تجليات فكره من خلال مؤلفاته؟

### - كتاب المرأة وذروة أفكار حمدان خوجة:

في كتابه - المرأة - حاول مفكرنا تسليط الضوء على سكان الجزائر منذ عهود مضت، فكان مرآة نيرة على وطننا الأبوي، فأورد فصوله للوقوف على أصل السكان، وطبائعهم الأنثروبولوجية والاجتماعية والتاريخية والدينية، فاستهل كتابه بفصل يبحث فيه أصل البدو فقال: " ينقسم البدو إلى طبقتين، وعلى الأصح، إلى نوعين متميزين من السكان فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون، أصلهم من الشرق وينحدرون من قبائل عربية مختلفة، أما الذين يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة المنحدرة فهم البرابرة الحقيقيون أو \*القبائل\* الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب(..) وعندما أراد العرب فتح اسبانيا استعملوا البرابرة كأداة تخدم مشاريعهم"<sup>2</sup>

إذن اتضح أن حمدان خوجة استهل كتابه ببيان أكبر عرق سكاني عاش في الجزائر وشمال إفريقيا كلها، وهم البربر، ولكن بمجيء العرب عاد ثمة عرقان عاشا متعايشين،

<sup>1</sup> - احمد اعميرايوي، د، حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، المرجع السابق ص 63.

<sup>2</sup> حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، 2005، ص 15 . 16 .

وخاصة بعد إسلام البربر ومعرفتهم لأخلاق العرب الفاتحين، فحدث أن تناسب العرقان وتكاتفا في السراء والضراء، ولم تحدث بينهما حروب كتلك التي حدثت بين البربر والرومان من قبل.

وبعد تحليل عادات وتقاليد البدو برابرة وعربا، راح حمدان خوجة ليخصص فصلا كاملا يتكلم فيه عن سكان الجزائر بالذات، الجزائر العاصمة اليوم، والتي كانت قطبا كبيرا أيام العثمانيين، "وإذن فإن جزءا كبيرا من سكان مدينة الجزائر مكون من العرب والأتراك، والأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج بين هذين الصنفين يُسمون الكراغلة، ويسكن المدينة أيضا أعراب وقبائل لهم نفس عادات ونفس حضارة العرب والأتراك، سكان هذه المدينة شجعان اجتماعيون وأوفياء للعهد وكرماء وبسطاء في نمط حياتهم ونظيفون في منازلهم"<sup>1</sup>.

### – التميّز الفكري عند الجزائريين:

في الحقيقة أبرز حمدان خوجة عن الجزائريين تميزهم الفكري فضلا عن سيماهم الأخلاقية وفضائلهم الاجتماعية، ففي القوة والقدرة العملية واليدوية، يرى حمدان خوجة أنهم من السهولة أن يكونوا عباقرة الفنون والصنائع الحرفية، إنهم يصنعون الأقمشة والحريرية ويصدرونها إلى المغرب وتونس وليبيا والشرق الآسيوي برمته، وكان أهل الشرق والغرب معجبين بما تصنعه اليد الجزائرية، كما أنهم يعنون بالعلوم والآداب، ففيهم الشعراء والأدباء وأساتذة التاريخ والمشرعون<sup>2</sup>.

لقد تمكنت المصادر والمراجع الفرنسية من تسويق صورة سيئة جدا عن حسين باشا آخر دايات الجزائر (1818-1830م) أين رسمت صورة سوداوية في مخيلة القارئ الجزائري مفادها أن حسين باشا إنسان جشع جاهل مستبد قام بتصرف غير مسؤول اتجاه القنصل الفرنسي دوفال، نتج عنها قيام الدولة الفرنسية بحملة عسكرية لتأديب الداوي حسين ومن ورائه

<sup>1</sup> حمدان خوجة: المرأة، ص 63.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 66.

الجزائر جراء هذا التصرف الطائش في حق دولة عظمى مثل فرنسا، ومازاد من قتامة هذه الصورة عن حسين باشا هي توقيع معاهدة الاستسلام بتاريخ 05 جويلية 1830م، والتي يحتفظ عنها الشعب الجزائري بصورة سيئة مفادها أن الداوي حسين ومعه الجنود الأتراك سمحوا في الجزائر وباعوها للفرنسيين وغادروا بحشمتهم وخدمهم إلى أوروبا، ولسنا بصدد الدفاع عن الداوي حسين في هذا الصدد بحكم أن الباحث في التاريخ يتطلب منه الموضوعية في الطرح، لكن سنعرض بعض الآراء الصادرة عن بعض شهود العيان القريبين من شخصية حسين داوي والتي تباينت بين الثناء والذم.

فمن هوامش البحث التي يتيحها كتاب مرآة الجزائر لعلي باشا بن حمدان خوجة الذي عربه عن التركية مؤخرًا الدكتور خليفة حماش هي سيرة حسين داوي آخر دايات الجزائر وعلاقته مع القنصل الفرنسي دوفال أو ما يعرف تاريخياً بحادثة المروحة، أين يقدم لنا هذا المصدر صورة سيئة جدا عن حسين داوي عكس الصورة المسوقة من قبل حمدان خوجة في كتابه المرآة، وكذلك الشأن لمذكرات أحمد الشريف الزهار، وكلاهما عاصر حسين داوي، ولا نعرف سبب الاختلاف في الحكم على حسين داوي بين علي رضا باشا ووالده حمدان خوجة هل يعود لتأثر علي رضا باشا بالمدرسة التاريخية الفرنسية بعدما درس هناك؟ .

حيث يقول علي رضا باشا حرفياً في كتابه مرآة الجزائر: حسين باشا هو من زمرة الجهلة الكبار، وأصله من مدينة دينيزلي التي تقع في ولاية آيدين، وجاء للجزائر برفقة أخيه وكان في أوائل حياته يمارس مهنة صيد السمك، ولكنه مع ذلك استطاع أن يتولى بطريقة ملتوية منصب خوجه الخيل ... ثم نال منصب الباشوية<sup>1</sup> ...

وخلال ثلاث سنوات من الحكم نال الباشا المشار إليه احتراماً كبيراً، وبسبب ذلك صار يشعر بالكبر والعظمة، وبدأ يستبد برأيه ويرفض كل شخص يقدم له المشورة (...). وأعتقد بأن هذا الحكم القاسي الصادر عن رضا باشا في حق حسين باشا نجد تبرير له في الفقرة الموالية أين يذكر: (ولما سمع سكان الجزائر بتلك الحادثة - يقصد حادثة المروحة مع القنصل دوفال - ... ونقل الوشاة للباشا بعض الأخبار بخصوص المرحوم حمدان أفندي،

<sup>1</sup> حمدان خوجة: مصدر سابق، المرآة، ص 119.

وهو السيد حمدان بن عثمان خوجة والد السيد علي رضا باشا مؤلف هذا الكتاب التاريخي مدعين عليه أن ينشر الإشاعات - بين السكان - عن قوة الفرنسيين وامكانياتهم العسكرية الكبيرة، وبسبب ذلك أمر الباشا على جناح السرعة بإحضار المشار إليه - حمدان خوجة - إلى مقر إقامته .

في المقابل يصف حمدان خوجة في كتاب المرأة الداوي حسين بالتالي: "وينتمي هذا الرجل الأمين الصدوق إلى عائلة نبيلة، وإنه يتمتع بمعارف واسعة، وقد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة ... ولما كنت أعرف الناس بأصله وبأخلاقه، يمكن لي أن أقول: بأنه من أطيب أرومة الأتراك القدامى، أي أنه شهيم عالي الهمة ومحسن، فلا أظن أن أحد يستطيع أن يتهمه بالشراهة والجشع، فوفائه بعهوده وإخلاصه لوعوده شيء معروف جدا بأوروبا ... وبناء على هذا الاعتبار فأنا مقتنع ومتيقن بأنه سيعترف له بحقه الذي يستحقه ..."<sup>1</sup>، ووفقا لمثل قل للمحسن أحسنت وللمسيء أسئت، فإن حمدان خوجة انتقد حسين باشا في بعض الجزئيات كقوله: (ان الحظ قد خانته بسبب الخطأ التي ارتكبه أعضاء حاشيته وجنوده، فقد كان ضمن الشخصيات الذين يشكلون ديوانه عددا منهم لا أخلاق لهم ولا خبرة ولا شجاعة ... وإذا وجه إليه بعض اللوم فيما يخص تسيير حكومته، فذلك يعود لعدم ارجاع الديوان القديم، من أجل مداولة الآراء والتروي في الشؤون الهامة، والاستفادة من نصائح السابقين وتجاربهم ومعارفهم ... ويجب أن يلام على خطأ آخر وهو أنه لم يستعمل جميع وسائله الممكنة لمنع الحرب التي انفجر أوارها بين الجزائر وفرنسا.

وإذا انتقلنا لمصدر آخر كان معاصرا لحسين داوي هو محمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، ومذكراته التي تكفل أحمد توفيق المدني بنشرها. اذ يقول عن حسين داوي: ( كان رجلا عاقلا متدينا، محبا للعلماء والأشرف والصالحين ... كان قوي النفس لا يتزعزع لعظام الأمور، ولا يتضعضع لنواب الدهر، وأما سيرته في أهل البلد، وأهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة، ولم يسرها من تقدمه من لين الجانب، وسهولة المجاب، والعفو عن الجرائم،

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق، ص 137.

والصفح عن الزلات، والكف عن الدماء والمحارم، ورفع الظلمات، وتفقد أحوال الضعفاء، وكان تقيا محبا للصالحين ولمن انتسب إليهم<sup>1</sup>.

ولعل حقد بعض الدراسات الفرنسية عن الداوي حسين إلى جانب تلك الإهانة التي تعرض لها قنصلهم دوفال هو المقولة الخالدة له - نقلها مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه شخصية الجزائر الدولية - في منفاه مراسلا الفرنسيين بالجزائر: (لن تزهو الدفلى الفرنسية أبدا على التراب الجزائري).

ولعل من أبرز القضايا التي ارتبطت بشخصية الداوي حسين في الدراسات التاريخية الحديثة هي قضية حادثة المروحة بتاريخ 04 شوال 1242هـ/30 أبريل 1827م، والقضية الثانية هي تعامله مع معركة اسطه والي في صد الحملة الفرنسية البرية على الجزائرية بتاريخ 19 جوان 1830م، وسنعود لهما بالتفصيل وكيف تعاملت مختلف المصادر مع القضيتين.

**2- اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء وألفه بالعربية سنة 1836م** وقد حث في هذا الكتاب على ضرورة يقظة العالم الإسلامي والأخذ بمعالم الحضارة الأوروبية وبناتج التجارب التي توصلوا إليها للوقاية من الأمراض وكيفية علاجها، كما نبذ التزمت وألح على التفتح. ومن حيث المقارنة يشبه إلى حد ما كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوي صاحب كتاب تخليص الابريز في تخليص باريز (المتوفي سنة 1873م).

**3- رسالة أسماها حكمة العارف بوجه بنفع المسألة ليس في الإمكان أبدع ألفها سنة 1837م.**

**4- ترجمة لكتاب نور الإيضاح ونجاة الأرواح للشيخ حسين الشرنيلالي الحنفي (1659م)** من اللغة العربية إلى التركية.

وقد ألف مذكرة قدمها للجنة الأفريقية في 1833م التي تعد الوجه الثاني لكتاب المرأة بالإضافة إلى الرسائل الكثيرة التي تبادلها مع شخصيات متعددة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة: مذكرات حمدان خوجة، ص 220.

هذا، ومن آثاره الإصلاحية أنه دعا إلى نبذ التعصب والتزمت الذين كانا يسودان العالم الإسلامي نتيجة لمواقف المحافظين من رجال الدين الذين أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث النبوية فأغلقوا باب الاجتهاد وهنا أدرك حمدان أن هذا هو السبب في تخلف العالم الإسلامي، ودعا إلى الإصلاح الديني مما يؤدي إلى التجديد بحكم أن لكل عصر متطلبات وخصال جديدة ينبغي الأخذ بها.

ومن آرائه الإصلاحية أيضا إلحاحه على تطبيقه الحجر الصحي بسبب أن أغلب الدول الإسلامية أهملت قواعد الوقاية والعلاج لدفع الأمراض المعدية بمجرد أنها تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، وقد قدم مشروع عمل قيم قصد تطبيق الحجر الصحي في الولايات العثمانية وهذا يعني أنه أدرك مركبات الحضارة وتطويرها من جهة ويعد في مصاف الذين اهتموا ودعوا إلى العمل بهذا الجانب الفكري من جهة ثانية لأن ذلك منطوق للتفتح ووسيلة للقضاء على التعصب الذي ضرب أصنابه في العالم الإسلامي.

أيضا إلى ارتداء اللباس الأوروبي سواء لغرض الجهاد أو لغرض التزين، وهو ما يظهر جانب كبير من التفتح والمعرفة العميقة للعوامل المحركة للمجتمعات كما كان على حد كبير مصيبا في معالجة المواضيع في عصره وتطبيق نظريات إصلاحية، وهنا يحق لنا أن نقول أنه سبق علماء مسلمين كثيرين في طرح قضية التجديد والإصلاح السياسي والاجتماعي مثل الطنطاوي والأفغاني ومحمد عبده وخير الدين باشا وغيرهم.<sup>2</sup>

نستنتج من كل ما سبق، أن حمدان خوجة يمثل بعداً تنويريا في تاريخ الفكر الجزائري الحديث، بفضل ما اتسم به من رؤية عقلية ثقافية، ودقة منهجية أهلته لقراءة صائبة للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر في ذلك العهد، وقدرته على إبداع الحلول المناسبة لهذا الواقع.

<sup>1</sup> - احميدة عميداي، المرجع السابق، ص 78-82 بتصرف.

<sup>2</sup> - مصدر البحث، أحميدة عميروبي، دور حمدان خوجة والقضية الجزائرية، المرجع السابق، ص 87-89 بتصرف.

ثانيا - الأمير عبد القادر الجزائري:

## 1 - نبذة مختصرة عن حياته:

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب سنة 1222هـ، ببلدة القيطنة نواحي معسكر، وأصل عائلته من المغرب الأقصى<sup>1</sup>، وهو الابن الثالث لمحي الدين (سيدي محي الدين): شيخ الطريقة الصوفية القادرية ومؤلف "كتاب ارشاد المريدين" الموجه للمبتدئين وأمه الزهرة بنت الشيخ سيدي بودومة شيخ زاوية حمام بوججر وكانت سيدة مثقفة.

وهو الإمام المتصوف الكبير الزاهد في دنياه، المُعظم لشأن معبوده -جل وعز- قال: " اعلم أن الكبرياء والعظمة حضرتان، أو قل مرتبتان للحق ثابتتان له -تعالى- شرعا وكشفا"<sup>2</sup> تقطن أسرة محي الدين في قرية على الضفة اليسرى لوادي الحمام على مسافة حوالي 20 كلم غربي مدينة معسكر، كانت الأسرة تعيش مما تدره عليها الأراضي الزراعية التي تملكها ومن العوائد التي يقدمها الأتباع والأنصار والتي تتكون من نقود ومواد أولية مثل: الصوف بسهل غريس والقمح. ارتحل الأمير من وهران في نوفمبر 1825م، متوجها إلى تونس ماراً بالمدينة وقسنطينة، واصلا إلى بالاسكندرية والقاهرة والسويس، وفي هذه الرحلة تَعلم المهارات العسكرية، وبعدها حج البيت الحرام.<sup>3</sup>

وجدير بالذكر أن عائلة الإمام حازت خاصية الانتماء للنسب الشريف، نسب بيت النبوة عليهم السلام، فهو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرشي سليل قبيلة لها سلطة روحية تتمتع بنفوذ واسع وقد جرت الأسرة على تقديم الضيافة لعابري السبيل والمساعدة للمعوزين، فاشتهرت بالكرم إلى جانب شهرتها بالعلم

<sup>1</sup> - نزار أباطة: الأمير عبد القادر العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1994. ص 9.

<sup>2</sup> الأمير عبد القادر: المواقف الروحية والفيوضات السبّوحية: اعتنى به الشيخ: عاصم ابراهيم الكيالي، ج2، دار الكتب العلمية،

بيروت، ص39.

<sup>3</sup> شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، دت، ص 45.

والتقوى، "لأن محي الدين الذي كانت ضيافته مضرب المثل لم يعرف لها أية حدود لهذا الفيض الغالي"<sup>1</sup>. فهذا كرم العلماء العظماء، الأتقياء أمثال الأمير عبد القادر وآبائه من لدن بيت النبوة الكرام.

شمّر الأمير مهامه إلى التعليم مبكراً، فكان تعليمه الديني صوفياً على الطريقة السنية، تقنن في القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة، كما نال الإجازة في تفسير القرآن والحديث النبوي وهو في الثانية عشرة، ثم حمل سنتين بعد ذلك لقب حافظ وبدأ بإلقاء الدروس في الجامع التابع لأسرته في مختلف المواد الفقهية. شجعه والده على الفروسية وركوب الخيل ومقارعة الأنداد والمشاركة في المسابقات التي تقام آنذاك فأظهر تفوقاً مدهشاً. بعثه والده إلى وهران لطلب العلم من علمائها، حضر دروس الشيخ أحمد بن الخوجة فازداد تعمقاً في الفقه كما طالع كتب الفلاسفة وتعلم الحساب والجغرافيا، على يد الشيخ أحمد بن الطاهر البيطوي قاضي أرزيو، وبالجملة أورد المستشرق تشرشل أن الأمير قرأ حتى كتب الفلاسفة، كأفلاطون وأرسطو وفيثاغورس، كما تفقّه في التاريخ القديم والحديث، منذ عهود الخلافة، وبرع في الفلسفة والجغرافيا والفلك بل وحتى الطب<sup>2</sup>. إذن فكانت شخصيته مرهفة بالحس التعلّمي والتعليمي.

## 2 - فكر الأمير عبد القادر بين الروحانية الصوفية والفلسفة الحربية العسكرية:

أرسى الأمير عبد القادر الجزائري منذ انتخابه ومبايعته معالم الدولة التي كان يريد تأسيسها، وعلى حداثة سنّه إلا أن الأمير كان رجل دولة و مؤسسها بامتياز و عمل على ترسيخ فكرة الدولة الجزائرية في العقول قبل الأرض، فكان حكيماً عالماً، فيلسوف السياسة، ولاسيما وهو الجامع لمكتبات الأولين في عقله.

المرجع نفسه: ص 47.<sup>1</sup>

<sup>2</sup> تشرشل: مرجع سابق، ص 47.

## أ - قواعد الدولة الجزائرية:

أول ما استهل به الأمير عبد القادر حاول هندسة المقومات الوتدية لقيام الدولة القوية، لكنه سبق من كان في زمانه إلى بناء نواحي مهمة في تأسيس الدولة، كان البعض من القادة والزعماء يعتبرها كماليات أو تحصيل حاصل.

فبالإضافة إلى اهتمام الأمير بالجانب السياسي والعسكري وتأسيس جيش منظم إلا أن نظرة الأمير الحاكم و العالم كانت أعمق وأبعد نظرا تفكيراً وتخطيطاً، ومن بين أهم ركائز الدولة التي عوّ عليها الأمير نذكر مايلي:

## ب - قواعد التعليم:

التعليم مقدمة ضرورية للنهضة بكل المجتمعات التي انهكها الاستعمار، لهذا حرص الأمير عبد القادر كل الحرص على تشجيع الحركة العلمية وحثّ الأهالي على تعليم أولادهم قبل الاستعانة بهم في أمور الفلاحة و المعاش، وانطلق الأمير في المشروع البنائي من التعليم الذي اعتبره واجبا وألوية يفرضها عليه لكونه حاكما و كونه مسلما، هذا إقرار و تأكيد على أن الإسلام دين علم وتعليم.

إن مهام أي حاكم أو رئيس كحاكم و مُسلم أن يؤيد العلوم والدين، لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل، وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون الصلوات ويحفظون تعاليم القرآن وفروضة ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب، فوجهة الأمير عبد القادر كانت اعدا منظومة تعليمية تكون أسس بناء الدولة في العقول قبل بنائها على أرض الواقع. ولنجاح هذا المسعى كان النظام التعليمي مجاني ومسؤولية الدولة في توفير المرافق والماديات وأجور المعلمين وحتى المتعلمين الذين يرغبون في مواصلة تعليمهم والتحصيل المعرفي، فأقر

الأمير لهم اتاحة الفرصة ليكملوا تعليمهم وسمح لهم بالإقامة في الزوايا وأخذ العلم على الشيوخ والعلماء مجانا، بل إن الدولة تنفق عليهم من خزائنها مناهج التعليم<sup>1</sup>.

بين في تقريراته أن الذين يريدون مواصلة رباطهم وتعليمهم بعد ذلك يرسلون إلى الزوايا والمساجد حيث يتعلمون بدون مقابل وهناك أيضا يجدون الطلبة (المعلمين) على استعداد لتعليمهم التاريخ وعلوم الدين؛ فكانت مناهج التعليم في الزوايا محصورة في العلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة والشريعة كالفقه وعلم الحديث والتفسير وعلم العقائد وعلوم التاريخ وما يميز هذه العلوم أنها علوم إنسانية في مجموعها فرضتها الظروف والواقع<sup>2</sup>.

### ج - دور العلم والعلماء في تشييد الدولة:

نال مكانة العلماء قيمة كبيرة عند الأمير عبد القادر، وكان دورهم هؤلاء كبيرا في رأيه، أين اضطره الأمر إلى تعطيل أحكام قضائية حفاظا على أرواح بعض من حملة العلم والطلبة الذين ارتكبوا ما يخالف قوانين الدولة، لقد خصص للطلبة رواتب على حسب معارفهم ودرجاتهم وكان يظهر على أن العلم هام جدا فعملت على تشجيعه حتى لقد عفا أكثر من مرة على أناس مجرمين محكوم عليهم بالموت لمجرد أنهم طلبة. إذ الحاكم إذا لم يكن عالما بما حكم كان حكمه باطلا، فالحاكم الحق هو العالم بالمحكوم به والمحكوم عليه<sup>3</sup>، فحاز الأمير شرف الإمارة ورجاحة الحكم، وسداد الرأي وصفاء العقل.

إن الأمير عبد القادر وهو يؤسس للدولة الجزائرية يرى أن الإنسان يلزمه وقت طويل في بلادنا ليصبح على درجة كبيرة من العلم، ولذلك لم تكن لدي الشجاعة على إضاعة ثمار احتاجت إلى سنوات من الجهد في يوم واحد إن الساكن في كوخ قد يقطع نخلة لا تريحه

<sup>1</sup> جيلاني ضيف: بُناة المجد (الأمير عبد القادر الجزائري)، دار الخليل العلمية، ط خ، الجلفة، 2013، الجزائر.

<sup>2</sup> جيلاني ضيف: مرجع سابق، ص 39.

<sup>3</sup> الأمير عبد القادر: الفيوضات الروحية، مصدر سابق، ص 15.

ولكن كم سنة يجب عليه أن ينتظر قبل أن يكون في استطاعته أن يذوق ثمار نخلة أخرى يغرستها، وهنا إشارة إلى الورع والخوف من الله تعالى، لهذا فإن العلم بالرب -تعالى- يورث الخشية والهيبة والأدب، ولعلم العالم بالرب-تعالى- وتميزه بالحقائق الربية، إذ الرب رب وإن تنزل، والعبد عبد وإن تسمى بأسماء ربه وتحقق بها<sup>1</sup>.

كما تجدر بنا الإشارة إلى جهود الأمير عبد القادر في تعليماته للجنود وحرص كل الحرص على تشجيع جمع الكتاب والعناية، بها شأنها شأن المخطوطات ووعده بالجوائز لمن يحصلها يقول الأمير ولكي أساعد الطلبة على دراستهم بذلت أقصى الجهود في المحافظة على الكتب والمخطوطات من الضياع وكان هناك أكثر من سبب يحدوني إلى بذل هذه الجهود ذلك بأنه بالنسبة إلينا يلزم المرء عدة شهور لكتابة نسخة واحدة و من اجل ذلك أعطيت أوامري المشددة في جميع المدن و القبائل أن يبذلوا عناية قصوى في المحافظة على المخطوطات وقد اشتملت أوامري على أن كل من وُجد يتلف أو يفسد مخطوطا تجب معاقبته معاقبة شديدة. وهذا هو مناط وسع العلم بالله<sup>2</sup>.

إن لقد نمت قريحة الأمير حول العلم والاهتمام بأهله، وكان هذا دافعا مهما في نقل براعته وحكمته لمن حوله، ولما كان جنوده يعرفون مدى اهتمامه بهذا الموضوع فقد كانوا يحرصون على إحضار كل ما تقع عليه أيديهم من مخطوطات أثناء الغزوات وكانوا يقومون بذلك بعناية فائقة، ولكي تشجعهم غيرتهم وتحمسهم في هذا المجال كان دائما يعطيهم جوائز كبيرة على ذلك، فكبرت المهمة وأنت الهمة صاغرة في عصر الجزائر الذهبي، وكل هذا بدافع الرد على أعداء الدين والوطن من النصارى والماسونيين<sup>3</sup>، وطبيعي أن يكون سلاح العالم الزاهد هو القلم والتشجيع عليه، والحث عليه ومعاونة أهله وخاصته.

<sup>1</sup> الأمير عبد القادر: الفيوضات الروحية، مصدر سابق، ص 346.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ص 360.

<sup>3</sup> عبد الرزاق بن السبع: الأمير عبد القادر وأدبه: مؤسسة عبد العزيز، 2000، ص، 212.

## د - دور المساواة في إرضاء الرعية:

لا وجود لقيام الممالك إلا بالعدل، كما لا استمرار لها كذلك، فمن أسس الدولة المهمة التي ركّز عليها الأمير من أجل ارسائها في دولته الفتية " العدل " وإقامة دولة العدالة، ولقد صدق أبو نصر الفارابي عندما اشترط العدل في الرئيس، أو حاكم المدينة الفاضلة فقال: " أن يكون ( أي الرئيس ) بالطبع محبا للعدل وأهله، ومُبغضا للجور والظلم وأهلها"<sup>1</sup> وهو ذاته المنحى الذي بيّنه ابن خلدون وأشار إلى أهميته في بناء الممالك واستمرارها.

والعدل كقيمة نظرية في ذاتها، وكقيمة عملية في ذاتنا لا بد لها من مقدمات وغايات، ومن أجل بلوغ هذا الهدف المنشود، بدأ الأمير في إحقاق منظومة قضائية قادرة على بسط الأمان والعدل واحقاق الحقوق لأصحابها، وفرض الانضباط والاستقرار في ربوع هذه الدولة الفتية، وبنفس الهمة التي وضعت بها نظام التعليم العام، أسست نظام القضاء، فقام بتقسيم السلطات إلى سلطة قضائية وسلطة تنفيذية تتولى تنفيذ الأحكام و سريانها، واختار من الرجل لمهمة القضاء المُلمين بالفقه والاحكام الشرعية والإحاطة بأحوال الناس فأمر لهم برواتب تضمن لهم كرامتهم، ومنحهم السلطات المطلقة في الأحكام وممارسة مهامهم، ولتنفيذ الأحكام استحدث الأمير الشرطة وجعل كل فرقة من الجيش برفقة قاض بمساعدين ورئيس للشرطة في تنظيم عسكري قضائي فريد ينفذ الأحكام، وحتى العلم يقتضي الإحاطة بالمعلوم كما قال الأمير في موافقه<sup>2</sup>.

يرى الأمير عبد القادر أن الأتراك كانوا يحكمون بالموت تبعا للنزوة وبغلظة، ولكنني لم أسمع بأي تنفيذ للإعدام إلا بعد حكم مطابق لشريعة الله التي لم أكن سوى منفا لها لذلك أينما ذهب جيشي كان مرفوقا بقاض ومساعدين أحدهما وهو رئيس الشرطة ( كان ينفذ الأحكام). فانظر الفارق كم كان واسعا؟، أرى الأمير في وقت وجيز نظام القضاء الذي

<sup>1</sup> الفارابي أبو نصر: آراء أهل المدينة الفاضلة، منشورات الجمل، ط1، بيروت، 2014، ص 104.

<sup>2</sup> الفيوضات الروحية والمواقف الروحية: ص 310.

ضمن الأمن والاستقرار في دولته وكان بالمرصاد للخونة وعملاء الاستعمار والنصارى. إن شريعتنا صريحة في أن كل من أعان العدو ببضائعه و كل من اعانه بسلاحه فقد أحل حياته، فالأمير ينكر الخيانة بأي شكل كانت. فقد خدعه الفرنسيون مرارا ونقضوا العهود والمواثيق<sup>1</sup>.

وختاما نفهم مما سبق أن الأمير وضع التعليم والتعلم والعدل قيما وشروطا واجبة الوجود في رئيس أي دولة، تريد ويريد شعبها النهوض نهضة كاملة في وجه الاستعمار الغاشم:

- التعليم من المؤسسات الكبرى التي تقوم عليها كل الدول، ولا يسوسها إلا العلماء.
- العدل نتيجة منطقية ينصرها العلماء، بل إن العدل من خصالهم في معاملاتهم، لهذا فهو الشرط الأساس في انتظام أي دولة تريد الاستمرار. وكانت دولة الأمير عبد القادر نموذجا يُحتذى به لمن أرد نورا وسبيلا واضحا، فبان إذن أن الأمير عبد القادر الجزائر علمٌ كبير، ونجم نوراني ساطع من أعلام الجزائر في العصر الحديث.

---

<sup>1</sup> نزار أباطة، الأمير عبد القادر، ص 13.

ومن سمات شخصيته أنه كان رجلا معتدل القامة، عظيم الهمة عاكفا على شهود صلاة الجماعة في أوقاتها، وكثير التهجد والخلوات وكثير الصدقات يبر العلماء الصالحين والفقراء برواتب شهرية وينتصب لقضاء حوائج العباد عاملا بتقوى الله في السر والعلن، وكان حليما زهيدا وله مواقف إنسانية ومعظمها عند ملوك البلاد الأوروبية وكان الناس يلجئون إليه في حل مشكلاتهم وخصوماتهم فيصلح بينهم ويرتضون لأحكامه وكان مسموع الكلمة لا يرد له الولاية طلبا ويتقربون إليه بتنفيذ ما يشير به وكان بيته في دمشق مركز اجتماع أعيانها لمناقشة المسائل الهامة وكانت له جلسة خاصة مع كبارهم للتفسير والحديث والاعتبار بأقوال السلف الصالح.<sup>1</sup>

وقد خلف الأمير عبد القادر مؤلفات هامة من أهمها:

- 1- وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب: في قوانين وتنظيم الجيش تضمن أربع وعشرين مادة وخاتمة.
- 2- ذكرى العاقل وتنبية الغافل: رسالة ألفها في بروسة بتركيا على الحث على النظر ودم والتقليد وفضل العلماء وفضل الكتابة واحتياج الناس إلى التصنيف.
- 3- المواقف الروحية والفيوضات السبوقية: وهو كتاب في التصوف نحا فيه نحو ابن عربي يقف عند آيات قرآنية ويفسرها تفسيراً رمزياً صوفياً رتب علمه على اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفاً.
- 4- ديوان شعر فيه قصائد متنوعة مشتملة على الفخر والغزل والمساجلات والمناسبات والتصوف.
- 5- حسام الدين لقطع شبه المرتدين: وهو رد على من ركن إلى الكفار (الاستعمار الفرنسي) ودخلوا تحت ذمته في المناطق التي خضعت له.

---

<sup>1</sup> - الأمير عبد القادر العالم المجاهد، جمع وتحقيق نزار أباضة، دار الفكر المعاصر بيروت، 1 ص 31.

- 6- المقراض الحاد القاطع في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد وقد كتبه سنة 1852م بفرنسا يرد فيه على من أدى أن غدر غير مستهجن في الإسلام وفيه إثبات للألوهية والنبوة ووجوب الوفاء والأمر به ونبذ الغدر والنهي عنه.
- 7- مذكرات أو سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تناول فيه نسبه وشيوخه وحياته وغير ذلك.
- 8- خيول الصحراء.
- 9- تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام.
- 10- رحلة في سورية.
- 11- رسالة في (شرح سورة الكوثر).
- 12- إجابات الأمير عبد القادر: رد على إشكالات بعض عبارات الصوفية.
- 13- رسالة في الحقائق الغيبية.<sup>1</sup>

وهذا وقد توغل الأمير في آخر عمره بالتصوف وعلوم القوم، وأظهر من الرقائق والمصارف ما أشار إلى سمو مقامه ورفيع قدره، وتنقسم حياته الصوفية إلى ثلاث مراحل:

الأولى: هي المرحلة التي سافر فيها إلى دمشق مع والده وأخذ عن علمائها وتلقى الطريقة النقشندية فيها عن الشيخ خالد النقشندي، والطريقة القادرية التي تلقاها ببغداد عن الشيخ محمود الكيلاني القادري، وبعد ذلك عند رجوعه إلى الجزائر أنشأ مراكز في القرى وبين القبائل لنشر الطريقة القادرية وهم الذين غدوا حركة الجهاد التي قام بها الأمير بعد ذلك.

الثانية: مرحلة عزلته وخلوته في مدينة أمبواز عندما كان سجيناً وإلى هذا أشار في كتابه الموافق.

الثالثة: هي المرحلة التي تم فيه التزقي الصوفي، وصل إليها في مجاوراته بمكة المكرمة سنة 1279هـ حيث أقبل على العبادة والخلوة والتقى بالشيخ محمد الغابي الذي أعطاه الطريقة الشاذلية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الأستاذ محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015م.

ومن هنا نفهم أن الأمير يعد قارئاً لفصوص الحكم لابن عربي ودليل ذلك أنه قسم كتابه المواقف بنفس ما قام به ابن عربي معنى هذا أن ما قام به الأمير في التصوف يتميز بالأصالة والفهم الجديد لفكر ابن عربي

أمر آخر ينبغي الإشارة إليه هو تسامح الأمير عبد القادر الجزائري الذي يمثل أحد أبرز خصائص شخصيته، حيث كان رجل حوار وسلم متشبع بثقافة حقوق الإنسان والقيم الإنسانية، واستطاع أن يجمع بين حماية شعبه من الاستعمار الدخيل وحماية المسيحيين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى مما جعله قدوة للمسلمين ومثار المجاب الغربيين وإيمانه بحقوق الإنسان قاده إلى حرصه على حسن معاملة السجناء الفرنسيين فكان يدعو إلى السلام والحكمة والأخوة.

نستنتج إن أن شخصية الأمير عبد القادر تستأهل أن تكون علماً بارزاً في دنيا السياسة وعالم الفكر، تحظى بالاحترام حيث كان له الفضل في ترسيخ مبدأ العيش الواحد ونشر قيم السلم والمصالحة بين الشعب الواحد بين مختلف طوائفه الدينية وهذا هو عمق التسامح الذي آمن به ودعا إليه ومارسه عملياً طوال سيرته الذاتية والعلمية.

### ثالثاً: محمد بن علي السنوسي (ت 1276هـ/1859م)

يعد محمد بن علي السنوسي من أبرز علماء القرن التاسع عشر، فهو داعية ومصلح ديني واجتماعي، أسس الزوايا وبنّاه في أماكن مختلفة، وهذب النفوس وربّاه، ونشر الفضيلة وحارب الرذيلة، وكان له عزم عظيم وهمة عالية في طلب العلم وتحصيله ونشره والرغبة الجامعة في جمع الكتب واقتنائها، فهو العالم الفقيه الصوفي المربي، وأحد أكبر زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الأمير عبد القادر العالم المجاهد، المرجع السابق، ص

<sup>2</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص 213.

**1- نبذة عن سيرته الذاتية:** يؤكد عادل نويهض إلى أن السنوسي هو "محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، أبو عبد الله: مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم ونشأ في بيت علم ودين وفضل.<sup>1</sup>

وفي رأي الكثير من الباحثين، فإن نسبه يعود إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكرمل بن الحسن المثنى بن الحسن البسيط، بن سيدنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت إمام المرسلين مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

هذا، وقد درس علوم الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية والطرائق الصوفية والفلسفة والمنطق وعلوم الفلك وغير ذلك من فنون المعرفة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، قضى الإمام السنوسي حياته كما أشار إلى ذلك عادل نويهض حياته على جناح سفر، فتنقل في البلاد العربية وتمكن من خلالها من الإطلاع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية، وفي سنة 1275هـ رحل إلى برقه، وأقام في الجبل الأخضر، وبنى زاوية البيضاء فانتشر خبره وعمّت الدعوة السنوسية لليبيا، وفي عام 1270هـ، وانتقل إلى زاوية العزبات ومنها إلى زاوية الجغبوب سنة 1273هـ فأقام إلى أن توفي فيها بعد ثلاث سنوات.<sup>3</sup>

وفي هذا السياق، يذهب أحد الباحثين وهو محمد الطيب الأشهب إلى أن هذه الأسفار الشاقة التي قام بها الإمام الأكبر محمد بن علي السنوسي، بين فاس ومصر والحجاز، باحثاً ومنقبا عن الوسيلة التي تمكنه من خدمة الإسلام ورفع شأن المسلمين، ما هي إلا جزء من برنامج ضخم أخذ يعمل على تنظيمه ووضع الخطط الخاصة به.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص179.

<sup>2</sup> - شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت، 1971م، الجزء2، ص140. وقد ذكر هذا النسب في مراجع أخرى كثيرة.

<sup>3</sup> - عادل نويهض، معجم إعلام الجزائر، المرجع السابق، ص179.

<sup>4</sup> - محمد الطيب الأشهب، برقة بين الأمس واليوم، ص134.

2- مؤلفاته: لقد ترك الإمام السنوسي عدة مؤلفات ضمنها آراءه في الفقه والتصوف واللغة والعقيدة وغيرها، وقد سجلها بأسلوب المناقشة وتقديم الحجج المصنعة، وهو ما يدل على سعة إطلاعه وقوله بلزوم البحث والاجتهاد.

ولهذا، فإن دراسة هذه المؤلفات تفيد الباحثين في معرفة أفكار السنوسي وفهم مقاصده بطريقة صحيحة، وهكذا يمكن رصد المصنفات التي قام بتأليفها هذا الإمام وهي على النحو التالي:

1- إيقاظ الوسناس في العمل بالحديث والقرآن: تحدث فيه عن وجوب العمل بالحديث والقرآن الكريم وقسمه إلى مقدمة ومقصد وخاتمة، وركز في المقصد على وجوب التمسك بالكتاب والسنة، وأكد على حقيقة الاجتهاد وأنواعه وشروطه وذكر الأدلة الشرعية التي تدم التقليد المذموم.

وقد طبع في دور نشر مختلفة في الجزائر ومصر.

2- شفاء الصدر بأي المسائل العشر: وقد ذكر فيه عشر مسائل تتعلق بالصلاة منها مسألة الرفع في الصلاة، والقبض، والاستعاذة والبسمة بعد الفاتحة والسورة، وفي القنوت وغير ذلك.<sup>1</sup>

3- الردة السنية في أخبار السلالة الإدريسية: تحدث فيه عن أصل الإدريسية وفروعهم من السادة العلوية ممن له ولاية ودولة في المغرب العربي ورتبه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

4- المسائل العشر، المسمى بغية المقاصد في خلاصة الراصد.

5- رسالة المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية.

6- المنهل الروي الزائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، قال الكتاني: وهو فهرس ممتع.

---

<sup>1</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص 213-214.

- 7- بغية المساعد في أحكام المجاهد: وهي رسالة حث فيها المسلمين على جهاد العدو ومدافعتهم وساق فيها نصوص من الكتاب والسنة.<sup>1</sup>
- 8- رسالة في مقدمة موطأ مالك.
- 9- السلسيل المعين في الطرائق الأربعين.
- 10- التحفة الشريفة في أوائل مشاهير الأمهات الحديثة.
- 11- إزاحة الأكنة في العمل والسنة.
- 12- تاريخ الأدارسة من ملوك المغرب.
- 13- فحم الأكب وفي مواد الاجتهاد.
- 14- قرة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى.
- 15- شذور الذهب في محض محقق النسب وموضوعه تاريخ أسلاف ابن السنوسي.

- 16- لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن.
- 17- ريحانة الحبوب في عمل السطوح والجيوب.
- 18- رسالة الفلاح في الفتح والنجاح.
- 19- المواهب السرية في منتقى الأوضاع الحرفية.
- 20- نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.
- 21- مجموعه أسانيد الإمام أبي حنيفة.
- 22- مفتاح الجغر الكبير.
- 23- منظومة السلوك إلى ملك الملوك.
- 24- هدية الوسيلة في إتباع صاحب الوسيلة.
- 25- رسالة شاملة في مسألتي القبض والتقليد.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 214-215.

- 26- طواعن الأسنة فف طاعفف أهل السنة.
- 27- الشموس الشارقة أو الكواكب الشارقة فف أسانفد بعض شفوخنا المغاربة والمشاركة.
- 28- الكواكب الدرعة فف أوائل الكتب الأثرفة وتناول ففه الكتب الفف درسها وأسماء العلماء الذفن أأذ عنهم.
- 29- البذور السافرة فف عوالف الأسانفد الفاخرة وهو فلففص لكتابه الشموس الشارقة.
- 30- منظومة شرح البسملة فف اثنف عشر علم.<sup>1</sup>

نفهم من هذا العرض لمؤلفات الإمام السنوسف أنها ففكس صراحة سعة إطلاعهم وغازفر علمهم، مما ففكد على أن هذا الشفخ كان ففبفد آراءهم وبنشرها بفن أأباعهم ففنا، وفلأأ إلى الفألفف ففنا آفر.

ومن هذه المؤلفات، فمكن ففكون ففكرة أساسفة عن المؤلف كمفكر ومصلح ففنف واجفماعف والفف فمع بفن منهج العلماء ومنهج أقطاب الصوففة، وأنه بذلك قد نجح بفأسفسه للحركة السنوسفة بففوفد لفبفا سفاسفا، والسعف الفففف لفقظة الفكر العربف الإسلامف فف العصر الفففف.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 216-217.

رابعاً : محمد بن يوسف أطفيش (ت 1332هـ -1914م):

### 1- نبذة عن حياته:

يوسف الباحثين والدارسين، أنه قطب الأئمة هو عالم جزائري من الإباضية، ذاع صيته في الفقه واللغة والأدب والتفسير، وقد عكف على التدريس والتأليف،

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكة في تونس، وقد ولد في يزقن بوادي ميزاب سنة 1236هـ-1820م، وتوفي سنة 1332هـ-1914م.

يعد من كبار المجتهدين، ومن أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية بالجزائر، وقد ولد كما أشرنا من قبل، في بني يزقن وبها نشأ وتعلم، وسافر إلى الديار المقدسة مرتين وكان يؤلف وهو في السفينة، وقد عكف على التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عاماً.<sup>1</sup>

هذا، ويرى الشيخ أبو اليقظان (1888م، 1973م)، وهو تلميذ للشيخ أطفيش حيث يقول عنه: "منهم الشيخ الحاج أحمد بين يوسف أطفيش الشهير بقطب الأئمة عند المغاربة وبقطب المغرب عند المشاركة، وهو جدير بحق بهذا اللقب العظيم".<sup>2</sup>

وبشأن والده، فهو الشيخ الحاج بن يوسف، رحمه الله، فيعتبر من الشخصيات البارزة في وادي ميزاب، وكان ذكياً، شجاعاً، حاملاً لواء الحق، وقد توفي وابنه لم يتعدى خمس سنوات.

أما والدة الشيخ أطفيش فهي ماما ستي بنت الحاج سعيد بن عدون، عائلة آل يدر، وقد بذلت جهوداً مضيئة وحثيئة في سبيل نشر العلم الصحيح، وتأسيس المعرفة الإسلامية العلمية، وقد لعبت الدور الكبير في اتجاه ابنها إلى العلم بعد وفاة والده.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص20.

<sup>2</sup> - بكر بن سعيد أغوشست، محمد بن يوسف أطفيش حياته-آثاره الفكرية، جهاده، مكتبة الغامري، للنشر والتوزيع،

عمان، د.ت، ص62.

وبالفعل، لما بلغ محمد بن يوسف أطفيش الخامسة من عمره، أدخلته أمه الكريمة في كتاب المسجد ليحفظ القرآن الكريم، فأظهر ذاكرة قوية، وذكاء حادا، ونشاطا مثاليا، لا يعرف الملل، فسطع نجمه أما أتراهه.<sup>2</sup>

## 2- أساتذته:

في هذا السياق تلقى الشيخ أطفيش العلم على يد أساتذة الذين كانوا في أغلبهم يعملون في حقل الفلاحة أو البناء أو التجارة لكسب قوتهم اليومي ومن أبرزهم، الشيخ عمر ابن سليمان، والشيخ الحاج سليمان بن يحيى وأخو الشيخ إبراهيم بن يوسف، وهنا يرى أحد الباحثين أن هؤلاء الشيوخ قد غرسوا في الشيخ أطفيش الإسلام العملي الصحيح والفضيلة الأخلاقية وحب الإطلاع وحتى أخيه الكبير الشيخ إبراهيم بن يوسف لما رجع من المشرق العربي، أخذ ينشر معارفه الدينية والعقلية والاجتماعية والعلمية في بني يزقن، وكان له أثر فعال في تثقيف شخصية أخيه بعد ذلك.<sup>3</sup>

في هذا السياق، يقول أبو اليقظان: "لما رجع أخوه الشيخ إبراهيم من المشرق من عمان ومصر، وهو مملوء الوطاب وبأوسع المدارك، إذا احتضنه تعليما وتثقيفا، فوجد منه بحرا زاخرا عذبا يروي غلته من العمل والمعرفة، فأخذ حظه منه في سائر الفنون، غم تفرغ للتدريس والتأليف وصرف قوة شبابه فيهما إلى آخر عمره.<sup>4</sup>

## 3- تلاميذته:

أما عن تلاميذه، فلا شك أنهم قد تأثروا به دينيا وأخلاقيا ونهجوا منهجه الإصلاحية في سلوكهم وسلوك مجتمعهم ومن بين هؤلاء:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 63.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 64.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

<sup>4</sup> - محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الأول، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1965م، ص 2-3

1- الشيخ بابكر بن الحاج مسعود الذي تولى مشيخة غرداية، وأسس مدرسة علمية وتخرج منها عدة أعلام.

2- صالح بن عمر (ت1928م): وهو من العلماء البارزين الذين أثروا في النهضة العلمية بعد وفاة الشيخ أطفيش.

3- صالح بن يحيى بن الحاج سليمان، ويعد من ابرز تلاميذ الشيخ وقد شارك في النشاط السياسي والثقافي في تونس بعد سفره إليها.

4- أبو اسحق إبراهيم بن محمد إبراهيم بن يوسف أطفيش (ت 1965م) أحد طلبة القطب، شارك في الحركة الوطنية في الجزائر وتونس.

5- إبراهيم بن عيسى بن داود أبو اليقظان (ت 1973م) صحفي قدير أصدر ثمانى جرائد عربية إسلامية قاومت الاستعمار الفرنسي منها وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، البنراس، الأمة، الفرقان.<sup>1</sup>

والجدير بالذكر، أنه هناك عدة علماء تخرجوا من مدرسة الشيخ أطفيش، والذين حملوا لواء النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب والجزائر بشكل عام.

#### 4- مؤلفاته ومكانته العلمية:

يرصد لنا الباحث محمد بسكر من خلال مؤلفه "أعلام الفكر الجزائري" الكثير من المصنفات التي تركها لنا الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، في فنون متنوعة شملت التوحيد والحديث والفقه وعلوم اللغة، ويمكن أن نفصل بعض الشيء في هذا الموضوع على النحو التالي:

أولاً: في تفسير القرآن وعلومه:

---

<sup>1</sup> - بكير بن سعيد أغوش، المرجع السابق، ص82-83.

1- هيمان الزاد ليوم المعاد في التفسير الطبعة الأولى، المطبعة السلطانية، زنجبار/سنة 1300هـ تحتوي 12 جن ط2، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، سنة 1980م في 13مج.

2- جامع حروف ورش، منظومة في التجويد، (ط) الجزائر سنة 1325هـ.

3- تيسير التفسير: ط1، الجزائر سنة 1326هـ، 7ج، ط2، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (ط3) نشرتها وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان بين سنة 1982م وسنة 1987م، ط4، المطبعة العربية بغرداية، الجزائر، 1996م.

4- داعي العمل إلى يوم الأمل: وهو تفسير لم يكتمل في أربعة أجزاء، بدأه من سورة الرحمن إلى غاية سورة المزمل عند قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وطبع هذا الكتاب بمكتبة الشيخ حمو بابا وموسى بغرداية، واخرى بمكتبة الشيخ أطفيش (خ2) مكتبة سلطنة عمان.<sup>1</sup>

الملاحظة هنا أن كثرة الطبعات لهذه المؤلفات الخاصة بتفسير القرآن وعلومه، تدل على أنها ذات قيمة علمية ومنهجية تجاوزت حدود الجزائر.

#### ثانيا: في الحديث والآداب: وله المصنفات التالية:

1- جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، وهو في الحديث، طبعة حجرية، مصر، سنة 1304هـ.

2- وحاء الضمانة بآداب الأمانة: وهو شرح لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، قسمه إلى أبواب، في كل باب أربعون حديثا، طبعة حجرية بالطبعة البارونية مصر، سنة 1306هـ، في 3ج، ط2، سلطنة عمان سنة 1982م، في 2ج.

3- ترتيب الترتيب: أعاد فيه ترتيب مسند ربيع بن ربيع، ط الجزائر، سنة 1326هـ، نسخة بالمكتبة البارونية جربة، 1326هـ.

<sup>1</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص276-277.

4- الشامل الأصل والفرع، ط، 2ج.

5- اطالة الأجور وإزالة الفجور، ط1، الجزائر، 1897م، ط2، تحقيق عمر بازين.

6- الذهب الخالص المنود بالعلم الخاص في الدين والآداب المطبعة السلفية ط1، القاهرة، 1343هـ في 340ص حققه وأشرف عليه إبراهيم أطفيش، ط2، مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر، 1400هـ، ط3، المطابع العالمية، سلطنة عمان، 1980م.

الملاحظ أن هذه الكتب تشمل علوم الدين والأخلاق والآداب الإسلامية، وتعدد دور النشر التي قامت بطبعها لدليل واضح على فائدتها الجمة.<sup>1</sup>

**ثالثا: في العقيدة والجدل وعلم الكلام:** ألف محمد بن يوسف أطفيش في هذا الميدان الكثير من المؤلفات وهي:

1- إزهاق الباطل بالعلم الهاتل.

2- رسالة: إن لم تعرف الإباضية ياعقبي يا جزائري.

3- شرح عقيدة التوحيد لعمر بن جميع.

4- الجحة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد.

5- القول المتين، وهو شرح مقدمة الشيخ تبيغورين بن عيسى الملتشوطي.

6- الرد على الإنجليزي الطاعن في الدين.

7- البرهان الجلي في الرد على الجري علي.

8- الذخر الأسني في شرح أسماء الله الحسنى.

9- تقارير على حاشية الديانات للسيد وبكشي.

10- حاشية السؤالات لأبي عمرو عثمان.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص278.

11- فتح الباب للطلاب، شرح معالم الدين في الفلسفة، اصول الدين للثميني ولم يكمله.

**رابعاً: في الفقه:** وله مجموعة من المصنفات وهي:

- 1- شرح الدعائم في الفقه.
- 2- شرح النيل وشفاء العليل وتحتوي على عشرة أجزاء كبيرة في الفقه، جامعة لأراء المذاهب الفقهية، ويعد عمدة المذهب الإباض في الفقه.
- 3- التحفة والتوأم.
- 4- كشف الكرب في الفقه.
- 5- حكم الدخان والسعوط.
- 6- تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر.
- 7- فتح الله، شرح شرح مختصر العدل والإنصاف وهو موسوعة في أصول الفقه المتعارف.
- 8- ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديد.<sup>1</sup>

**خامساً: في السير والتاريخ والتراجم**

- 1- الشافية: في تاريخ ميزاب وأنساب بعض قبائله.
- 2- ملحق من مخطوط "تلقين التالي للآيات المتعالي"، ترجم فيه للخليل بن أحمد الفراهيدي.
- 3- ولاية الخليل بن أحمد.
- 4- السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة.
- 5- الغسول في أسماء الرسول.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 279-280.

6- شرح نونية المديح.

#### سادسا: في المنطق والطب والفلك وعام الحساب:

- 1- رسالة في الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان في المنطق.
- 2- تحفة الجبّ في أصل الطب.
- 3- مطلع الملك في فن الفلك.
- 4- إيضاح المنطق في بلاد المشرق.
- 5- شرح سلم الأخضر<sup>1</sup>.

#### سابعا: في اللغة والأدب والبلاغة:

- 1- تخليص العاني من رفة جهل المعاني وهو في البلاغة.
- 2- شرح لامية الأفعال.
- 3- كتاب الرسم.
- 4- شرح شواهد القزويني.
- 5- ربيع البديع في علم الخليل وهو في العروض.
- 6- حاشية شرح الأجرومية لأبي القاسم الداوي.
- 7- معتمد الصواب من شواهد قواعد الإعراب.
- 8- حاشية على الشرح المرادي على الألفية.

#### ثامنا: في القصائد والشعر والألغاز:

- 1- ديوان الشعر.
- 2- أرجوزة الشهور على مرّ الدهور.
- 3- تفسير الألغاز.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 280-281.

#### 4- شرح لغز الماء.<sup>1</sup>

نستنتج من كل ما سبق، أن ما خلفه الشيخ محمد بن يوسف أطفيش من مؤلفات يعد ثريا وغزيرا، مما يؤكد على سعة علمه ودقة منهجه، وعمق تحليله للقضايا التي تناولها.

ندرك من هذا كله، أن المكانة العلمية التي يحتلها هذا العالم الجليل، في الأوساط الدينية العربية الإسلامية كبيرة جداً، نظراً لعلمه وأخلاقه وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي، فهو يحق علامة بالتفسير والفقہ والأدب، وقد جمع بين العلم والعمل، وبين الأمانة والإخلاص للنهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر، إلى جانب توفره على خصائص قلّ نظيرها، من سعة العلم ودقة النظر وصدق الحكم، إضافة إلى هذا الورع والتواضع والاستقامة، الأمر الذي أهله ليكون محل الإثناء من الباحثين والدارسين قديما وحديثا.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 281-282.

خامسا: محمد ابن أبي شنب: (ت 1869هـ/1929م)

## 1- نبذة عن حياته:

محمد بن العربي بن محمد أبي شنب: باحث وعالم بالأدب ولد بفحص قرب المدينة وتعلم بالمدينة ومدينة الجزائر. التحق بالتعليم من سنة 1888م وعين أستاذا للعربية في كلية الجزائر، منحته الجامعة الجزائرية لقب دكتور في الآداب (1920م) كان يحسن اللغة الفرنسية كأهلها، وله إلمام جيد بالفارسية والعبرية والإيطالية والتركية والإسبانية وغيرها.

انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1920م وعضوا في المجمع العلمي الاستعماري بباريس سنة (1924م) مثل الجزائر في عدة مؤتمرات منها مؤتمر المستشرقين في الرباط سنة 1928م، ومؤتمر المستشرقين في مدينة أوكسفورد. وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين وشهدت بفضلها الأعلام وراسله مشاهير الكتاب والأدباء منهم كراتشكوفسكي وأحمد تيمور باشا، توفي بمدينة الجزائر.<sup>1</sup>

## 2- مؤلفاته:

صنف كتب منها "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب" (1906 و 1928) و "شرح لمثلثات قطرب" (1906) و "أبو دلالة وشعره" وهو أطروحته للدكتوراه (1922) و "الألفاظ التركية الفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية" (1922) و "الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب" ثلاثة أجزاء (1908) و "الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر" (مخطوط) و "فهرست الكتب المخطوطة في خزنة الجامع الأعظم بالجزائر" (1909) و "معجم" بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب، ونقدها (1922) و "خرائد العقود في فرائد القيود" (1909) و "مجموع الفوائد في منظوم المثلثات والقيود والشوارد" (1909) و "المثلثات عند العرب" بالفرنسية (1928) كما عني بتصحيح وتحقيق ونشر عدة كتب من نفائس التراث العربي، منها "البستان" (1908) و "رحلة الورتيلاني"

<sup>1</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 189.

(1908) و "عنوان الدراية" طبعة أولى (1910) و "الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية" (1920) و "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" و "طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن 13 للمسلمين مع الكفار" تأليف الشيخ محمد العربي المشرفي الغريسي و "وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي" مع تعليقات عليه و "طبقات علماء أفريقية" لأبي العرب جزان (1915 و 1920) و "طبقات علماء أفريقية" لمحمد بن الحارث الخشني و "شرح ديوان علقمة" للأعلام الشنتمري (1925) و "شرح ديوان عروة بن الورد" لابن السكيت (1926) و "شرح شواهد جمل الزجاجي" في النحو (1927) و "تحرير الموشين في التعبير بالسین والشین" للفيروز آبادي مع تعليقات (1928) و تدميث التذكير في التأنيث والتذكير" منظومة لبرهان الدين الجعبري (1911) و "شرح الشنتمري لشعر اري القيس" و "شرح ديوان عبد يغوث" كما ترجم للفرنسية "ديوان الحطيئة" (مخطوط) و "ديوان مزاحم العقيلي" (مخطوط) والقسم الثاني من "فقه اللغة" للثعالبي (مخطوط) و "متن إيساغوجي" في المنطق (مخطوط) و "متن شذور الذهب" في النحو (مخطوط) و "التسيير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل" للفاسي وقد نشر مع الأصل سنة 1895 و "نظم" الشيخ محمد بن إسماعيل الجزائري (1820-1870م) في الحرب الواقع سنة 1845-1856 طبع (1908).<sup>1</sup>

ونقح (معجم) العالم بوسي العربي الفرنسي وطبع بعد وفاته سنة 1930 واعتنى بمعجم ابن سيدة العربي الفرنسي فنقحه وزاد عليه (1924)، كما أن له بالفرنسية كتاب بين فيه ما أخذه دانتي Dante الشهير الإيطالي من الأصول الإسلامية في كتابه "ديفينا كوميديا" Divina Comedia و "كتاب" صغير الحجم في سبب تملك إسبانيا للنصارى (19823) و "كتاب" في تاريخ الرجال الذين رروا صحيح البخاري ويلغوه للجزائر سنة 1905 وله عدة أبحاث قيمة في دائرة المعارف الإسلامية.<sup>2</sup>

### 3- صفاته وأخلاقه:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 190-191.

<sup>2</sup> - عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 191.

يؤكد الشيخ عبد الرحمان الجيلالي على أن الشيخ ابن أبي شنب قد "نشأ في حجر والديه موقرا مقدما على إخوانه وأقرانه معتنى به عند أهله وذويه، وذلك لما كان عليه من الكياسة والاستقامة في الرأي، وقد حكى لنا في غير ما مرة أنه لم يعلم أو يتذكر أن يوما أغضب فيه أهله، كما أنه لم يتصور في فكره أن والدته نهرته يوما".<sup>1</sup>

وكان أيضا، كما يرى عبد الرحمن الجيلالي "متعصبا لدينه متبصرا فيه، ولا يقبل فيه ممارسة المتفلسفين، ولا مسامحة المتساهلين، محافظا على هندامه القومي، في سائر مواقفه، في حله وترحاله وحتى بالبلاد الأوروبية بعمامته، وبرنوسه وسراويله العريضة وعباءته".<sup>2</sup>

إلى جانب هذا، فقد اتسم هذا العالم الجليل، بأنه "الرجل العصامي الحازم، والبطل القائم الذي دوخ أرباب المجامع العلمية وأصحاب التأليف والموسوعات، وقد كان مفرطا في حب التدقيق العلمي وانتظامه، وكثيرا ما كنا نسأله عن المسألة العلمية فيتبين عنها بأعجب جواب وأخصره بدون إطناب ولا تصنع".<sup>3</sup>

وهكذا، وعلى الرغم من أنه على ثقافة واسعة بالفكر الغربي الحديث، إلا أنه لم يسايرها على حساب دينه وهويته فلقد كان معجبا بطرائق الغرب التعليمية البيداغوجية ومناهجهم العلمية، غير أنه كان معتزا بلغته، "فكان لا يتظاهر بالمعرفة أصلا، ولا يتفصح في حديثه حتى يحسب جاهله أنه من عامة الناس، ولا يتكلم الفرنسية مع بني وطنه ويتجاهلها أحيانا".<sup>4</sup>

والنتيجة لهذه الخصائص التي تميز بها هذا العالم الجليل، أنه أكسب الاحترام والإجلال والاكبار لشأنه من بني وطنه، وحتى من الأجانب الذين احترموه وعظم في أعينهم وقلوبهم.

---

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، الدكتور محمد ابن أبي شنب، نسبه، نشأته، علمه، أخلاقه، آثاره، مطبعة إيميل بنسير، الجزائر، 1932م، ص 06.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 21.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

ويتطرق الباحث بلعربي عمر في مقال له في مجلة أنتروبولوجية الأديان إلى تمكن محمد بن أبي شنب من أن ينال حظا وافرا مكنه من الإحراز على مكانة أساسية بفضل انتدابه في المجامع العلمية والمؤتمرات الدولية واشتغاله الوثيق بالعلاقة الوطيدة بالمستشرقين والتي بدأت بعد دخوله الجامعة عام 1894م كمدرسا للغة العربية وألحق بعد ذلك بالمدرسة العليا للآداب المتخصصة في الدراسات العربية الإسلامية وتابعة في نشاطها العلمي للاستشراق.

إلى أن أصبح من أنشط العاملين وأبرز الممثلين له وموضع ثقة المستشرقين واحترامهم من خلال المشاركة في المؤتمرات العلمية والاشتراك في التأليف والتحقيق.<sup>1</sup>

نستنتج من كل ما سبق، أن العالم الجليل محمد بن أبي شنب يعد من أبرز الشخصيات المؤثرة في الفكر الجزائري الحديث كونه تلقى أعلى المراتب العلمية في المدارس الفرنسية والعلاقات الكبيرة التي كانت تربطه بالمستشرقين، إلا أنه كان محافظا على هويته الثقافية الراضية للتجنيس والإدماج، وهو بذلك قد كسب مكانة عظيمة في الأوساط الثقافية الفرنسية خاصة والشعب الجزائري بشكل عام.

وبهذا، تشكل مؤلفاته التي ألفها خلال مسيرته العلمية، مادة خام للباحثين والدارسين لإعداد بحوث علمية دقيقة وموضوعية.

---

<sup>1</sup> - بلعربي عمر، مجلة ابن أبي شنب، سيرة ونضال 1869م-1929م، مجلة أنتروبولوجية الأديان، العدد 22، جوان، 2018، ص75-77 (بتصرف).

جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

فرقة بحث:

أعلام الفكر الجزائري

رئيس الفرقة أ.الدكتور:

إعداد الأستاذ: د/ طيبي سيد أحمد

مناد طالب

/ ا.د لبيوض مسعود

الموسم الجامعي: 2022/2021

أعلام الجزائر في العصر المعاصر

المبحث الاول: السياق المعرفي و التاريخي للفكر الجزائري المعاصر.

المبحث الثاني: أعلام الجزائر في هذا العصر

- 1- عبد الحميد بن باديس (1940م)
- 2- الشيخ محمد البشير الابراهيمي (1965م)
- 3- الفضيل الورتيلاني (1959م)
- 4- مالك بن نبي (1973م)
- 5- مولود قاسم نايت بلقاسم (1992م)
- 6- عبد الله شريط (2010م)
- 7- محمد اركون (2010م)
- 8- أبو عمران الشيخ (2016م)
- 9- مصطفى الاشرف (2017م)
- 10- كربيح النبھاني (2004م)
- 11- عبد المجيد أمزيان (2001م)
- 12 - محمد حمودة بن ساعي (1902م - 1998م)
- 13 - حنفي بن عيسى
- 14- أبو القاسم سعد الله (1930-2013)
- 15- عبد الرزاق قسوم
- 16 - عمار طالبي
- 17- محمود يعقوبي (1931-2020)
- 18 - محمد تازروت (1893-1973)

يزخر الفكر الجزائري المعاصر بنوابغ، كان لها اسهامات في مختلف حقول الميادين، وكان لها أثرها في اثناء الساحة الثقافية الأصيلة، وعليه يجدر بنا أن نقدم بعض من النماذج وفق خطة تتوخى الكثير من الدقة و الموضوعية.

### المبحث الأول : السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري المعاصر

تعد محاولة الأمير عبد القادر (1808م-1882م) الفكرية من أهم المحاولات الجزائرية الحديثة في ميدان النهضة، إذ لعبت دوراً هاماً في إثارة الضمير الشعبي الجزائري، فالأمير قد بذر بذورا بقيت تنمو في القلوب وتمتد جذورها في الأرض الطيبة التي يجدر بالعالم الاسلامي أن يفخر بها، والحق، أن للأمير إضافة إلى ما لديه من ثورة سياسية، فإنه أضاف إليها ثورة فكرية، تتمثل في الأبحاث الدينية والتاريخية والفلسفية والكلامية والصوفية التي قام بها، وعليه فقد رفض التقليد ودعا الى استعمال النظر ، غير أن إخفاقه في المعارك و خروجه ضد الاستعمار الفرنسي و خروجه عن الوطن، قد ادى بالفكر الجزائري إلى جموده وتحجره و تحنطت الاخلاقية الاسلامية و الجهاد، في صدره زوايا وطرق و أصنام<sup>1</sup> على الرغم من أن نشاطه السياسي والفكري قد استمر بعد ذلك إلى منفاه في دمشق، وشكل تبعاً لذلك النواة الأولى لحركة الاصلاح الديني والخلقي والسياسي والاجتماعي بعد ذلك، وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن سيطرة الفرق الصوفية على الفكر الاسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر قد أدى إلى الجمود والبدع واستسلام الناس للقدر، وتعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى. وهو الأمر الذي أدى بجماعة من الفقهاء المسلمين والعلماء السنيين السلفيين إلى ردة فعل قوية شكلت نواة لحركة الاصلاح الديني والخلقي، ووجدوا داخل المجتمع الجزائري عاملاً مناقضاً للحياة العقلية والاجتماعية المجمدة، وعودة الاتصال الفكري بين المشرق والمغرب، عن طريق الصحافة والكتب والمجلات والحج، دون أن نتجاهل الطلبة الذين كانوا يسافرون إلى القروين والزيتونة والازهر للدراسة، علماً أن ما

<sup>1</sup> - ابن باديس ، اثار ابن باديس، اعداد وتصنيف ، د/ عمار الطالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968م، ص 16-17.

كان يخشاه الاستعمار الفرنسي آنذاك هو عودة الحجاج من البقاع المقدسة، فكان يراقبهم مراقبة شديدة.<sup>1</sup>

هذا، ومن العلماء الذين حاربوا البدع وحاولوا تحريك المجتمع ونشروا الحركة الإصلاحية، الشيخ صالح بن مهنا المتوفي سنة 1325هـ بقسنطينة، وأيضاً نجد العديد من العلماء المتأثرين بعلماء الشرق كمحمد عبده (1905م) وجمال الدين الافعاني (1897م)

من ذلك مثلاً، الشيخ عبد القادر المجاوي المتوفي سنة 1914م الذي ألف العديد من الكتب التربوية ودعا لتعليم المرأة وشدد على دراسة على الاخلاق وعلم النفس، فقد كان أحد قادة الإصلاح، (توفي سنة 1913م)، وكان يتمتع بشعبية واحترام كبيرين، وقد جمع ثقافة عربية فرنسية، وكان واسع الثقافة مطلعاً على فكر ابن تيمية، ووضع رسالة في علم الكلام، ومن تلامذته الشيخ احمد الحبياني، والشيخ مولود ابن موهوب، والشيخ حمدان الونيسي أستاذ عبد الحميد ابن باديس.<sup>2</sup>

ويذكر الاستاذ الدكتور عمار الطالبى أنه كان مهتماً بالتربية لأن الإصلاح في نظره إنما يتم عن طريقها، وقد ألف "إرشاد المتعلمين" و"المرصاد في مسائل الاقتصاد"، وشرح منظومة في إنكار الفساد الاجتماعي، وكتاب "السمع على نظر البدع" وأيضاً "القواعد الكلامية" وهي رسالة تتضمن مقدمة وعشرة فصول وخاتمة.<sup>3</sup>

وهناك شخصية أخرى، لا تقل أهمية وهو عبد الحليم بن سماية (1866م-1933م) الذي كان أحد الدعاة البارزين للدعوى الإسلامية، وقد نزل بضيافته الشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة 1903م، وكان استاذاً في المدرسة الجزائرية-الفرنسية، كما أنه علم جيلاً من الطلاب في المدرسة الثعالبية، ودرس لطلابه كتابي "الاقتصاد في الاعتقاد" للغزالي، ورسالة التوحيد "لمحمد عبده، وساهم في مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة 1905م.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 18-19.

<sup>2</sup> - فهمي سعد، حركة عبد الحميد ابن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب، بيروت، ط1، 1983م، ص 38.

<sup>3</sup> - ابن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف، د/ عمار الطالبى، المرجع السابق، ص 38.

وهناك شخصية أخرى، تأثرت أيضا بمحمد عبده، وهو مولود بن موهوب (الذي توفي سنة 1939م)، والذي لعب دور هاما في حركة الاصلاح وقد كان مفتيا لقسنطينة لمدة طويلة، وكان في نفس الوقت أستاذ الفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية لقسنطينة، وكان يؤمن بالتقدم والتعليم والتسامح والعودة إلى منابع الاسلام الصافية<sup>1</sup>، وقد لاحظ المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن ابن الموهوب كان المقدمة لحركة ابن باديس الاصلاحية، أي في الوقت الذي كان فيه ابن باديس ما يزال طالبا.<sup>2</sup>

وهنا، نشير الى أن بن موهوب قد خلف بعد وفاته العديد من المؤلفات ومنها :

- 1- مختصر الكافي في العروض والقوافي.
- 2- نظم مقدمة ابن آجروم
- 3- شرح منظومة التوحيد لشيخه عبد القادر المجاوي.
- 4- تأليف "في آداب الطريقة" في التصوف
- 5- وله قصيدة طويلة من البحر الوافر، في محاربة البدع والفساد الاجتماعي.<sup>3</sup>

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نلاحظ أن من أهم العوامل التي ساهمت في يقظة الجزائريين في بداية القرن أي بدءا من 1900م، عودة الاتصال الفكري الخصب بين المشرق العربي ومغربه عن طريق البعثات العلمية والصحافة ومنها "العروة الوثقى" و"المنار" وجريدة "اللواء" و"المؤيد"، مما أدى الى استرداد الهوية القومية وإثارة الوعي لدى الجزائريين بشأن مصير الشعب الجزائري، وتبعاً لذلك، ظهر حركات واتجاهات كبرى تتفاوت في اتجاهاتها ومبادئها وأسلوب معالجتها للواقع الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائر.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - فهمي سعد، حركة عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، 38-39.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1969م، ص177.

<sup>3</sup> - محمد بسكر، اعلام الفكر الجزائري، الجزء 2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015م، ص398.

<sup>4</sup> - حسن عبد الرحمان سلوادي، عبد المجيد بن باديس مفسراً، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1998م،

وهنا جعلت الحركة الإصلاحية الجزائرية طريقها عبر وسائل خاصة منها النوادي والجمعية الثقافية مثل الجمعيات التوثيقية ونادي التقدم، ونادي الشباب الجزائري، نادي الاتحاد وغيرها، وكان لجريدتي العروة الوثقى والمنار قراء كثيرون ونشر مؤلف قبائلي وهو محمد السعيد العزاوي في مدينة الجزائر كتابا بعنوان "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" وظهرت في سنة 1911م صحيفة الجزائر التي اصدرها عمر راسم وصحيفة الفاروق سنة 1913 وصاحبها عمر بن قدور وهو من اتباع محمد عبده والمنار، واهتمت بالإصلاح الديني والاجتماعي، وظهرت أيضا في نفس السنة جريدة "ذو الفقار" وبعد الحرب العالمية الأولى زادت حركة الصحافة الجزائرية فكثر عدد قراؤها ولجأت مختلف الجهات الثقافية والسياسية للتعبير عن افكارها، وقد حاولت هذه الصحافة بث الشعور السياسي بين جمهور الشعب ورفع مستوى وعيه بضرورة الإصلاح ومجابهة الاستعمار الفرنسي، وما يلاحظ ان الاتجاهات الفكرية كانت متنوعة بدءا من الحركة الإصلاحية الى الحركة القومية الى الحركة التجديدية المتأثرة بالفكر الغربي على وجه العموم.<sup>1</sup>

وأیضا محاولة الأمير خالد الجزائري التي تعد خطوة مهمة في سبيل إسماع صوت المطالب الجزائرية الى العالم وقد أنشأ جريدة الإقدام باللغة العربية والفرنسية وكانت حادة اللهجة شديدة الدفاع عن الجزائريين وفي مهاجمة الإدارة الاستعمارية.<sup>2</sup>

وظهرت بعد ذلك نتيجة لهذه الاحداث سياسة لعل أبرزها نجم شمال افريقيا الذي ترأسه مصالي الحاج سنة 1936م والذي يهدف الى تحقيق الاستقلال التام لأقطار المغرب العربي الثلاثة.

وحزب الشعب الجزائري الذي أسسه مصالي الحاج أيضا سنة 1937م وطبع الحزب بالطابع الاستقلالي الثوري الذي لا يؤمن بأنصاف الحلول، وهنا أيضا حركة اتحاد المنتخبين المسلمين وهو تجمع بين النواب الجزائريين الذين يؤمنون بسياسة المراحل وناדרوا بالاندماج

---

<sup>1</sup> - فهمي سعد، حركة عبد المجيد ابن باديس، المرجع السابق، ص 39-40.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 43.

والتجنيس للحصول على الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، ومن أبرز زعمائها فرحات عباس، الدكتور بن جلول، الدكتور الاخضري وغيرهم.<sup>1</sup>

في هذا الجو الفكري، ظهرت جمعية العلماء الجزائريين بزعامة الامام عبد الحميد ابن باديس (1940م) التي بادرت الى التشديد على أهمية الاسلام وتجديده وتهيئة البلد للإصلاح في مختلف المجالات.

وهنا نشير إلى أن الأستاذ "عمار الطالبی" يرى ان المحاولات التي سبقت الشيخ ابن باديس كلها جزئية فردية غير شاملة للوطن والثورة الفكرية إنما حاولت أن تكتسب الصبغة العامة في عهد ابن باديس، فهو الذي أدخل الجزائر في حركة النهضة الاسلامية العامة.<sup>2</sup>

والواقع أن ظهور الحركات السياسية والدينية وانقسامها الى ثلاث حركات كبرى تتفاوت في اتجاهاتها ومبادئها واساليبها قد تترتب عنه اتجاه اول يدعو الى التحرر والاستقلال عن فرنسا بزعامة مصالي الحاج (ت 1974م) واتجاه اخر، يدعو الى الادمج والتجنيس أي المطالبة بمساواة الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق، اما الاتجاه الثالث الذي كان للإمام عبد الحميد بن باديس دور بارز في تكوينه ونشأته، فهو الاتجاه الاصلاحی الذي تمثل بقیام جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، وكانت فكرة انشاء هذه الجمعية قد اختمرت في ذهن ابن باديس قبل ذلك بسنوات اثناء اقامته في المدينة المنورة، ثم تبلورت الفكرة بعد عودة الرفيقتين ابن باديس ومحمد البشير الابراهيمي (ت 1965م) الى أرض الوطن، ثم وجّه ابن باديس نداء لمفكري الاصلاح ولعلماء الوطن المنتشرين في الجزائر ودعاهم فيه الى الاتحاد وقد أثار نداؤه ردود فعل ايجابية في لمّ شمل معظم دعاة الاصلاح.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص44.

<sup>2</sup> - ابن باديس ، اثار ابن باديس، المرجع السابق، ص71.

<sup>3</sup> - حسن عبد الرحمان سلوادي، المرجع السابق، ص22.

بهذا ندرك في آخر هذا العرض ان ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان له دور كبير في الميدان الثقافي والديني والسياسي، الأمر الذي يجعل من هذه الفترة اكثر فترات التاريخ الجزائري خصبا وحيوية ونشاطا، كانت لها أبعادها ، المؤثرة في حياة الجزائر بمختلف وجودها حتى عصرنا الراهن.

هذه إذن، أهم معالم السياق التاريخي والمعرفي للفكر الجزائري المعاصر، على أنه من الضروري بعد هذا أن نتحدث في البداية عن بعض من الشخصيات المؤثرة و الفعالة والتي تكون على النحو التالي:

**أولا : عبد الحميد ابن باديس (1889م-1940م) :** هو الرائد الحقيقي لحركة الاصلاح الديني في الجزائر، ولاشك أن نجاح هذا المشروع كان نتيجة لجملة من التطورات التي عرفتھا الجزائر منذ بداية القرن العشرين في الميدان الثقافي والديني وتتلخص أهدافها في إحياء الإسلام ومجابهة الطرقية وتوعية الشعب الجزائري بضرورة تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي، هذا وقد اشتهرت اسرة ابن باديس بالعلم والفضل والثراء وترجع في أصولها إلى المعز ابن باديس الصنهاجي (1014م-1063م) مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى وقد تميز الكثير من أجداده بالعلم والثراء.<sup>1</sup>

ما يهمنا في هذا السياق أن عبد الحميد بن باديس كان رجل إصلاح وداعية ومربيا، يملك فکرا اسلاميا عميقا، درس هذا الفكر من منابع مختلفة وثقافته اصيلة وكان محققا في الشريعة والمذهب المالكي على وجه الخصوص وله فكر اصلاحي تجديدي في الفكر السياسي، وقد استفاد من فكر رجال الاصلاح والسياسة وقد استمد ثوريته من جمال الدين الأفغاني وكيفھا مع الواقع الجزائري وتأثر بإصلاح محمد عبده في المجالين الديني والتربوي<sup>2</sup>، في هذا السياق كانت ظروف نشأته التعليمية ومعالم عصره السياسي والاجتماعي والديني اثر عميق في الاثار التي خلفھا حيث ترك لنا تراثا فكريا غزيرا يكشف عن امتلاكه

<sup>1</sup>- فهمي سعد ، المرجع السابق، ص47.

<sup>2</sup>-عبد العزيز فيلالي، الامام عبد الحميد ابن باديس، راند الاصلاح و التحرر في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،

مناهج جديدة للمقاومة وللحياة وللنهضة بالمجتمع، وظفها الامام في معالجة قضايا عديدة لشعبه ووطنه طوال حياته ولاسيما تلك التي اتخذها لمواجهة المشروع التغريبي الاستعماري المنهج والمدمر للذات الجزائرية وهويتها ومقومات شخصيتها، وقد استمد هذا المشروع من دراسته للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتاريخ والحضارة العربية الاسلامية، ومن اتصالاته بعلماء النهضة والاصلاح والتحرر في عصره والاحتكاك بهم، وأيضا من استيعابه لعلوم عصره مما أدى الى تفتح ذهنه وتوسع دائرة افاقه العلمية والفكرية والثقافية.<sup>1</sup>

وبالفعل فإن رحلته الى تونس وجامعة الزيتونة بالذات تأثيرا كبيرا في بلوغه مستوى هام من النضج العلمي، وقد اظهر هناك نبوغا علميا مبكرا ونضجا فكريا متميزا وثقافة اسلامية عميقة وواسعة ولغة عربية سليمة، وقد اكتسبه الندوات العلمية والجلسات الفكرية والمطارحات الأدبية، ومناقشة الكثير من المسائل الاصلاحية والتربوية والسياسية بعدا ثقافيا واسعا واحتراما كبيرا ما بين زملائه وشيوخه مما أدى إلى لعبه دورا كبيرا في المجال التربوي والاصلاحي والنضال السياسي والاعلامي في الجزائر.<sup>2</sup>

أكثر من ذلك، فلقد اتخذ النشاط الصحفي وسيلة للسياسة والتهديب وايضا المؤسسات التربوية للتعليم والتربية وتكوين القادة، وبث الوعي، وهو الأمر الذي يجعل من غير الممكن الفصل بين نشاطه العلمي والسياسي فهما متداخلان ومتكاملان في نظره وعمله.<sup>3</sup>

وينتمي ابن باديس إلى المدرسة التي ترى أن الاصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أن الاخلاق تتبع من الداخل، وأن الوسيلة هي تطهير القلوب وتغيير النفوس وهذا يؤدي الى تغيير المؤسسات الاجتماعية.<sup>4</sup>

يقول في هذا السياق : " أن الذي نوجه إليه الاهتمام الاعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الاخلاق، فالباطن اساس الظاهر".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 07

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 12-13.

<sup>3</sup> - ابن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف، اعداد وتصنيف عمار الطالب، المرجع السابق، ص 88.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 101.

ومن هنا، فهو يعتبر أنه لا سبيل إلى محو البدع والضلالات إلا بالعلم والعمل واطهار الاسلام بسلوكنا في الحياة أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح.

ومن العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته العلمية أسرته، وخاصة والده الذي أحسن تربيته دون أن نهمل عمل شيوخه الذين تركوا فيه الأثر الحسن ولاسيما شيخه حمدان الونيسي الذي أوصاه على ألا يقرب الوظيفة الحكومية عند فرنسا لان مثل هذه الوظائف تكتم الافواه وتخرس الألسنة وتحد من انطلاقة الفكر.

ويذكر ابن باديس أيضا شيخه محمد الطاهر بن عاشور ومحمد النخلي وعالم آخر من الزيتونة هو البشير الصفر، كما أنه تأثر بالشيخ الطاهر الجزائري والشيخ المولود بن الموهوب.

وهناك عاملان آخران كان لهما دور كبير في تكوينه ونجاح دعوته وهما تجاوب الشعب الجزائري معه والتفافه من حوله ومؤازرة زملائه في جمعية العلماء ووقوفه إلى جانبه.<sup>2</sup>

وقد ألف بن باديس في العديد من القضايا الدينية والتربوية والسياسية مضمنا كتاباته ومقالاته الصحفية التي كانت مبعثرة وتصدى لجمعها نفر من تلامذته ومحبيه، من ذلك تفسيره، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية والهدى النبوي ورسالة رد فيها على شيخ الطريقة العليوية الصوفية بعنوان "رسالة جواب عن سوء مقال" وأيضا الهدى النبوي، وقد قام الدكتور عمار الطالبلي بجمع آثاره جميعا في أربعة أجزاء ضخمة بعنوان "ابن باديس حياته وآثاره" وعلى العموم لم يعثر على آثار ابن باديس عليها كاملة فبعضها ما يزال مخطوطا أو مبعثرا.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، تفسير سورة الاسراء 84-85 ، ص 339.

<sup>2</sup> - حسن عبد الرحمان سلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسرا المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988، ص 44-

48 بتصرف

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 58-59 بتصرف.

ثم إن هذا الامام قد حرر بقلمه البليغ تفسير مجموعة متفرقة من الآيات كان ينشرها كافتتاحيات في مجلة الشهاب التي كانت تصدر في قسنطينة تحت عنوان "مجالس التذكير" وقد جمعت بعد وفاته في كتابه بعنوان : "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومصادر تفسيره تعود إلى كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن حبان الأندلسي، وتفسير الرازي كما أنه يستند إلى كتاب الله وإلى ما صح من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان السلف الصالح من الصحابة والتابعين.<sup>1</sup>

هذا، ويعارض ابن باديس منهج المتكلمين ومرد ذلك إلى ادراكه بأن المنشأ الذي انطلق منه علم الكلام أنجر عنه بعد ذلك تعميق الخلاف واشعال نار الفتنة بين المسلمين، بيد أنه لم يتهمهم بالزندقة أو تكفيرهم وفي كل دروسه كان ينبه إلى مزالقهم ، موافقا في ذلك الامام الغزالي في أن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع بها كل انسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به احاد الناس ويستغربه الاكثرون.<sup>2</sup>

وهذا لا يعني أنه كان عالما تقليديا منغلقا ، الذي تجمد في النصوص، ولا يأخذ بالحوار والأخذ والعطاء، بل نراه يركز دائما على قاعدين رئيسيتين هما المحافظة ثم التجديد وهو بذلك ينطلق دائما من الاسلام وبالإسلام رغم أنه قد تأثر بمن سبقه من المصلحين والمجددين وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الأفغاني.<sup>3</sup>

ومن هنا نفهم أن شخصية الامام ابن باديس وخصبها وتعدد العظمة فيها، لا يمكن الاحاطة به في بحث محدود لأن هناك الكثير من الجوانب لا تزال تتطلب مزيدا من البحث والدراسة.

وهنا يمكن أن نشير أن الشيخ ابن باديس قد بنى خطة شاملة طويلة المدى تخص النهضة بالجزائر ثقافيا، سياسيا واجتماعيا ودينيا وسرعان ما أصبح المسجد مركز اشعاع فكري

<sup>1</sup> - حسن عبد الرحمان سلوادي، عبد الحميد ابن باديس مفسراً ، المرجع السابق، ص 64-65

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 79.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 261-262 (بتصرف).

وإصلاحي إسلامي ومكانا مميّزا لتجديد الثقافة والحضارة الإسلامية وإحياء اللغة العربية والتراث الإسلامي وتلقين الدين الصحيح والتصدي للشعوذة والبدع التي سادت في بعض الأوساط ومنه خرج شعاع الفكر الباديبي واستقر على التراب الوطني خاصة مع إنشاء جمعية العلماء المسلمين ويمكن الحديث عن هذه الخطة وفق العناصر التالية :

- 1- الشروع في إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية .
- 2- الالتزام بإلقاء الدروس والوعظ في المساجد الحرة في أنحاء الوطن لعامة المسلمين .
- 3- الكتابة في الصحف والمجلات وإنشاء النوادي العربية.
- 4- إنشاء الفرق الكشفية للشباب في جميع أرجاء البلاد.
- 5- العمل على إنكاء روح النضال في أوساط الشعب الجزائري<sup>1</sup>.

هذا، وقد كان الشيخ الامام يتميز بالفكر الواقعي ويراعي الظروف المحيطة به في اتخاذ قراراته وخطته، فهو يتسم بالنزعة العقلية والعلمية البعيدة عن المثالية والخيال وهو يؤمن بالمساواة والعدالة بين الناس وحرية الاعتقاد والتفكير ويرى أن ثمة تلازماً بين الدين والسياسة، الاسلام كما يقول لا يزال ديناً وسياسة ويؤكد على أن الإسلام يدعو إلى اكتساب العلم والمعرفة والتزود بهما، ويدعو إلى الوحدة الوطنية وهوية الجزائر الوطنية والحضارية واللغوية والتاريخية ويرفض تجنيس فرنسا النخبة الجزائرية والضغط عليها، واغرائها للتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية<sup>2</sup>.

وهو بذلك واجه الإدارة الفرنسية وسياستها وحاصر مشاريعها بصدق وفطرة واخلاص لوطنه ودينه .

كما انه يشدد على ضرورة الاقتباس من الحضارة الغربية يقول في هذا السياق: "فان أردنا اليوم أن نقتبس منهم كما اقتبسوا منا و نأخذ عنهم كما أخذوا عنا، فعلينا ان نخالطهم، ونخالط ديارهم حيث مظاهر مدينتهم الفخمة في مؤسساتهم العلمية و الصناعية و التجارية

<sup>1</sup> - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 20-23 بتصرف.

(...) والذين يخالطونهم بهدف المخالطة بتمام تبصر وحسن استفادة يخدمون أنفسهم و أمتهم...<sup>1</sup>

كما انه يؤكد على مقصد أساسي من وراء نشأة جمعية العلماء هو نشر العلم الهادف الذي يخدم الجزائر، حيث يقول: "فبالعلم نخدم العلم، و بالعلم نخدم المسلمين، و بالعلم نخدم الجزائر"<sup>2</sup>

هذا، و قد حرص ابن باديس على ربط التاريخ بشخصية الانسان الجزائري و كتب ادعاءات المستعمر التي تعبر على الجزائري اقناع الجزائري بانه لا ماضي لن و أن تاريخه هو تاريخ غز يطرد غازيا الوندال و الرومان و المسلمون و الفرنسيون<sup>3</sup>.

يقول في هذا السياق: "نحن فنتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة متكونة و موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا و لهذه الامة تاريخها الحافل بجلال الأعمال و لها وحدتها الدينية و اللغوية ولها ثقافتها الخاصة و عوائدها وأخلاقها (...). ثم أن هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصر فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت..."<sup>4</sup>

وهكذا نفهم من كل هذا أنه كان صعب شخصية خصبة حافلة صنعها بفكرة وقلبه وسخرها لمنفعة وطنه وأعماله وفيرة ومتنوعة فهو مفسر قدير للقرآن الكريم، وأديب وكاتب بليغ وخطيب لم تعرف الجزائر خطيبا يماثله في البلاغة وقوة التأثير وأسلوبه سهل يمتاز بعذوبة وخفة وهو أيضا شاعر موهوب يقرض الشعر وينظمه وهو إلى جانب هذا يعد مربيا ناجحا قضى معجم حياته في التعليم والتربية وهو أيضا صحفي ناجح بارز يعرف مزايا الصحافة وأصدر العديد من الصحف التي ساهمت بعد ذلك في خلق جيل جديد من الأدباء والكتاب والشعراء.

<sup>1</sup> - آثار الامام عبدالحميد بن باديس وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، الجزء 5، ص 417.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الجزائر 6، ص 96.

<sup>3</sup> - مولود عويمر، عبد الحميد بن باديس، مسار و أفكار جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2016، ص 63

<sup>4</sup> - الشهاب، مج 12، ج 1، أبريل 1936، نقلا عن مولود عويمر، المرجع السابق ' ص 64

ومن هنا نجد أيضا عنده فضيلة التسامح والمحبة، فقد كانت طيبة قلبه تتناسب مع طيبة خلقه وقد أسهم في المجال السياسي ضد الاستعمار في الوقت الذي اعتمد فيه على التربية والاصلاح الديني وأيضاً حارب البدع والخرافات من اجل تهيئة الشعب الجزائري لمجابهة الاستعمار بكل الطرق والوسائل المشروعة.

أكثر من ذلك، فهو دائم السعي والمثابرة -كما يؤكد على ذلك أحد الباحثين- في سبيل التقارب بين الديانات وحوار الثقافات وتعاون الأجناس امتثالاً لدينه الحنيف<sup>1</sup> حيث يقول: "أنا كمسلم أدين بالأخوة الانسانية و احترامها في جميع أجناسها أديانها، و أسعى للتقريب بين جميع عناصرها، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك"<sup>2</sup>.

نفهم من هذا اذن، أن ما قام به ابن باديس من خلال أعماله و اسهاماته العظيمة، وعبر كل فترات حياته العلمية، كاف لأن نضعه في مصاف كبار المصلحين في عصره.

نستنتج من كل ما سبق أن الامام ابن باديس استطاع أن يكون لنفسه خط تفكير متميز في الفكر الإسلامي، فقد قام هذا الرجل الفذ بما يشبه الثورة الثقافية في مصطلحنا اليوم ولهذا لا يمكن الإحاطة بعمق شخصيته وخصبها وتعدد جوانب العظمة فيها في هذا البحث المختصر.

---

<sup>1</sup> - مولود عويمر، المرجع السابق، ص78.

<sup>2</sup> - الشهاب، مج 13 ج5نجميية 1937، ص 338، نقلا عن مولود عويمر، المرجع السابق، ص78.

## ثانياً: محمد البشير الإبراهيمي (1889م-1965م)

هو أحد أئمة الإصلاح والتجديد في قضاء الفكر الجزائري المعاصر، فقد كان شريكاً مع مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وباني النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فقد كان نائباً له في حياته، وخليفته بعد وفاته.

هذا، وغن التأمل في سيرته الذاتية والعلمية يدرك بوضوح خطه الإصلاحية ومنهجه التجديدي، ومن المناسب هنا أن نفهم هذا المسار، وفق العناصر التالية:

**أولاً:** هو محمد البشير الإبراهيمي، بن محمد السعدي، بن عمر بن محمد بن السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد يوم 13 يونيو 1889م بقبيلة أولاد براهيم بقرية رأس الوادي بدائرة سطيف في الشرق الجزائري، وهي قبيلة عربية النسب، تنتمي في أصولها إلى الادارسة، ترعرع في وسط عائلة جزائرية ذائعة الصيت توارث أفرادها العلم أبا عن جد منذ أكثر من خمسة قرون.<sup>1</sup>

هذا، وقد هاجر الإبراهيمي إلى الشرق العربي عام 1911م، لطلب العلم والمعرفة وبقي هنالك إلى غاية 1920م، وبعد عودته إلى الجزائر، بذل جهوداً كبيرة في التربية والتعليم، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من ماي سنة 1931م، في نادي الترقى بمدينة الجزائر، شارك في المؤتمر الإسلامي الأول سنة 1936م واختير رئيساً لجمعية العلماء خلفاً للشيخ عبد الحميد ابن باديس المتوفي يوم 16 أفريل 1940م.

وقد أقام في المشرق العربي وبعض الدول الإسلامية خلال الفترة 1952-1962م طلباً للمساعدة والدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية، وقد توفي يوم التاسع من ماي 1965م عن عمر يناهز السادسة والسبعون وقد خلف الكثير من المقالات والمؤلفات

<sup>1</sup> - بشير فايد، الإمام محمد البشير الإبراهيمي، داعية الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،

والخطب والأحاديث والدروس والمحاضرات التي جمعت تحت عنوان آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وهي ذات قيمة أدبية ولغوية وفكرية وسياسية كبيرة.<sup>1</sup>

2- وعن مؤلفاته يقول بشأنها: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمال أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيد التحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححته له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب، ورضى الشعب".<sup>2</sup>

ومع ذلك لديه الكثير من المؤلفات التي ساهمت في إثراء الفكر الجزائري المعاصر، وهي على النحو التالي:

1- عيون البصائر: كتابه الوحيد الذي طبع في حياته، يحتوي مجموع مقالات منتخبة مما كتبه في جريدة البصائر الثانية ما بين عامي (1949م و 1953م) أصدرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1977م في 701 ص ودار الأمة، الجزائر سنة 2007م في 2 ج، ومن أهم محاوره: قضايا العروبة والإسلام، القضية الجزائرية والاستعمار، المشاكل الاجتماعية، أعمال جمعية العلماء، وأخيراً متفرقات، وقد كتب في مستهل هذا الكتاب مقدمة في نحو عشرين صفحة.

2- التراث الشعبي والشعر الملحون: وهي رسالة صغيرة الحجم، تدور حول الشعر العامي، والشعر الفصيح، ظهور الشعر الملحون وخصائصه، وقد قدم بعض النماذج، وقد نشرتها دار الأمة، الجزائر سنة 2010م.<sup>3</sup>

3- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية الجزائرية: وقد التزم فيه اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر.

---

<sup>1</sup> - بشير فايد، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> - البشير الإبراهيمي حياته وأعماله بقلمه، جمعها محمد بوزواوي، دار البشير الإبراهيمي للكتاب، الجزائر، ط1، 2006م، ص35.

<sup>3</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص91.

- 4- أسرار الضمائر العربية.
- 5- النقابات والنفايات في لغة العرب، قال فيه: "جمعت فيه كل ما جاء على وزن فعالة، من مختار الشيء أو مرذوله...".
- 6- التسمية بالمصدر.
- 7- الإطراد والشذوذ في العربية: رسالة في الفرق بين اللفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- 8- حكمة مشروعية الزكاة: بدأه أثناء إقامته بدمشق، بحث فيه ينابيع المال ومصادره في الإسلام.<sup>1</sup>
- 9- سجل جمعية علماء المسلمين، كتب له مقدمة طويلة.
- 10- نشر الطي من أعمال عبد الحي: ابن عبد الكبير الكتابي في نقد سيرته: ترجمة ابن باديس.
- 11- كاهنة الأدراس: قصة روائية ساقها بأسلوب مبتكر جميع فيه من الحقيقة والخيال.
- 12- نظام العربية في موازين كلماتها.
- 13- شعب الإيمان في الأخلاق والفضائل.
- 14- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: احتوى 5 مجلدات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، في 2350ص، جمع وإعداد د/أحمد طالب الإبراهيمي.<sup>2</sup>
- وقد كان يكتب في الصحف، غير أن فرنسا الاستعمارية، كانت تعنتله باستمرار، وكان من المدافعين عن اللغة العربية والإسلام، وأيضا عن فلسطين حيث كتب عنها عديد المقالات حتى تم استقلال الجزائر عام 1962م، وقد أمّ المصلين في مسجد كيتشاوة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص92-93.

<sup>2</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص93.

بالجزائر العاصمة، الذي كان قد تحول إلى كنيسة، ولم يكن راضيا على الاتجاه الذي بدأت يتجه إليه النظام السياسي بعد الاستقلال، وتوفي وهو رهن الإقامة الجبرية يوم 20 ماي 1965م.

هذا، وتتمثل مقومات الفكر الإصلاحى عند محمد البشير الإبراهيمى على:

1- الإسلام والعروبة أساسا ومنطلقا والربط بينهما على أساس أن العروبة ليست عرقية ولا عنصرية بل هي عروبة لغة وثقافة.

2- التحرير والتوحيد محورا وهدفا، فالتحرير يعنى به: تحرير عام شامل يشمل تحرير الإنسان وتحرير الأرض، تحرير العقل، تحرير البدن، التحرير من الاستعمار الخارجى ومن الاستعمار الداخلى.

أما التوحيد فيبدأ بوحدة الجزائر أولا توحيد الشمال الإفريقي ثانيا، وتوحيد الأمة العربية ثالثا، وأخيرا وحدة الأمة الإسلامية.

3- التوعية والتربية طريقا ومنهاجا: وذلك من أجل توعية الشعب وتنويره وتحريره من الاستعمار الفرنسى.

4- العمل الجماعى ضرورة وشرطا وذلك من أجل النجاح وتجسيد الأهداف، وهذا واضح فى العمل الجماعى لجمعية العلماء المسلمين من خلال مشاريعها المختلفة.

5- الأمة العربية: ساحة وميدانا: حيث كان يهتم بالقضايا العادلة فى العالم الإسلامى فى عصره، وقضية فلسطين فى المقدمة حيث كان يحرض على الجهاد والنهوض بواجب المسلمين نحوها وعدم التخاذل عن نصرتها، إضافة إلى مشاركة بعض الدول العربية أزمانها وأحداثها كتونس وليبيا ومصر وغير ذلك.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - يوسف القرضاوى، مقومات الفكر الإصلاحى عند الإمام البشير الإبراهيمى، المكتب الإسلامى، دار الوعى، بيروت، عمان، ط1، 2007م، (بتصرف).

هذا، ويؤكد محمد البشير الإبراهيمي على حتمية الوحدة العربية التي كان ينادي إليها بحماسة شديدة في مؤلفاته المختلفة، وفي رأيه أن ثمة دوافع ثلاثة تدعو إليها، وهي: العصر المعاش الذي ينفرد بكونه عصر التكتل والقوة العددية، وأيضاً حتمية الوحدة لطرده الاستعمار الغربي من بلادهم وأخيراً نكبة فلسطين التي عدّها من أكبر المصائب التي حلت بالعرب.<sup>1</sup>

وفي هذا السياق يقول الإبراهيمي: "إن عدونا واحد فلنلقه في ميدان واحد وصف واحد، ولو فعلنا وأخلصنا لسعت إلينا الحرية ركضاً، ولكن عدونا أعلم بهذه النقائص فينا منا فهو نائم ملئ عينيه ما دام يرانا على هذه الحالة، أزعجوه وأقضوا مضاجعه باتحاد لا يتزعزع وغرائم لا تتزلزل وأخلاق يذعن لها الجبابرة".<sup>2</sup>

وفي رأيه، فإن تجسيد الوحدة العربية تتحصر في خمس خطوات وهي إزالة أسباب التنافر بين الشعوب العربية، والتقارب والتواصل بين البلدان العربية، والتعريب الشامل لكل مناحي الحياة في المجتمع العربي، واستقلال الأمة أدبياً وفكرياً ولغوياً ونبذ الانقسام واستبداله بالوحدة الشاملة.<sup>3</sup>

في هذا السياق يقول: "التقارب يريد الاتجاه والتزاور دليله، والتحاور بشيره، والتشاور مفتاح بابه".<sup>4</sup>

ويقول أيضاً: "آن الأوان لأن نتعارف، وأن الأوان لأن تجتمع هذه الأجزاء المتنافرة من الجسم الإسلامي الكبير، ووجب على كل مخلص لدينه أن يسعى في جمع هؤلاء الإخوة المتقاطعين في مصلحة غيرهم".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - بشير فايد، الإمام محمد البشير الإبراهيمي، داعية الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013م، ص11-12.

<sup>2</sup> - محمد بشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمعه وقدم له احمد طالب الإبراهيمي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ص302.

<sup>3</sup> - بشير فايد، المرجع السابق، ص22.

<sup>4</sup> - آثار محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص243.

كما أن البشير الإبراهيمي، يدافع عن الدين الإسلامي واللغة العربية دفاعاً مريباً ويؤكد على ذلك بقوله: "أما حين تمتد الأيدي الأثمة إلى حمى الدين أو حمى القومية العربية، أو حين يتساهل السياسيون في حقهما، فإن للجمعية في ذلك كلمتها الصريحة التي لا جمجمة فيها، وموقفها المشرف الذي لا هوادة فيه".<sup>2</sup>

وأيضاً يحرص هذا العالم الجليل على القول أنه "لا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس لغة ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصلية وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة، وبتربيتها على الاعتداد بنفسها، والاعتزاز بقوتها المعنوية والمغالاة بقيمتها وبميراثها (...). حتى نرى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها (...). ومتى تلاحقت ولد وطننا".<sup>3</sup>

نستنتج من كل ما سبق أن محمد البشير الإبراهيمي قد وفق في نشر الوعي وبث روح اليقظة عند الجزائريين وبذلك يعد مفكراً بارزاً في تاريخ الجزائر، كرس حياته لخدمة الأمة الجزائرية وعلى مقومات شخصيتها، فكانت له إرادة فذة وعزيمة قوية وإقدام جريء على تعميق الانتماء الوطني في نفوس الشعب الجزائري وتعزيز استقلال شخصيته عن التبعية الفرنسية والتبشير بالثورة كوسيلة مثلى للانعتاق من الاستعمار.

---

<sup>1</sup> - آثار محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 97.

<sup>2</sup> - البشير الإبراهيمي، آثار، المرجع السابق، ج 3، ص 69.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج 3، ص 64.

### ثالثا : الفضيل الورتلاني (1900م-1959م)

هو أحد اعلام الفكر والسياسة والأدب ينحدر من بني ورتلان، وهي المنطقة التي تتبع حاليا لولاية سطيف وهي جزء مما يسمى القبائل الصغرى، وقد ولد في 06 فيفري 1900م، وينحدر من أسرة عريقة عرفت بالعلم، وقد ظهر منها علماء وفقهاء أجلاء، منهم جدّه من جهة أبيه العالم الرحالة "الحسن الورتلاني (1713م-1780م) ، صاحب المصنفات الكثيرة فشي التصوف والرحلات المشهورة المسماة "رحلة الورتلاني والذي ذكر أن حدّه يحي كان يملك مكتبة واخرة بالمحفوظات الكثيرة، ووالده أحمد شريف كان فقيها وعالما ، وصاحب زاوية يتجه إليها الطلاب من كل نواحي الوطن .<sup>1</sup>

في هذا السياق، يضيف محمد البشير الإبراهيمي نشأته بقوله : " .. نشأ الصبا والحادثة في أحضان الفطرة الطاهرة، وفي أحضان الجبال الشّماء، فاكتسب من الأولى قوة الروح وصفاء العقيدة، والصلابة في الدين، ومن الثانية قوة الجسم ووثاقه التركيب وسلامة الحواس"<sup>2</sup>

وتجمع المصادر على أنه قد أخذ علومه الأولى بمسقط رأسه، وقد حفظ القرآن الكريم، واكتسب معرفة معتبرة بالفرنسية كتابه ومحادثه، ثم تعلم المبادئ الأولية في العقيدة وعلوم القرآن والفقه والنحو والصرف والحساب، ثم اتصل ببعض مشاهير علماء المنطقة في حلقات دروسهم من بينهم الشيخ السعيد البهلولي (1860م-1945م)، والشيخ يحي حمودي (1883م-1972م) ، فأخذ عنهم الأخلاق الكريمة وحب العلم .<sup>3</sup>

هذا، وقد التحق الورتلاني، بعد أن أدى الخدمة العسكرية الاجبارية بمدينة قسنطينة من أجل الدراسة ، على اعتبار أنه من الضروري مكافحة الاستعمار الفرنسي، والتعلم هو أحد أهم عامل للتحرّر منه، وعليه فقد شدّ الرحال الى مدينة قسنطينة، ربما كما يقول أحد الباحثين، بتوجيه من أستاذه لمتابعة تعلمه في الجامع الأخضر، وكان ذلك في حدود عام 1930م.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - سعيد بورنان، الشيخ الفضيل الورتلاني، العلامة الثائر، دار هومة الجزائر، ط2، 2014، ص31.

<sup>2</sup> - البشير الإبراهيمي : الفضيل الورتلاني، البصائر العدد 110، 06 مارس 1950، نقلا عن المرجع السابق،

ص31.

<sup>3</sup> - سعيد بورنان، المرجع السابق، ص32.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص34.

وقد استكمل دراسته على الشيخ الامام عبد الحميد ابن باديس وأقبل على طلب العلم بروح قوية وحيوية فائقة ونشاط كبير، الأمر الذي حمل الإمام ابن باديس بالحاقة بعد اختبار معلوماته بالسنة الثانية من تلاميذته، ويصف العالم محمد صالح الصديق نشاط الورتلاني بأنه كان مواظبا على حضور دروس الامام ابن باديس التي كانت تتسم على الدوام بالحيوية وغزارة العلم.<sup>1</sup> والى جانب هذا، كان حريصا على مطالعة أمهات الكتب، وحضور الندوات واللقاءات العلمية المختلفة، وفي عام 1934، أنهى الورتلاني الدروس المقررة لطلاب الإمام ابن باديس بتفوق بارز وأراد أن يواصل الدراسة بجامعة الزيتونة، فسافر الى تونس، لكنه عاد بعد فترة الى شيخه بسبب تبرمه من أساليب التدريس العميقة المتبعة آنذاك في جامعة الزيتونة وفي غيره من المعاهد الإسلامية، وهكذا بقي مع شيخه عبد الحميد ابن باديس وشاركه في أعماله، وتحمل عنه بعض أعبائه في الدعوة والإرشاد، حتى أضحى من أبرز محركي نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.<sup>2</sup>

هذا، وقد عين بعد تخرجه سنة 1934م معلما بمدرسة التربية والتعليم التي أنشأها ابن باديس، وكان في تلك الفترة يكتب المقالات الأدبية والفكرية بالكثير من الجرائد كالشهاب والبصائر والشريعة، قضى الورتلاني حياة كلها أسفار ورحلات وتنتقلات بين الدول، حاملا معه قضية تحرير الشعب الجزائري منددا بالاستعمار، فانتدبته جمعية العلماء سنة 1936م لتمثيلها في فرنسا، فأسس الورتلاني ما يزيد عن 30 مدرسة وناديا لنشر الدعوة الإصلاحية وتعليم أبناء الجالية الجزائرية مبادئ اللغة العربية والدين الاسلامي، غير أنه لم يلبث أن خرج متخفيا من فرنسا باتجاه القاهرة، عندما شعر بخطر التهديدات الفرنسية، وفي مصر تمكن الورتلاني من مواصلة دراساته العليا بالأزهر الشريف وحصل على شهادة العالمية في أصول الدين والشريعة الإسلامية، وساهم في تأسيس بعد ذلك مكتب بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبح هو رئيسا له، وكان له الفضل في تأسيس البعثات الأولى من

---

<sup>1</sup> - محمد الصالح الصديق، اعلام المغرب العربي، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000م، ص608.

<sup>2</sup> - سعيد بورنان، المرجع السابق، ص37-38.

الطلبة الجزائريين إلى المشرق العربي وخاصة مصر، واستطاع بذلك ان يتعرف على كبار العلماء المسلمين ويربط معهم علاقات متينة<sup>1</sup>.

وبحسب الكثير من الباحثين، فإن الفضيل الورتلاني قد ربط علاقة قوية بحركة الإخوان المسلمين وزعيمها حسن البنا، وصار عضوا في هذا التنظيم، ونظرا لملكاته الخطابية وقدرته على الاقناع، نال تقدير الإمام البنا وكان يلقي حديث الثلاثاء بالمركز العام لجماعة الإخوان<sup>2</sup>.

وبذلك، فإن دوره في هذه الحركة جعل منه شخصية بارزة ومرموقة على الساحة الاسلامية اسندت إليه مهمات والمشاركة في الوفود والمؤتمرات داخل مصر وخارجها<sup>3</sup>. وقد امتد نشاط الورتلاني إلى مساندة الأحرار في اليمن ، وكانت البلاد تموج بحركة معارضة قوية، خاصة بعد مساندة الحسن البنا لها، وقد حاول الفضيل الورتلاني توحيد المعارضة ونجح في ذلك، وفي سنة 1948م، اتهم بالمشاركة في محاولة انقلابية في اليمن فقبض عليه ثم أفرج عنه ، وغادر اليمن وتنقل في عدة دول أوروبية، وبعد قيام الثورة المصرية سنة 1952م عاد إلى مصر واستقبله السياسيون والعلماء بحفاوة كبيرة وعاد الى جهاده ومؤازرة الثورة الجزائرية التي اندلعت سنة 1954م، وشارك في تأسيس جبهة تحرير الجزائر سنة 1955م، وكانت تضم البشير الإبراهيمي وممثلي جبهة التحرير الوطني وممثلي الأحزاب الجزائرية<sup>4</sup>.

ويغادر الورتلاني مصر في اتجاه تركيا التي ناضل فيها لأجل الاعتراف بالثورة الجزائرية موفدا إليها من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، إلا أن دوره هناك لم يتواصل طويلا حيث أصيب بمرض بداية عام 1959م، واثّر عملية جراحية، انتقل الى جوار ربه يوم 12 مارس 1959، ودفن بأقنرة حتى يوم 12 مارس 1987م، حيث نقل جثمانه من تركيا الى الجزائر في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة، دار الهدى ، الجزائر، 2009م، ص 4-5.

<sup>2</sup> - سعيد بورنان، المرجع السابق، ص95.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص98.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 99 وما يليها

<sup>5</sup> - الفضيل الورتلاني، الجزائر، الثائرة، المرجع السابق، ص5-6.

هذا، ولقد وجد الورتلاني في المشرق العربي مجاله في الخطابة والأضواء وكذا النضال السياسي ، كما وجد الميدان المغربي فارغا فملأه ، لأنه لم يكن أي زعيم سياسي يعد من المغرب العربي في مصر، أي بعد عودة الشيخ الثعالبي إلى تونس ولهذا كان مجال القيادة في الشؤون المغربية مفتوحا أمامه وحده تقريبا، فأسس مع الشيخ محمد الخضر الحسين جبهة الدفاع عن شمال افريقيا (1942م) والتي مهدت لميلاد مكتب المغرب بزعامة الخطابي سنة 1947م ، كما مهدت أيضا لالتحاق قيادات المغرب العربي بالقاهرة، وهكذا صعد الورتلاني سلم الزعامة كخطيب شجاع ومتحدث مؤثر وسياسي داهية، وعندما التحق الشيخ الابراهيمي بالمشرق سنة 1952م نسق مع الورتلاني ما يتعلق بالبعثات الطلابية والعلامة مع حركة الإخوان والنهضة الإسلامية، وكذا النضال ضد الاستعمار الفرنسي.<sup>1</sup>

وقد كانت للورتلاني علامات متينة مع شخصيات في العالم العربي والاسلامي، فقد التقى بالعديد من الرؤساء والقادة السياسيين والكثير من أعلام الفكر والاصلاح فمن أعلام الفكر الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكيل جامع الأزهر، الدكتور محمد عبد الله دراز من كبار علماء الأزهر، الأمير شكيب أرسلان، الأستاذ حسن البناء، الأستاذ محب الدين الخطيب، الأستاذ محمد رشيد رضا، المفكر الإسلامي أنور الجندي، المفكر والأديب عباس محمود العقاد، شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين، إلى غير ذلك، أما بالنسبة لرجال السياسة فنذكر أحمد سوكارنو زعيم اندونيسيا، أمير الكويت الشيخ عبد الله جابر، مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد في مصر، رئيس مصر جمال عبد الناصر، محمد مصدق رئيس وزراء إيران رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني ، ملك المغرب محمد الخامس، الأمير عبد الكريم الخطابي بطل ثورة الريف المغربي، مفتي فلسطين أمين الحسيني، الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة إلخ .

وقد كان له مع الكثير من هؤلاء مكاتبات ومباحثات في مختلف الأغراض والمجالات ، لا سيما فيما يخص تحرير الشعوب الإسلامية من الاستعمار .<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - السعيد بورنان، المرجع السابق، ص 117-119.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 160-161.

في خاتمة التعريف بهذه الشخصية الفذة في تاريخ الفكر الجزائري، نجد أنه كان عالما وداعيا ومجاهداً وأديبا وسياسيا محنكا وصحافيا عارفا بقضايا عصره، بيد أنه لم يهتم طيلة حياته بتأليف الكتب وهذا رغم مكانته العلمية والأدبية واللغوية والفكرية وثناء تجربته النضالية، فنشاطه الإصلاحى والدعوى والسياسى قد أخذ منه كل وقته وجهده، إلا أنه لم يستطيع تدوين مذكراته بسبب مرضه ووفاته في تركيا بعد ذلك، إلا انه خلف لنا العشرات من المقالات المبنوثة في العديد من الصحف في المشرق العربى فضلا عن صحف جمعية العلماء في الجزائر، الشهاب والبصائر.

وهنا نجد أن كتابه (الجزائر الثائرة) هو مجموعة من الوثائق والتصريحات والبيانات والمراسلات غير المنظمة. فهو يشمل مقالات كتبها صاحبه في الصحف، خصوصا : بيروت، المساء، والمنار ... كما يشمل البيانات التي أصدرها مع الابراهيمى في الثورة وحول الثورة، أو أصدرها وحده. وللكتاب تصدير من عشر صفحات مكتوبة في بيروت في رجب 1375/فبراير وعنوانه (التعاون مقدس والتعارف أقدس) وهو يعنى تعارف العرب جميعا. قال الورتلانى في التصدير إن جماعة عباد الرحمن (وهي من الإخوان المسلمين التي سهرت على طبع الكتاب) طلبوا منه جميع المقالات التي كتبها في الأيام القريبة ونشرها في الصحف السورية واللبنانية... فأذن لهم بجمعها ونشرها في كتاب، وقال إنها "بضاعة مطبوخة على عجل" كما طلبوا منه كتابة التصدير لها. وبعد التصدير يأتي مقال عن دوره في إنقلاب اليمن ثم مقال : الجزائر تجاهد منذ خمسة قرون .

وقد قدم للكتاب محمد عمر الداعوق، رائد جماعة عباد الرحمن، وكتب فاتحته رفيق سنو. واشتمل الكتاب على مقابلات تتعلق بالجزائر والمغرب العربى، وهو في بيروت ، كما نشر عدة مقابلات ومقالات في جريدتي : الجريدة وبيروت، ويقول في إحدى هذه المقالات إنه " لا وجود للبربر في المغرب العربى لأن البربر تعربوا" وهو رأي يكاد يكون هو رأي الإبراهيمى، وابن باديس. ومن مقالاته المنشورة في الكتاب (محنة اللغة العربية في الجزائر). والورتلانى يحدثنا عن الدين والفرق (جمع فرقة) في المغرب العربى، ومحاربة فرنسا الاسلام علنا في الجزائر، ونريد أسابيع التسلح للجزائر، وبرقيات الى زعماء المغرب والمشرق العربيين، ودور جمعية العلماء، ونص خطاب الشيخ العربى التبسى في مركز جمعية العلماء

يوم 7 يناير 1956، وكتب مفتوحة إلى ... ويقع ما صدر من وثائق عن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة من صفحة 169 إلى صفحة 211 ثم بيان جمعية العلماء عن الجزائر في المؤتمر السنوي يوم 7 يناير 1956، بتوقيع الكاتب العام أحمد توفيق المدني ونائب الرئيس العربي التبسي، وهو البيان التاريخي الذي أعلنت فيه الجمعية دعمهما الصريح لجبهة التحرير الوطني .

وهكذا فإن كتاب (الجزائر الثائرة) ليس كتابا في التاريخ أو عن التاريخ (رغم ما فيه من إشارات تاريخية) ولكنه كتاب يحتوي على مادة أساسية للمؤرخ، وهي الوثائق، ولا غنى عنه عند كتابة تاريخ الجزائر المعاصر والثورة بالخصوص وتاريخ المغرب العربي في المشرق. وعندما كثر التساؤل في الجزائر عن الشيخ الورتلاني ودوره بعد نفيه من مصر على إثر الهمس بالارتباط بالإخوان الذين أصبحوا في نفور مع جمال عبد الناصر، أجابت جريدة البصائر إجابة مقتضبة وغامضة، قالت : إنه في بيروت يدعو للجزائر وقضايا المغرب (العربي) وإنه في صحة جيدة ، وهو مستقر هناك، وينشر في أغلب صحف سوريا ولبنان، ويراسل رجال السياسة والحكم .

وعندما زار الشيخ العباس بن الشيخ الحسين رئيس جمعية العلماء الشيخ الإبراهيمي في القاهرة ليطلعه على جلية الأمور في الجزائر ويأخذ رأيه في الموقف الذي على الجمعية أن تتخذه من الثورة وما يتصل بها، عرج الشيخ العباس على بيروت والتقى الورتلاني للمشاركة أيضا. ويبدو أن الورتلاني عندئذ (1956) كان يعاني من الغربة والنفي والمرض، لأنه قد توفي في تركيا خلال السنة الموالية. وكان ممنوعا من دخول مصر.<sup>1</sup>

نستنتج من كل ما سبق، أن الشيخ فضيل الورتلاني، يعد من كبار علماء الجزائر من خلال جهاده وقوة شخصيته، وهب حياته ليحيا العالم الإسلامي وتنهض أمته، بما أوتي من قوة العزم وصدق الكلمة وفصاحة الخطاب وذكاء القلب وإخلاص القول والعمل.

---

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 10، المرجع السابق، ص 567-569.

## رابعاً : مالك بن نبي (1905م-1973م)

إن الحديث عن المفكر والفيلسوف الجزائري، مالك بن نبي والتعمق في عطاؤه الفكري لجدير بالدراسة والبحث، ذلك لأنه أحد أركان النهضة العربية الحديثة ورائداً من رواد الحركة التحررية والاصلاحية في العالم الإسلامي بما أنتجه من فكر وما بذله من جهد في سبيل توعية المسلمين للالتحاق بالحركة التاريخية والمساهمة في المسيرة الحضارية.

وقد نشر أحد الباحثين وهو السيد مولود عويمر في كتابه مالك بن نبي رجل الحضارة وعطاؤه الفكري ، السيرة الذاتية لهذا المفكر الجزائري السند، نحاول أن نلخص أهم عناصرها فيما يلي :

**أولاً :** ولد مالك بن نبي في 1 يناير 1905 في قسنطينة، وانتقلت أسرته الى مدينة تبسة في أقصى الشرق الجزائري، وينتمي لأسرة فقيرة، تابع مالك دراسته الابتدائية في تبسة وتعلم فيها جزءاً من القرآن، وقد كان منذ صغره، شغوفاً بالمطالعة، فقرأ في شبابه معظم الكتب الشهيرة في الأدب والفكر الإنساني ، مثل لا مرتين وجون ديوي وكوندياك، كما طالع رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، وكتاب أم القرى للكواكبي وكتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" للكتاب التركي أحمد رضا .

كما قرأ في التاريخ الإسلامي، المسعودي، ابن خلدون، الذي أصبح أستاذه الأول وملهمه الأكبر. غير أن مالك بن نبي يعترف بتأثير صديقه حمودة بن الساعي (1902-1998م) عليه من حيث اتجاهه إلى الاهتمام بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ أكثر من الاهتمام بمواد مدرسة اللاسلكي<sup>1</sup>.

وقد تأثر مالك بن نبي بالحياة الاجتماعية والثقافة السائدة في تبسة وقسنطينة وكانت المقاهي ملتقى لتبادل الأفكار وقراءة الصحف العربية والفرنسية الكبرى والاستماع إلى المذيع، لإطلاع على الأحداث الجارية في العالم العربي والإسلامي، وقد تباع دراسته الثانوية في قسنطينة وتخرج في عام 1929م، واشتغل عوناً في محكمة آفلو ثم في شلغوم

<sup>1</sup> مولود عويمر، مالك بن نبي، رجل الحضارة ، مسيرته وعطاؤه الفكري ، شركة الأصالة للنشر ، الجزائر، ط2، 2013، ص 9-10.

العيد حتى استقال في عام 1925 م هروبا من السياسة الاستعمارية الفرنسية الجائرة وعمل بعد ذلك في التجارة إلى أن قرر السفر إلى فرنسا لمواصلة دراساته العليا<sup>1</sup>.

وقد وصل إلى فرنسا وبالضبط إلى باريس سنة 1930م وحاول التسجيل بمعهد الدراسات الشرقية الشهير ، لكن لم يقبل فالتحق بمدرسته المهندسين، وكان له نشاط كبير، إذ كان يتردد على جمعية "الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين"، ثم تزوج من امرأة فرنسية مسيحية في عام 1931 بعد أن أسلمت وسمت نفسها خديجة ، وشارك أيضا في نشاط حزب (نجم شمال إفريقيا)، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وجمعية الوحدة العربية السرية، وأخذ يكتب منشورات ضد الممارسات الاستعمارية في الدول الإسلامية وتعرف على الطلبة العرب المقيمين في باريس مثل محمد عبد الله دراز، محمد المبارك، صبحي الصالح وغيرهم<sup>2</sup>، وتخرج سنة 1935 مهندسا في الكهرباء، وعاد إلى الجزائر ليؤسس معهد بقسنطينة لتحضير الطلبة الذين يرغبون في الدخول إلى كليات الهندسة في فرنسا ، لكن هذه الأخيرة رفضت ، وقضى عاما في مدينة تبسة إلى جانب الشيخ العربي التبسي(1957م) يساعده في نشاطات نادي الشبيبة الإسلامية.

وفي سنة 1938م استدعى مالك بن نبي للإشراف على نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة من مرسيليا، يعلم العمال ويلقي محاضرات عامة للجمهور، لكن سرعان ما أوقفته السلطة الفرنسية، وبعد فشله في إيجاد عمل في فرنسا وغيرها من الدول، رجع إلى الجزائر، لكن الأوضاع المزرية أرغمته من جديد على الهجرة إلى فرنسا واستقر فيها حتى سنة 1956م وألف خلال هذه الفترة عدة كتب دينية وأدبية وفكرية باللغة الفرنسية وكتب في بعض جرائد الحركة الوطنية الجزائرية<sup>3</sup>.

أما عن علاقة مالك بن نبي بجمعية العلماء المسلمين الجزائري فيذكر هذا الباحث أنه قد انتقد في كثير من مؤلفاته مشاركة جمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي الجزائري (1936) واعتبر هذا انحرافا عن مسارها الإصلاحية إذ تحول في نظره -النشاط الفكري

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص12.

<sup>2</sup> مولود عومر، المرجع السابق، ص12-14 (بتصرف).

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص15.

والعمل التربوي إلى خطابات سياسية ومنافسات انتخابية، كما اتهمها بالغفلة السياسية والسذاجة في التعامل مع جبهات الصراع الفكري وعدم فهمها لأفكاره، غير أنه لم يمنعه هذا الموقف من حضور نشاطاتها والدفاع عنها لأنه يشعر دائماً بفضلها ودورها في تعميق الحس الديني ونشر الوعي الوطني والثقافي في الجزائر<sup>1</sup>.

وفي كتابه "في مهب المعركة" يقول : " لقد بذلت شطراً من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء التي قامت في الجزائر بنشر العلم والدين ، وتكلمت مرات في معاهدها دون أن أكون عضواً من أعضائها (...). وعلى الأصح دون أن تدعوني هذه الجمعية للمساهمة في شؤونها الإدارية حتى ولو قدمت لها الطلب من أجل ذلك في بعض الظروف القاسية في حلبة الصراع الفكري"<sup>2</sup>.

وللعلم فقد شارك مالك بن نبي في الخمسينات في نشاطات نوادي التهذيب التابعة لجمعية العلماء في فرنسا ، ونشر عدة مقالات في جريدة الشباب المسلم وصحيفة البصائر التابعتين لهذه الجمعية<sup>3</sup>.

وفي 1956 سافر إلى مصر واستقر بالقاهرة، وحرص منذ البداية على الاتصال بالصحافة والمفكرين والعلماء والسياسيين المصريين والعرب المقيمين في مصر وشارك في مختلف النشاطات التي تزخر بها الحياة السياسية والثقافية في القاهرة، ودأب على عقد ندوات فكرية في بيئته صبيحة يوم الجمعية يحضرها الطلاب من مختلف الجنسيات الإسلامية ، وكتبت عنها الكثير من أمثال الدكتور عمار طالبي الذي كان طالباً في جامعة القاهرة آنذاك. وفي هذا الجو، تعرف على عبد الصبور شاهين الذي قام بعد ذلك بترجمة أهم كتب بن نبي إلى اللغة العربية، فاكتشفه قراء العربية في أنحاء العالم الإسلامي، وصدرت له الطبعة العربية لكتاب الشروط النهضة سنة 1957م.

وقام مالك بن نبي برحلات إلى المشرف العربي، وألقى فيه عدة محاضرات وواصل إنتاجه الفكري في مصر، ولقد كان معجبا بشخصية الإمام حسن البنا الذي كان يعتبره

<sup>1</sup> مولود عومر، المرجع السابق، ص16.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، في مهب المعركة.

<sup>3</sup> مولود عومر، المرجع السابق، ص18.

مصلحا وعالما مجددا ويرى في حركة الإخوان المسلمين مصدر التفاؤل في مستقبل الإسلام، غير أن وصوله إلى مصر في فترة حرجة اتسمت بحل الجماعة واعتقال كثير من قادتها وأنصارها، جعله في موقع حرج جعلته يفضل السكوت عن اضطهاد الحكومة المصرية لهذه الجماعة<sup>1</sup>.

وعن الثورة الجزائرية فقد اعتبرها مالك بن نبي تجسيدا لأفكاره على أرض الواقع. ويرى أن "كل الطاقات الأخلاقية والسياسية وكل الطموحات والضغوطات المتراكمة خلال هذه الفترة هي التي تسمح للبلد أن يتجاوز المرحلة الصعبة من تاريخه وأن يدخل في خضم ثورته التي ستكون بالضبط ذروة هذا التطور التحضيري، إن رأس المال الثوري الذي كان متوافراً عشية الواحد من نوفمبر /تشرين الثاني من سنة 1984م،/ كان في الأساس ثمرة هذا التطور الذي قامت الحركة الإصلاحية فيه بدور رئيسي<sup>2</sup> .

وعندما وصل إلى القاهرة سنة 1956 بعث رسالة إلى قادة الثورة الجزائرية وبين فيها استعداداه الكامل لخدمة الثورة كمرض للجرحى في ميادين القتال وكاتب لتاريخ الثورة الجزائرية من الداخل، وألف سنة 1957م كتاب عنوانه النجدة للجزائر، الشعب الجزائري يناد، وهي صرخة ودعوى للضمير العالمي وتحدث عن الثورة في برنامج صوت العرب من القاهرة، غير أنه لم يكن راضيا عن بعض قادة الثورة خاصة بعد مؤتمر الصومام (1956) وانتقد توجهاتهم الغربية والاشتراكية<sup>3</sup> .

وبعد الاستقلال، عاد إلى الجزائر عام 1963م وعين مديرا عاما للتعليم العالي، كتب مقالات ما بين 1964م و 1968م في المجلة الأسبوعية الثورة الإفريقية وصحيفة المجاهد، ولا تخلو كتاباته من نقد للأوضاع الداخلية وفي عام 1967 استقال من منصبه بعد أن تعرض لعدة مضايقات وتفرغ للعمل الفكري وفتح بيته للطلبة لحضور ندواته الأسبوعية يوم السبت والأحد وقد حث تلاميذه على تأسيس مسجد بالجامعة حتى لا يفصلوا بين التدين والتعلم، ثم قام بعدة رحلات إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، يتصل بالجالية العربية

<sup>1</sup> مولود عومر، المرجع السابق، ص 19-24 (بتصرف).

<sup>2</sup> مالك بن نبي من أجل التغيير، دار الفكر، دمشق، 1995، ص 47.

<sup>3</sup> مولود عومر، المرجع السابق، ص 25-26.

ويلقي محاضرات وزارا أيضا الكثير من الدول العربية والإسلامية فألقى المحاضرات وشارك في الندوات والمؤتمرات الفكرية، وقد تحولت ندوة مالك بن نبي الأسبوعية في عام 1968م إلى ملتقى للفكر الإسلامي وفي عام 1970 تبنته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ماديا ومعنويا، وصار هذا الملتقى صرحا علميا كبيرا شارك فيه كبار العلماء والمفكرين المسلمين والغربيين، غير أنه عاش في أواخر حياته إرهاقا كبيرا وآلاما في عينيه ورأسه بعد سقوطه من الأدراج عند خروجه من البيت ورغم علاجه في الخارج .

إلا أنه توفي في 1973/10/31م في الجزائر، بعد أن أفنى عمره في النضال الفكري والسياسي وفي التأليف وعقد الندوات والملتقيات<sup>1</sup>.

هذا، وقد ترك مالك بن نبي كثيرا من الكتب والمخطوطات طبع جزءا منها في الجزائر، مصر، سوريا، لبنان، وقد كتب معظمها باللغة الفرنسية وقليل منها بالعربية، ويمكن بعد هذا، عرض هذه المؤلفات على النحو التالي :

- 1-الظاهرة القرآنية : محاولة نظرية في القرآن الكريم .
- 2-ليبك : وهي قصة تتسم بالشاعرية ، صدرت سنة 1947م.
- 3-شروط النهضة : يحتوي هذا الكتاب على مقدمة وبابين خصص الباب الأول للحضارة والتاريخ والباب الثاني للمستقل، و صدر هذا الكتاب سنة 1948م.
- 4-وجهة العالم الإسلامي سنة 1954م في باريس ضمنه الحديث عن مجتمع ما بعد الموحدين والنهضة وفوضى العالم الإسلامي وفوض العالم الغربي وبواكير العالم الإسلامي .

5-الفكرة الإفريقية الآسيوية بمناسبة انعقاد مؤتمر باننونع 1954م في القاهرة.

6-مشكلة الثقافة سنة 1957م في القاهرة .

7-انقذو الجزائر سنة 1957م في القاهرة.

8-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة سنة 1957م في القاهرة وهو تطبيق علمي لعلم النفس الاجتماعي في مجال الدراسات السياسية وتحليل الصراع الفكري.

<sup>1</sup> مولود عومر ، المرجع السابق، ص26-29 (بتصرف).

- 9-البناء الاجتماعي الجديد نشره في بيروت سنة 1957.
  - 10-فكرة كومنولت إسلامي سنة 1958م
  - 11-تأملات في البناء الجديد سنة 1960م.
  - 12-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي سنة 1960.
  - 13-ميلاد مجتمع سنة 1960م.
  - 14-في مهب المعركة سنة 1961م.  
وقد ألفت هذه الكتب في القاهرة .
  - وعندما انتقل إلى الجزائر بعد الاستقلال، أصدر الكتب التالية :
  - 15-آفاق جزائرية سنة 1964م.
  - 16-مذكرات شاهد القرن، الجزء الأول، الطفل-الجزائر سنة 1965 وهي سيرة ذاتية .
  - 17-أعمال المستشرقين سنة 1967م.
  - 18-الإسلام والديمقراطية سنة 1968م.
  - 19-مذكرات شاهد القرن، الجزء الثاني ، الطالب، بيروت، 1970م
  - 20-المسلم في عالم الاقتصاد، بيروت، 1972م.
  - 21-دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، بيروت، 1973م
  - 22-بين الرشاد والنتيه، وهي عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في جريدة الثورة الإفريقية ترجمها وبوبها هو بنفسه وطبعت بعد وفاته ببلنات سنة 1978م<sup>1</sup>.
- ومن المؤلفات الأخرى: من أجل تغيير الجزائر طبع في سنة 1989م العفن طبع سنة (2007م) الكتاب والوسط الانساني طبع 2008م ومجالس تفكير، خطاب مفتوح لخروتشوف وايزنهاور المشكلة اليهودية، مجالس دمشق، مولد مجتمع إسلامي، تعليقات على مؤلفات قديمة، وهي كلها طبعت ونشرت بعد وفاته<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1984، ص 37-39.

<sup>2</sup> محمد بسكر، اعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص62-63.

المحاور الكبرى لفكر مالك بن نبي : تظهر لنا المؤلفات التي نشرها هذا لمفكر الجزائري انه تعرض لمواضيع متعددة غير أن المشكلة المركزية التي تكاد تدور حولها معظم هذه المؤلفات هي مشكلة الحضارة، والتي تتفرع مشكلات أخرى من قبيل التاريخ، الاستشراق، الثورة الجزائرية، التغيير الاجتماعي، الأخلاق، إلى غير من الموضوعات الهامة في تفكير مالك بن نبي .

أولا : تمثل مشكلة الحضارة أهم موضوع تناوله مالك بن نبي في مصنفاته المختلفة، فهو الطرح السليم لتجاوز حالة التخلف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، وهنا نراه يلح كثير على دور ومكانة الإنسان في تجسيد الوثبة الحضارية ولهذا، فإن كل تفكير في مشكلة الإنسان كما يقول هذا المفكر هو تفكير في مشكلة الحضارة<sup>1</sup>.

في هذا السياق، فإن الحضارة هي عبارة عن إبداع وليست تكديسيا، ولا جمعا لركام من الأشياء فهي بناء وتركيب للعناصر الثلاثة (الإنسان والزمن والتراب)، ويلاحظ أن العقيدة الدينية التي تقوم بدور المركب، وتمزج العناصر الثلاثة ببعضها البعض، وهنا يعني أن "الحضارة هي جملة من العلاقات التي توصف والتي تبعثها أي حضارة داخل أشياءها وأفكارها من جانب، وبين هاتين المجموعتين والإنسان من جانب آخر"<sup>2</sup>.

وعليه فإن الناتج الحضاري :إنسان +تراب +وقت ، وهذا يعني أن بناء أي حضارة لا يكون بأن نكس المنتجات وإنما بأن نحل المشكلات من أساسها<sup>3</sup>.

ومن هنا، يؤكد من ناحية أخرى في كتابه "ميلاد مجتمع" أن "الجماعة الانسانية تكسب صفة المجتمع عندما تشرح في الحركة، أي عندما يبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها، وهذا ما يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة، أما الجماعات الساكنة، فإن لها حياة اجتماعية دون غاية ، فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، الفكرة الافرو آسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1979م، ص61.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1986م، ص43.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص45.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013، ص18.

ومن هنا، فإن حضارة ما ليست إلا نتاج فكرة جوهرية تطيع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته إن الفكرة المسيحية قد أخرجت أوروبا إلى مسرح التاريخ، وقد بنت عالمها الفكري انطلاقاً من ذلك<sup>1</sup>.

ويمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره<sup>2</sup>.  
ويلخص لنا مالك بن نبي فكرته حول الحضارة فيما يلي :

فدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل للتاريخ فكرة معينة، أو عندما يدخل التاريخ مبدأً أخلاقي معين على حد قول كيسر لينج" كما أنها تنتهي حيث تفقد الروح نهائياً الهيمنة التي كانت لها على الغزائر المكتوبة أو المكبوتة الجماح، ويطلق مالك بن نبي عن نقطة الانطلاق الحضارية اسم المرحلة السابقة للحضارة، وعلى نهاية الدورة اسم مرحلة ما بعد الحضارة<sup>3</sup>.

وعليه يقول مالك بن نبي : " نحن نعلم مسبقاً أن حضارة معينة تقع بين حدين اثنين: الميلاد والأقول وإذن ، فالمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من النقطة الأولى في خط صاعد، ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل، وبين الطرفين الأولين يوجد بالضرورة تواز معين يشير إلى تعاكس في الظاهرة ، فطور الأقول النازل هو عكس طور النهضة الصاعدة، وبين الطرفين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو طور انتشار الحضارة وتوسيعها .

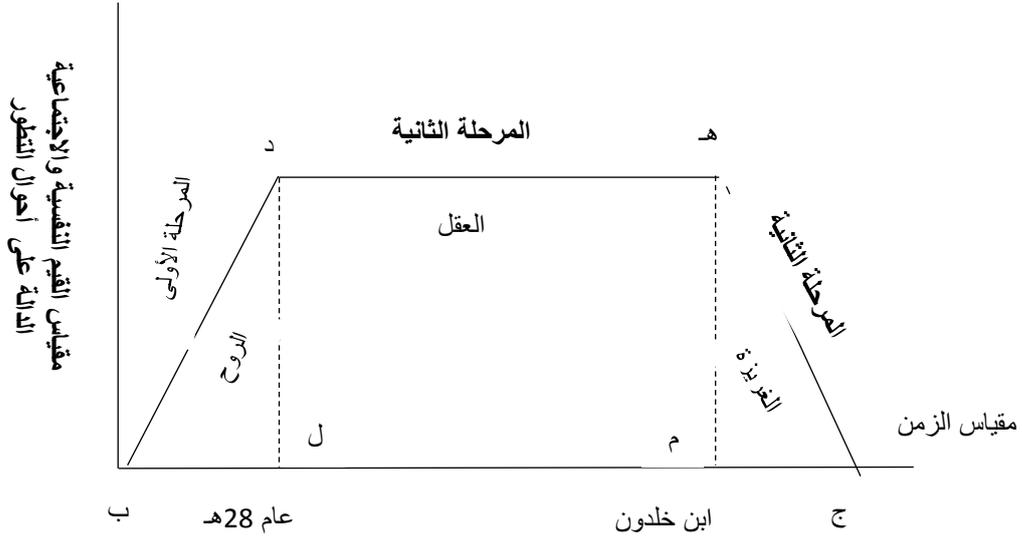
ولو حاولنا ترجمة هذه الاعتبارات في صورة تخطيطية تحصلنا على التخطيط التالي :<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مالك بن نبي ، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1992، ص41.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص42.

<sup>3</sup> عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص43

<sup>4</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص66.



ويضرب لنا مالك بن نبي مثلاً، بالحضارة الإسلامية التي بلغت أوج ازدهارها بفضل الدفعة الروحية الخارقة التي مثلها الإسلام، واستقر هذا التطور بعد معركة صفين، وبقي ذلك الحال إلى عصر ابن خلدون، وسيطر على هذه المرحلة العقل ثم سيطرت بعد ذلك الغريزة، وبدأ العالم الإسلامي في مرحلة انحطاط، ويطلق هذا لمفكر هذه المرحلة مرحلة ما بعد الموحدين<sup>1</sup>.

وعليه، فإن للأفكار عند مالك بن نبي في فترة دخول المجتمع التاريخ دور وظيفي فعال ومن ثم القدرة على القيام بالوظيفة هي طريق الحضارة<sup>2</sup>.

وهكذا فإن التخلف من وجهة نظر مالك بن نبي هو نتيجة لمرحلة طويلة من الانهيار في عالم الأفكار والثقافة وهاته المرحلة يسميها مرحلة ما بعد الموحدين، وأيضاً، يذهب هذا المفكر إلى أن فكرة التوجيه ضرورية لأنها تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت من ذلك أنه التوجيه الثقافي فإن له وظيفة، أنه يغذي حضارة المجتمع ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في وسائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة.

<sup>1</sup> عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص43.

<sup>2</sup> عمار طالي، فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر، مجموعة مؤلفين مالك بن نبي فكرة وأعماله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2005م، ص 135.

وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي ويتألف من عناصر أربعة، وهي عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية وعنصر الجمال لتكوين الذوق العام، ومنطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام، و الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع<sup>1</sup>.

1-تشكل الأخلاق عند مالك بن نبي محور النمو الإجماعي والثقافي والاقتصادي وهي بذلك ليست موضوعا فلسفيا نظريا خالصا، بل هي نظرة اجتماعية واقعية يتحدد بها تماسك المجتمع ووحدته .

"ويستند المبدأ الاخلاقي إلى الدين ويستمد منه الدوافع والغايات التي تحد المجتمع التاريخي وجهته"<sup>2</sup>

إن هذا المبدأ الأخلاقي هو معيار لفاعلية المجتمع والأفراد، التي قد تزيد أو تنقص بقدر ما يزيد تأثير هذا المبدأ أو ينقص، فقوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة إسلام إجتماعي وهي التي تُولف لنا حضارتنا المنشودة<sup>3</sup>.

فالروح الخلفية إذن لها مهمة في المجتمع وهي ربط الأفراد بعضهم ببعض .

مسألة أخرى يتطرق إليها مالك بن نبي وهي ارتباط العلم بالمبدأ الأخلاقي، حيث إذا فقد العلم الضابط الأخلاقي يتحول الى مجرد زينة ويفقد تأثيره على الحياة والسلوك يقول : " فحين تحول العلم إلى مجرد زينة أو منفعة ذاتية، فإنه يفتقر إلى العنصر الأخلاقي الذي يربط بين العلم الذي بين يديه والهدف الاجتماعي العام"<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة ، المرجع السابق، ص87.

<sup>2</sup> عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي ، حياته، وفكرة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ك1، 2014، ص 348.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة ، المرجع السابق، ص90.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلام، دار الفكر ، دمشق، ط5، 1986، ص25.

و يؤكد أيضا على أن كل حضارة عندما "تفقد معنى الروح تجد نفسها بدورها على حافية الهاوية، ولهذا، فإن نهضة العالم الإسلامي ليست في الفصل بين القيم وإنما في أن يجمع بين العلم والضمير، بين الخلق والفن، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة .."<sup>1</sup>

2-التوجيه الجمالي : يرى مالك بن نبي أن الجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحى للإنسان بأفكار ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماحة القبيحة، فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد ، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكرام من العادات<sup>2</sup>.

3-المنطق العلمي : يرى مالك ابن نبي أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق الحركة والعلم، فنحن "أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، إن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوماً"<sup>3</sup>.

ويؤكد مالك بن نبي على هذه الفكرة بقوله : " ولقد يقال أن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول: إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي .

إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة<sup>4</sup>.

4-للصناعة والتي تشتمل على الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، ويراعى في ذلك اعتبار أول وهو أنها للفرد وسيلة لكسب عيشه، وللمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه ومن هنا لا بد من انشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل المشكلة الخطيرة للتربية المهنية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص 161.

<sup>2</sup> مالك بن نبي ، شروط النهضة، ص 91.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص95.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص96.

<sup>5</sup> مالك بن نبي ، شروط النهضة، المرجع السابق، ص97.

مسألة أخرى تطرق إليها مالك بن نبي وهي ضرورة توجيه العمل وتعني تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئته الجديدة، لأن العمل وحده هو الذي يحط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي، فعندما كان المسلمون الأوائل يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الإسلامية<sup>1</sup>، أما عن توجيه رأس المال وذلك بتحديد من زاوية أخرى باعتباره آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، لا آلة سياسية في يدته رأسمالية، أي تحويل أموال الأمة البسيطة في معناها الاجتماعي من أموال كاسدة الى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد<sup>2</sup>.

بهذا، ينتهي مالك بن نبي إلى القول من أن التوجيه الثقافي ولتوجيه العمل وتوجيه الرأس مال عناصر جوهرية لاستكمال الشروط اللازمة لتشييد الحضارة .

نلاحظ أيضا أن مالك بن نبي يجعل الفعالية شرطا ضروريا للتفكير والعمل، فالمعرفة وحدها لا تكفي بل لابد من الفعالية، "فالعالم الإسلامي لم يبلغ بعد درجة النشاط أو العمل الفني الذي يعد وحده كفيلا بتحديد مكانه في العالم الحديث حيث يحتلم مبدأ الفاعلية أول درجة في سلم القيم، وهذا المبدأ من أحوج الأمور بالنسبة لنا"<sup>3</sup>.

فكرة أخرى تناولها هذا المفكر وهي مسألة القابلية الاستعمار ذلك أنه يعني بالنسبة لهذا المفكر أن "ما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر، وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال، فالاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة وأدرك منها مواطن الضعف فسخرنا لما يريد .

فالاستعمار يرينا كيف يؤثر على الفرد من الخارج لنخلق منه نموذج الكائن المغلوب على أمره، حدد له حركاته وأفكاره وحياته<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 107.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 110-112 (بتصرف)

<sup>3</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 166.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 155.

هذه أهم محاور المشروع الفكري لمالك بن نبي، والتي تظهر لنا بحق عن باحث له قدرة فائقة على التحليل، فلقد استفاء من الفكر الغربي، فجاء بفكر ناصع ونظر بعيد وفهم عميق وهو بذلك مجاهد بقلمه في سبيل القضية الجزائرية خاصة ، والقضايا العربية الإسلامية عامة، بما تتميز به في جميع مؤلفاته بعمق التفكير وقوة منطقيته وواقعيته وقوة أسلوب في الأفكار التي يتبناها، وقد استطاع أن يؤثر في جيل من الشباب المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح الاجتماعي والفكري، على الرغم من الحيف الذي لحق به، في قضاء الفكر العربي المعاصر .

#### خامسا : مولود قاسم نايت بلقاسم :

شخصية متميزة في الفكر الجزائري المعاصر، قامة موسوعية ، شديد الاعتزاز بالهوية الجزائرية وبشخصيتها الأمازيغية العربية الإسلامية، وهو إلى جانب هذا كله، مناضل في سبيل القضية الجزائرية، يصفه أحد الباحثين بأنه مفكر وفيلسوف لامع، ووطني غيور، اشتهر بالذكاء وحدة الذهن ورجاحة العقل وسعة الخيال وقوة الملكة، وهو أيضا كاتب ومحاضر بخمس لغات (العربية، والفرنسية والانجليزية والألمانية والسويدية) وله معرفة متفاوتة بأكثر من عشر لغات أخرى (كالإيونانية واللاتينية والجرمانية والصقلية ...)<sup>1</sup>

هذا، وقد ولد السيد مولود قاسم نايت بلقاسم في 06 يناير 1927 بقرية بلعيان من بلدية اقبو بولاية بجاية، تعلم بالمدرسة القرآنية فحفظ القرآن الكريم بها والتحق بالمدرسة الابتدائية وبمدرسة القرآنية فحفظ القرآن الكريم بها والتحق بالمدرسة الابتدائية وبمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقلعة آيت عباس، وقد انتقل الى تونس

<sup>1</sup> محمد بسكر ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، الجزء 2، 2015، ص 400.

بجامع الزيتونة سنة 1946م أيام النهضة العربية، فتحصل على شهادة الأهلية، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وتحصل منها على شهادة الليسانس في الفلسفة، والتحق بجامعة السوربون بباريس لتتفتح له افاق جديدة على علوم ومعارف أوسع ويستفيد من المناهج المعاصرة، خاصة المدارس الفلسفية الألمانية ذات الاتجاه الألماني وتعمق في فلسفة فيخته وهيجل وكانط وغيرهم، وأدى ذلك إلى تعلقه بالفكر الألماني، غير أنه عند اندلاع الثورة الجزائرية اخترته جبهة التحرير الوطني للانتقال بين سويسرا وألمانيا وبعض الدول الاسكندنافية إلى غاية الاستقلال واندماج في مجتمعاتها دارسا للعديد من لغاتها و استوعب ثقافتها وفنونها<sup>1</sup>.

وقد كان مناضلا مع الوفد الدائم في القاهرة وممثل جبهة التحرير الوطني 1954م في باريس ، وفي 1956م إلى جانب الدراسة وإعداد دكتوراه الدولة في الفلسفة، وكان أيضا مناضلا وطالبا بجامعة براغ 1957م ونائب رئيس الوفد الدائم في بون سنة 1958م ومكلفا بالشؤون الدبلوماسية<sup>2</sup>.

وبعد الاستقلال ، عين سنة 1963م مديرا سياسيا بوزارة الشؤون الخارجية، وفي سنة 1967م منصب مستشار سياسي ودبلوماسي لدى رئاسة الجمهورية، وفي سنة 1970م عين وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية الى غاية سنة 1979م، كما تقلد عدة مناصب أخرى منها : عضو في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني ومستشار الإعلام لدى رئاسة الجمهورية، ورئيس المجلس الأعلى للغة العربية، عضو مراسل بالمجتمع العلمي السوري للغة العربية بدمشق، وقد حقق العديد من المنجزات أفادت المنظومة التربوية والثقافية عامة، كان في مقدمتها الملتقيات الإسلامية التي كانت تعقد سنويا، ومجلة الأصالة، وما أدخله من إصلاحات على الإدارة وإنشاء المعاهد الإسلامية في المدن الكبرى، وعكف على جمع ونشر محتويات تلك الملتقيات في كتب هامة، واهتم أيضا بدور المسجد، وتكوين الأئمة وأنشأ مراكز تكوين في مختلف مناطق الجزائر، واهتم كذلك بالمخطوطات المتعلقة بالتاريخ

<sup>1</sup> سهام شريف عروس، اشكالية الاصالة والمعاصرة ، دراسة في رؤى النخبة الجزائرية، مولود قاسم نايت بلقاسم، رسالة ماجستير غير منشورة، 2007م/2008م، ص 114.

<sup>2</sup> عبد القادر حمداوي، اعلام الجزائر، اطفالنا للنشر والتوزيع وامتداد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2018م، ص 103.

الجزائري، وقد توفي في 27 أوت 1992م<sup>1</sup>، فكان اذن من السياسيين القلائل الذين جمعوا بين الثقافة والمعرفة، ولم يخضع للراحة، وقام بجهود كبيرة من أجل الحفاظ على الجزائر وتراثها الزاخر في كل المجالات .

أما عن مؤلفاته، فهي كثيرة ومتنوعة بين المحاضرات والمقالات والأبحاث، كما أنه عمل على إصدار مجلة الأصالة التي ذاع صيتها في الجزائر في ذلك الوقت .

ومن أهم هذه المؤلفات نذكر منها :

1-كتاب الجزائر : وقد نشر هذا الكتاب في ألمانيا وباللغة الألمانية ، من قبل مكتب الجامعة العربية في بون سنة 1957م، وهو يمثل مجمل المداخلات والمحاضرات التي ألقاها مولود قاسم باسم جبهة التحرير أيام إقامته بأوروبا في جامعات ومؤسسات ألمانيا الاتحادية والنمسا وهولندا وبولونيا، ولم يتم إعادة نشره ولا ترجمته إلى العربية لحد الآن<sup>2</sup> .

2-إنية وأصالة : كتاب صخم من 654 صفحة يضم مجموعة من المقالات والدراسات والمحاضرات، وكذا تعليقاته وتدخلاته الكثيرة أثناء جلسات ملتقيات الفكر الإسلامي إلى سنة 1975، وأيضا جمع المقالات التي كان يكتبها في مجلة الأصالة، وهو من منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، طبع مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، 1395هـ/1975م<sup>3</sup> .

وقد أطلق المؤلف على مجموع ما تضمنه هذا الكتاب (إنية وأصالة، وأراد بذلك أن كل موضوعات الكتاب تدور حول إشكالية رئيسية عبر عنها المؤلف بقوله : (كيف نكون أبناء عصرنا، مع البقاء على أديم مصرنا، ودون أن نصبح نسخة من غيرنا)<sup>4</sup>.

وهنا يشير إلى أنصار الحداثة الذين ينادون بالقطيعة مع العادات واللغة وغيرها من عناصر التراث، "إنها جزء من تراثنا الثقافي والروحي وارتباطنا بالتاريخ وهو شيء مهم جدا

<sup>1</sup> سهام شريف عروس، المرجع السابق، ص114-115.

<sup>2</sup> محمد بسكر، المرجع السابق، ص400.

<sup>3</sup> مسعود فلوسي، مؤلفات مولود قاسم نایت بلقاسم محاورها الفكرية وقيمتها العلمية، ضمن كتاب الاستاذ مولود قاسم نایت بلقاسم، المفكر الموسوعي والوطني التأثر، الصادر عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة، جويلية 2007م، الصفحات 153-167، ص 45.

<sup>4</sup> مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص5.

بالنسبة لكل أمة تحترم نفسها وتريد أن تحترم، إن غلواء كم في التضحية بما تسمونه شكليات كالتعريب والجمعة والعادات القومية قد يحولنا الى مجموعة أشكال بدون روح" <sup>1</sup>.

3-أصالة أم انفصالية : يقع هذا الكتاب في مجلدين كاملين يتكون الأول منهما من 416 والثاني من 428 صفحة، ويمثل جملة المقالات التي كتبها في (الأصالة) مضافا إليها الكثير من تدخلاته وتعليقاته أثناء ملتقيات الفكر الإسلامي التي نظمت بعد سنة 1975م إلى غاية 1979م.

ونشرت هذا الكتاب أيضا وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية وطبيعته، مطبعة دار البعث بقسنطينة، سنة 1980م وبعد ذلك المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر العاصمة سنة 1991م وتطور موضوعات الكتاب في معظمها في إطار نفس موضوع كتاب (إنية واصالة مع الالتفات إلى بعض القضايا الفكرية الأخرى، منها مثلا مظاهر الانحراف الأخلاقي في واقع المسلمين، وأيضا التراث الإسلامي وأهميته وسبل الاستفادة منه، وأيضا بعض من حملات تشويه لصورة الإسلام في الغرب، وأيضا قضية المرأة التي عادة ما تثار في وجه الإسلام <sup>2</sup>.

4-ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ، ويقع هذا الكتاب في 254 صفحة، نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1983م وأعدت نشره وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 2003م.

وقد تتبع فيه ردود الفعل التي أعقبت إعلان اندلاع ثورة التحرير من الأشخاص والهيئات الوطنية والفرنسية والأوروبية، ومن العالم العربي والإسلامي <sup>3</sup>.

5-شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م.

<sup>1</sup> مولود قاسم، اينة وأصالة، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1975م، ص206.

<sup>2</sup> مسعود فلوسي ، المرجع السابق، ص5-7 (بتصرف).

<sup>3</sup> محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص401.

وهو كتاب من جزئين، الأول في 256 صفحة، والثاني في 396 صفحة وقد نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1985م ودار الأمة الجزائرية سنة 2012م.

إن هذا الكتاب بحسب أحد الباحثين عبارة عن دراسة علمية مركزة تتناول بالتفصيل رصد الهيبة العلمية التي كانت تحظى بها الجزائر كدولة قوية ذات كلمة نافذة في حوض البحر الأبيض المتوسط قبل أن تتعرض للاستعمار الفرنسي سنة 1830م.

ويتحدث في المقدمة عن الأسباب التي دعت إلى الإقدام على انجاز هذه الدراسة والتي منها إنكار البعض أن يكون للجزائر وجود كأمة من الأمم قبل تعرضها للاستعمار، وعقد المؤلف بعد ذلك مدخلا تمهيديا أكد فيه عراقية الأمة الجزائرية وامتدادها في التاريخ مع توظيفه لنصوص لمؤرخين فرنسيين وكتاب عرب يحاولون فيها إنكار أن تكون الجزائر أمة، ثم يرد على هذه الدعاوى بالنقض<sup>1</sup>.

ثم تتناول فصلا للحديث عن أولية ومآل العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية وأوروبا والولايات المتحدة قبل سنة 1830م. مستشهدا بالوثائق المكتوبة بلغات مختلفة أما الجزء الثاني من الكتاب، فخصه المؤلف للحدث عن العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل سنة 1830م. ويتطرق في الفصل الأخير للحديث عن العدوان الاستعماري الفرنسي على الجزائر سنة 1830م وأسبابه ويرد على كل الدعاوى الفرنسية الباطلة<sup>2</sup>.

وينتهي به الأمر في خلاصة، يتحدث فيها عن شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، قبل أن يؤكد في النهاية على أهمية التاريخ وضرورة العناية به، وأيضا بأهمية الوثائق والمحافظة عليها.

<sup>1</sup> مسعودي فلوسي ، المرجع السابق، ص12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 13-14.

ولا شك أن هذا الكتاب ينطوي على طرح علمي كبير وتوثيق منهجي دقيق، وهو ما يعني أن له قيمة معرفية ومنهجية تفسره الوثائق المصورة النادرة والمكتوبة بلغات عالمية مختلفة<sup>1</sup>.

وعلى العموم، فإن هذا المؤلفات التي تم رصدها لهذه الشخصية الفكرية الفذة تتعلق بجملة من المحاور الفكرية التي شغلت الساحة الثقافية والفكرية الجزائرية خاصة، والفضاء الفكري العربي الإسلامي في ذلك الوقت، ويمكن تلخيصها في العناصر التالية :

1- قضية الأصالة والمعاصرة .

2- المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية

3- تنقية تاريخ الجزائر مما علق به من تزييف وتحريف .

4- التعريب الذي حرص كل الحرص على أن تكون اللغة العربية لغة علم ومعرفة وليست مجرد لغة دين .

ويمكن القول هنا أن هذه المحاور الكبرى في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم متضمنة في المؤلفات التي ذكرناها آنفا .

هذا، ونشير في آخر هذه الدراسة إلى القيمة العلمية لأعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، والتي تتدرج أولا في أن أعماله متفردة وغير مسبوقة، لأنه شخصية متحررة ومتفتحة تنهل من منابع فكرية متعددة ومتنوعة، وهو منفتح على ثقافات متعددة ومطلع على الفكر الإسلامي والإنساني بفضل إتقانه لعدد من اللغات الأجنبية، وثانيا، تعبر هذه الأعمال عن شخصية إنسانية وخصائصه النفسية، وبالتالي تعد هذه الأعمال مراجع بارزة كونها علمية وأكاديمية من طراز علمي عال، وأخيرا تعد بعض من أعماله صدى للنزاع الصامت والعنيف في أن

---

<sup>1</sup> مسعود فلوسي ، المرجع السابق، ص15.

واحد بين الوطنيين والمتغربين، وبين المفرنسين والمعربين، وقد أبان في هذا الجو الفكري والايديولوجي عن توجهه الإسلامي العربي دون تفوق أو انزواء<sup>1</sup>.

نستنتج من كل ما سبق، أن هذا المفكر، موسوعة ثقافية خالدة في تاريخ الفكر الجزائري سيستهال دراسة شخصيته وفكره من الباحثين الذين بإمكانهم أن يتناولوا هذا الفكر من جوانب مختلفة، وإعادة طبع مؤلفاته وترجمة أعماله إلى لغات العالم الحية .

### سادسا : عبد الله شريط (1921م-2010م)

يعتبر المفكر الجزائري البارز الدكتور عبد الله شريط واحدا من كبار المتقنين الجزائريين المعاصرين ، فهو من أعمدة التفكير الفلسفي في الجزائر وله حضور بارز في عالم الفلسفة العربية المعاصرة، تميز بفكرة الشامل ونظاله المستمر، يصفه أحد الباحثين بأنه فيلسوف ومؤرخ وصحفي وباحث لامع، عرف بأعماله الفكرية الرصينة وكتاباته الفلسفية المعمقة التي حلل فيها أهم قضايا الجزائر والأمة العربية، وقد انطق في رحلته مع النضال بالقلم مع بداية الأربعينيات وذلك بغرض تحري وطنه الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ولقد عرف بأسلوبه المبسط والسهل الممتع ، إذ يتميز أسلوبه في الكتابة بالدقة، فيضع الكلمات في مواضعها بعيدا عن الاطناب الممل والاختصار المخل، إضافة الى أنه ناقد أنجز عدة دراسات نقدية، كما أنه مترجم بارع يتفوق اللغة الفرنسية بامتياز، إلا أنه ظل طوال حياته من أرز المدافعين عن اللغة العربية في الجزائر، فكراً ولساناً ، ثم أن ما يتميز به هذا المفكر هو عشقه الكبير للعلامة ابن خلدون، لهذا تبني المنهجية الخلدوية في رصده للظواهر الاجتماعية، وعلى ضوءها درس عددا من موثيق الثورة الجزائرية مثل ميثاق الصومام والميثاق طرابلس<sup>2</sup>.

هذا، وقد ولد عبد الله شريط سنة 1921م في بلدية مسكيانة بولاية أم البواقي، بدأ تعليمة الابتدائي بمدرسة فرنسية في مسكيانة سنة 1927م، وفي سنة 1932م انتقل الى

<sup>1</sup> مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص 21-23 (بتصرف)

<sup>2</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، عبد الله شريط المفكر الرائد والفيلسوف المناضل.

مدينة تبسة، وانظم الى مدرسة تهذيب البنين التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وتتلذذ على يد الشيخ العربي التبسي الى غاية نهاية أربعينيات القرن الماضي. وفي سنة 1945م عندما انتهت الحرب العالمية الثانية توجه الى تونس ودرس بها، وحصل على شهادة التطويح من جامعة الزيتونة سنة 1945م. وفي سنة 1947م التحق بالجامعة السورية فتنخرج فيها حاملا شهادة الليسانس في الفلسفة، تخصص فلسفة سياسية سنة 1952م.<sup>1</sup>

وسافر الى تونس للتدريس في جامعة الزيتونة بالمعهد الجديد، وفي الوقت نفسه كان يعمل بجريدة الصباح التونسية، وبعد اندلاع الثورة، كثف جهوده للتعريف بالقضية الجزائرية، وانظم سنة 1955م الى أسرة تحرير جريدة المجاهد الجزائرية، وأصبح عضو من أعضاء البعثة السياسية لجبهة التحرير الوطني وقدم خدمات جليلة للثورة على الصعيد الاعلامي، وبعد الاستقلال سنة 1962م، عمل أستاذا بجامعة الجزائر ووصل نضاله الفكري والسياسي وحصل سنة 1972م على شهادة الدكتوراه بأطروحة عن الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" وساهم في نشر الثقافة الفلسفية والتربوية من خلال تقديم حصص إذاعية وتلفزيونية، وتمثيله الجزائر في عدد من الندوات والملتقيات الدولية، كما ناقش وأطر مئات الرسائل الجامعية، وتخرجت على يده الاف الكفاءات في مختلف المراتب والمستويات، وقد كرم في العديد من المرات من قبل العديد من المؤسسات العلمية، ونال جائزة الدولة قبل العديد من المؤسسات العلمية، ونال جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفة مع الأديب الراحل طاهر وطار، وقد نظمت عدة ملتقيات وندوات علمية وطنية ودولية حول مشروعه المتميز.<sup>2</sup>

أما عن مؤلفاته، فلقد جمعت في سبعة مجلدات ضخمة عن وزارة الثقافة الجزائرية سنة 2007م واحتوت جميع أعماله الفكرية وكتاباته الفلسفية، ويمكن رصد اهمها في ما يلي:

- 1- المنابع الفلسفية للفكر الاشتراكي : وقد نشر سنة 1975م في 173 صفحة .
- 2- أخلاقيات غربية في الجزائر : وقد نشر سنة 1975م في 110ص.

<sup>1</sup> - محمد بسكر، اعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص425.

<sup>2</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، عبد الله شريط المفكر الرائد والفيلسوف المناضل، المرجع السابق

3- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون : وأصل الكتاب أطروحة حاز بها دكتوراه دولة في الفلسفة السياسية والاخلاقية ، وعن مبرر تاليفه يقول : " بعد الاستقلال دخلنا في مرحلة أخرى في المستوى الثقافي وفي المستوى الأخلاقي وبصفة عامة علماء الاجتماع يقولون أن كل المجتمعات التي تدخل الحرب تخلف هوة اخلاقية، بحيث يجد المجتمع نفسه غريبا عن نفسه، فهو غريب الاخلاق وغريب الأطوار، وهذا ما دفعني أن أبحث في هذا لموضوع عند ابن خلدون وقد طبعته المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1976م في 686 صفحة .<sup>1</sup>

4- من واقع الثقافة الجزائرية : ويعرفه المؤلف بقوله : " هذه مجموعة بحوث ومقالات كتب أكثرها بين 1968م و 1970م وتتناول قضايا وتطرح مشكلات من واقع الثقافة الجزائرية كما عشناها في فترة ما بعد الاستقلال الى اليوم". ومن بين ما تطرق اليه، التعريف، الاصلاح الجامعي، المعرفة والشعب، اللغة والمجتمع وغير ذلك.

وقد صدرت طبعته الثانية عام 1981م.<sup>2</sup>

5- معركة المفاهيم : والذي صدر أول مرة في أواخر السبعينيات و أعيد طبعه سنة 1981م ويقدم لنا المؤلف جملة من الحوارات والمناقشات التي تركز على قضية إدراك المفاهيم بدقة ، فهو يرى أن ضبط المفاهيم مسألة تعد غاية في الأهمية على اعتبار أن الكثير من المفاهيم قد اختلطت وصاعت ولا بد من تصويبها وفرزها وتمحيصها بدقة. وقد قدم له الكتاب المفكر المصري الدكتور محمود قاسم، إذن القضايا التي عالجها في هذا الكتاب هي من صميم الحياة اليومية الجزائرية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد بسكر، المرجع السابق، ص425.

<sup>2</sup> - محمد بسكر، المرجع السابق، ص426.

<sup>3</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، المرجع السابق.

للإشارة عدد صفحات هذا الكتاب هو 303 صفحة .

6- حوار إيديولوجي " المسألة الصحراوية والقضية الفلسطينية" مجموعة من الحوارات التي أجراها د/عبد الله شريط مع المفكر المغربي الأستاذ عبد الله العروي، نشر سنة 1982م في 143 صفحة .

7- تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، وهو مجموعة من المحاضرات في تاريخ وثقافة الأدب العربي، وألقيت على طلبة جامع الزيتونة بتونس، وقد صدر سنة 1983م في 333 صفحة .

8- نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون : وقد طبع سنة 1984م في 132 ، وفيه يقدم المؤلف قراءته الخاصة لنصوص منتقاة من مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون، وهو يهدف من خلال هذا الكتاب الى تقديم تفسيرات وشرح متنوعة للفكر الخلدوني .

9- مع الفكر السياسي والمجهود الايديولوجي في الجزائر، وقد طبع سنة 1986م في 292ص.

10- المشكلة الإيديولوجية في الجزائر.

11- الجزائر في مرآة التاريخ .

12- المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية .

13- واشترك مع الكاتب محمد الميلي في تأليف كتاب مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي.<sup>1</sup>

14- من أجل سعادة الإنسان : ترجمة الفيلسوف الانجليزي برتراندراسل ، المسمى (كيف أفهم العالم) ، ويتضمن هذا لكتاب مجموعة من الحوادث التي دارت بين الفيلسوف" راسل " واحد قرائه ، نوقشت من خلالها جملة من المشاكل الإنسانية وتناول فيه قضايا تتصل بالفلسفة والدين والحرب والسلام والشيوعية والرأسمالية

<sup>1</sup> - محمد بسكر، المرجع السابق، ص426.

والاخلاق والسياسة والسعادة التي يرجى تحقيقها للجماعة ودور الفرد فيها والوطنية والتعصب ومستقبل الإنسانية ، ويصف عبد الله شريط هذا الكتاب بأنه يحوي كل ما يهم المثقف العادي.<sup>1</sup>

15- نظرية حول سياسة التعليم والتعريب : مجموعة مقالات نشرها في جريدة الشعب الجزائرية ردا على الدكتور مصطفى لشرف فيها يخص سياسة التعريب والتعليم، وقد طبعته المؤسسة الوطنية للكتاب (د.ت) ، وبسبب هذه المعركة بين أنصار اللغة العربية ودعاة الفرنكفونية، تعرض لحملة شعراء واتهم بالتعصب والرجعية ومعاداة التقدم، ويقول في سياق هذا لموضوع أن الفرنسيين يحملون ضدي حقدا تاريخيا منذ أن كنت بتبسة لموقف عائلتنا الوطني من فرنسا الاستعمارية .<sup>2</sup>

16- الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية : ويتكون من 18 جزءاً يغطي الفترة الممتدة بين سنتي 1955م و 1962م.

17- الرماد : ديوان شعر : تبلغ قصائد هذا الديوان إحدى وعشرين قصيدة وكتبها بين سنة 1945م و 1958م وطبع ونشر سنة 1986م ، وقد صدر لهذا الديوان بمقدمة طويلة بلغت إثنتين وخمسين صفحة من 150 صفحة من صفحات الديوان .<sup>3</sup>

نستنتج في الأخير، أن المفكر الجزائري عبد الله شريط قد حظي باهتمام كبير من قبل المفكرين والمثقفين الجزائريين والعرب، وقدموا شهادات هامة تبرهن على منزلة المرموقة وقيمة مشروعته الفكري والفلسفي ، الأمر الذي يبين لنا أنه مفكر رائداً ، ومجاهداً فذاً، وباحثاً لامعا متعدد الأبعاد ومتنوع الثقافات، وهو بذلك يستأهل أن يكون فكره ومنهجه موضوع دراسات جامعية وأبحاث أكاديمية مثمرة.

<sup>1</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، المرجع السابق.

<sup>2</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، المرجع السابق.

<sup>3</sup> - محمد بسكر، المرجع السابق، ص 427.

## سابعا : محمد اركون (1921م-2010م)

تمثل السيرة الذاتية لمحمد أركون مدخلا مهما لإدراك أبعاد السيرة العلمية التي اكتسبها من خلال مؤلفاته الكثيرة والمعبرة عن مشروعه الفكري العام، وهكذا فقد ولد سنة 1928 بقرة توريرت ميمون، وهي قرية معلقة على سفح جبل جرجرة في المنطقة الكبرى، بالجزائر، وهو من أسرة بسيطة تقطن في أسفل القرية وتشكل قرية توريرت ميمون الى جانب ست قرى أخرى دوار بني وهي نفسها قرية مولود معمري، وفي هذه القرية قضى محمد أركون طفولته ومراهقته، وبدأ يتعلم اللغة الفرنسية وعمره سبع سنوات في المدرسة الابتدائية ومن ذلك الجين، بدأ يشعر بالصدمة بسبب تشربه لثقافة أخرى غير ثقافته الأصلية.<sup>1</sup>

ويذهب أحد الدراسين لفكرة، أن أركون لم يتعلم اللغة العربية، إلا بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقه بمدينة وهران في الغرب الجزائري ، ليساعد أباه في التجارة من جهة، ومن جهة ثانية يتابع تعليمه بالمدرسة الثانوية في وهران، حيث انتقل بين ثانويتين وهما : "أرديون" و"لامكوسبير" وفيها أمضى دراسته الثانوية.<sup>2</sup>

يمضي هذا الباحث في الحديث عن التحول الذي طرأ على شخصيته أركون بعد ا لانتقال الى مدينة وهران والدراسة فيها، حيث بدأت تجربة المثاقفة المزدوجة والمواجهة الثقافية من خلال تعلمه العربية واكتشاف المجتمع الناطق بالعربية وليس بالبربرية، وكذا اكتشاف المجتمع الفرنسي المستعمر.<sup>3</sup>

وبعد حصوله على شهادة البكالوريا سنة 1949م التحق بجامعة الجزائر يقسم اللغة العربية وآدابها وتخرج منها سنة 1952م ليصبح أستاذا بثانوية الحراش التي كانت تعرف باسم "ميزون كاره Maison carrée، ويواصل دراساته العليا حيث تحصل على دبلوم

<sup>1</sup> - كحيل مصطفى، الألسنية والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف الجزائر، در الامان ، الرباط، ط1، 2011م، ص 23-

.24

<sup>2</sup> - رون هالير، العقل الإسلام امام تراث عصر الأنوار في الغرب، الجهود الفلسفية لمحمد أركون، ترجمة جمال شجيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001، ص 167.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 167.

الدراسات العليا حول "الجانب الإصلاحي في اعمال طه حسين" وكان ذلك أول اتصال له بالفكر العربي الحديث .<sup>1</sup>

ويبدو أن أركون لم يقتنع بأداء أساتذة جامعة الجزائر حينئذ حيث يقول : " لأن أساتذتي كانوا هناك في درجة الصفر، لم تكن أية ابنية ثقافية، لقد تعلمت على يد شخص هنري بيريس الذي كان مربيا ممتازا (...). مع العلم أن الغليان كان قد بدأ مع الحركة الوطنية وأن الحرب ستنتشب بعد ذلك بثلاث سنوات ، لقد كنت في الكلية سنة 1951".<sup>2</sup>

بيد أنه قد تلقى من هنري بيريس رؤية خاصة للدراسات العربية والإسلامية ونمط السلطة الأكاديمية للإستشراق وهو الأمر الذي جعل من الصعب التخلص منه إلا عندما ذهب محمد أركون الى باريس ليكشف مدرسة الحوليات ، بعد أن سجل الوضع السيئ الذي عاشه في جامعة الجزائر في منتصف القرن الماضي والذي حمله على رفض ونقد للإستشراق بمناهجه وطرائقه .<sup>3</sup>

وهنا أخذ يقارن نفسه في تلك الفترة بشخصيتين الأولى هي شخصية ابن خلدون الذي وجد أمامه مكتبة عربية غنية جدا، بينما هو لم يحظى بمثل تلك المكتبة، ونشأ في ثانوية فرنسية علمانية وكان بعيدا عن كل مكتبة عربية،<sup>4</sup> اما الشخصية الثانية ، هي شخصية مولود معمري ابن قريته، المثقف اللامع والمحبوب في القرية، وكان له الحظ أنه درس في باريس وتحصل على شهادة الليسانس في الآداب الكلاسيكية.<sup>5</sup>

ومن هنا، رفض محمد أركون كل شيء يدور حوله في المجتمع الجزائري وأبدى رغبة قوية في الذهاب إلى باريس ليكمل دراسته وينتقل بين الجامعات الفرنسية طالبا أولا وأستاذا ثانيا .

<sup>1</sup> - كحيل مصطفى، المرجع السابق، ص24.

<sup>2</sup> - روان هالبير، المرجع السابق، ص169..

<sup>3</sup> - كحيل مصطفى، المرجع السابق، ص25.

<sup>4</sup> - روان هالبير، المرجع السابق، ص168.

<sup>5</sup> - كحيل مصطفى، المرجع السابق، ص25.

وفي سنة 1957 سجل بحثا مع جاك بيبيرك لدراسة الممارسة الدينية في منطقة القبائل" ولكن كاندلاع الثورة وعمليات لاكوست العسكرية بمنطقة جرجرة نسفت هذا المشروع، فنصحته "ريجيس بلاشير" بتسجيل مشروع بحث حول "نزعة الأنسنة في الفكر العربي" وهو البحث الذي نال به في نهاية الستينات من القرن الماضي شهادة الدكتوراه.<sup>1</sup>

وبعد ذلك انتسب إلى الجامعة الفرنسية كأستاذ تاريخ الفكر الإسلامي، وبالتحديد في جامعة السربون، ثم أستاذ زائرا في جامعة برلين من سنة 1977 إلى 1979م، وتتنقل كأستاذ زائر بين عدة جامعات عالمية، كان آخرها جامعة نيويورك بين سنة 2001م و 2003م، كما اشتغل مستشارا علميا للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونجرس في واشنطن سنة 2000م.<sup>2</sup>

وقد شغل العديد من المناصب في المجالس واللجان العلمية والسياسية الفرنسية والعالمية، وكرم أيضا من قبل العديد من الجامعات العربية والغربية، وتوفي يوم الثلاثاء 14 سبتمبر 2010م دفن بالدار البيضاء، بالمملكة المغربية، وكان الدفن بالمغرب بناء على رغبة زوجته المغربية.

هنا، وقد ترك لنا الكثير من المؤلفات والأعمال العلمية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية، وي طرح فيها إشكاليات في مجال التاريخ والفلسفة والسياسية، وعلم أصول الفقه، والفكر الإسلامي، والخطاب الديني، وعلاقة الإسلام بالغرب، وعلى العموم، فإن مؤلفاته تدور حول إشكالية كبرى وهي إشكالية دراسة الفكر الإسلامي دراسة حديثة وبمنهجيات جديدة.

وفيما يلي رصد للمؤلفات التي تركها لنا محمد أركون :

1- محمد أركون، الاسلام، الأخلاق والسياسة، ترجمة هاشم صالح، اليونسكو باريس، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، عام 1990.

<sup>1</sup> - كحيل مصطفى، المرجع السابق، ص26.

<sup>2</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص77.

- 2- محمد أركون، الإسلام ، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى واردة الهيمنة ترجمة ، هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت، ط2، عام2001.
- 3- محمد أركون ، لوي غارديه، الاسلام الأمس والغد، ترجمة على المقلد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، عام1983م.
- 4- محمد أركون، العلمنة والدين، الاسلام المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط3، عام1996م.
- 5- محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة، هاشم صالح، مركز الانتماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، عام1992 .
- 6- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة، هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، عام1993م.
- 7- محمد أركون ، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الاسلامي، ترجمة هاشم صالح دار الساقي، بيروت، ط1، عام1999م.
- 8- محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، عام1985م.
- 9- محمد أركون ، القرآن من التفسير الموروث إي تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح دار الطليعة، بيروت، ط1، عام2001م.
- 10- محمد أركون، ابن هو الفكر الاسلامي ؟ من فيصل التفرقة الى فصل المقال، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، عام1993م.
- 11- محمد أركون، تاريخية الفكر الاسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الانتماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، عام1996م.
- 12- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، او كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ترجمة ، هاشم صالح دار الطليعة، بيروت، ط2، عام2000م.

- 13- محمد أركون، معارك من أجل الأئسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة، هاشم صالح دار الساقى،/ بيروت، ط1، عام 2001م.
- 14- محمد أركون ، من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط2، عام 1993م.
- 15- محمد أركون ، نافذة على الاسلام، ترجمة، صباح الجهم، عطية للنشر والترجمة والتأليف، لبنان، ط2، عام 1997م.
- 16- محمد أركون ، نزعة الأئسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدى، ترجمة، هاشم صالح، دار الساقى، ط1، عام 1997م.
- 17- اطروحة عنمسكوية، الإنسانية العربية في القرن الرابع عشر (ط) دار الساقى، بيروت.
- 18- من منهاتن الى بغداد، بالإشتراك مع جوزيف مايلا، (ط)، نشر دار الساقى للطباعة والنشر، بيروت.

#### باللغة الفرنسية:

- 1- Mohammed ARKOUN, comment lire le coran ? In :le coran, traduit de l'arabe par ; KASIMIRSKI, GF FLAMMARIO, paris, 1970.
- 2- MOHAMMED ARKOUN , humanisme et islam , combats et propositions , librairie philosophique J. URIN, paris, 2005.
- 3- MOHAMMED ARKOUN, la pensée arabe, preses universitaires de France , 1<sup>er</sup> édition, 1975.
- 4- MOHAMMED ARKOUN, lecture du coran, maison neuve et la rose, paris, 1982.

- 5- MOHAMMED ARKOUN, l'humanisme arabe, au IV/X<sup>ème</sup> siècle MISKAWAYH, philosophe et historien, librairie philosophique J .VRIN , second édition, paris, 1982.
- 6- MOHAMMED ARKOUN, l'islam, approche critique, JACQUES CRAUDIER, paris, 3<sup>ème</sup> édition, 1982.
- 7- MOHAMMED ARKOUN, penser l'islam aujourd'hui, ANEL, l'aphomic , alger, 1993.
- 8- MOHAMMED ARKOUN, pour une critique de la raison islamique, maison neuve et la rose, paris, 1984.

## مقالات :

- 1- محمد أركون الأصول الاسلامية لحقوق الإنسان، ترجمة هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 62-63، عام 1989.
- 2- محمد أركون، ابن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، ترجمة هاشم صالح، مجلة عالم الفكر، المجلد 27، العدد 4، الكويت، 1999.
- 3- محمد أركون ، مفهوم السلطة في الفكر الاسلامي (لا حكم الا الله)، ترجمة محمد عبد النبي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد 72-73، عام 1990.
- 4- محمد أركون ، من مفهوم الإسلام الى كيف الحديث عن الإسلام اليوم، تعريب، قسم الترجمة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 56-57، عام 1988.
- 5- محمد أركون ، نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 29، عام 1979.<sup>1</sup>

أما عن المنهج الذي يتبناه محمد أركون ، فيجمع أغلب الباحثين على أنه يتميز بالتعدد وهو موقف المنهجية التداخلية المتعددة الاختصاصات، وهذه الاختصاصات متعددة ومختلفة اختلاف العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة ، فهو أي أركون يوظف كل المقاربات المنهجية الحديثة كالمقاربة الانتروبولوجية والفلسفية واللسانية.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - كيجل مصطفى، الألسنة والتأويل في فكر محمد أركون، المرجع السابق، ص 389-391.

<sup>2</sup> - مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص 27.

وهنا يشير أركون الى مقارنته المنهجية في قراءة التراث حيث يقول : "انها تهضم وتمثل في آن واحد الاحاح او البعد التولوجي للمؤمنين والالتزام الفيلولوجي للمؤرخ الايجابي المهتم بالوقائع، والمنظور التوضيحي لعالم الانثروبولوجيا والضبط النقدي للفيلسوف".<sup>1</sup>

معنى هذا أن أركون في قراءته للفكر الإسلامي ، ستعين بالعديد من العلوم والمناهج القديمة والحديثة معا، فلا يوجد لديه منهج واحد من المناهج المذكورة، يستطيع بمفرده أن يستنفذ الموضوع وذلك لكونه محدود، الحل هو التعددية والمنهجية، ولهذا، نراه يوظف في قراءته للتراث الاسلامي وفي نقده للعقل الاسلامي المنهجية التاريخية التي سمحت له بتوظيف علم النفس التاريخي الذي يدرس تاريخ الوعي وعناصره كالخيال والاسطورة، واستخدم أيضا منهجية الاسنيات التي تحمله على الاستغلال بالنصوص القديمة وبالتالي عليه أن يعرف كيف يقرأ النصوص ويفكك لغتها أسنيا.<sup>2</sup>

يضاف الى ذلك المنهجية الانثروبولوجية لتحليل الكثير من الظواهر مثل ظاهرة التقديس، وأخيرا تأتي لحظة التقييم الفلسفي، وهنا يميز بين المنهجية التراجعية والمنهجية التقدمية، فالأولى يقصد بها "أنه ينبغي ان نعود الى الماضي ليس من أجل اسقاط المجتمعات الاسلامية المعاصرة ومشاكلها على النصوص الأساسية السابقة كما يفعل علماء الدين الاصلاحيون وإنما من أجل أن نتوصل إلى الآليات التاريخية العميقة والعوامل التاريخية التي انتجت هذه النصوص وحددت لها وظائف معينة".<sup>3</sup>

أما المنهجية التقدمية، فإنها تنص "على أنه ينبغي أن لا نهمل في الوقت ذاته مسألة أن هذه النصوص القديمة لا تزال حية ناشطة في مجتمعاتنا اليوم (..) لهذا السبب ينبغي

---

<sup>1</sup> - محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة، هاشم صالح، مركز الانماء القومي (المركز الثقافي العربي)، بيروت، دار البيضاء، ط2، 1996، ص 264.

<sup>2</sup> - مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص 28-29.

<sup>3</sup> - محمد أركون ، الفكر الاسلامي ، قراءة علمية، المرجع السابق، ص 164.

علينا أن ندرس عملية التحول الطارئة على مضامين هذه النصوص ووظائفها السابقة ثم تولد مضامين ووظائف جديدة".<sup>1</sup>

منهجية أخرى يعتمدها محمد أركون هو الاهتمام بالاتجاهات المحذوفة والشخصيات المنبوذة ، لأنه لا يوجد خطاب أو منهج بريء، ولذلك فإنها تهتم بنقد الخطاب لإبراز ماهو مطموس فيه، ومعرفة كيف تمارس الأجزاء المطموسة دورها ضمن البنية العامة للفكر .<sup>2</sup>

أما عن المصادر التي استقى منها محمد أركون عناصر المناهج التي اعتمدها، فهي تعود الى الأصول الواضحة للفكر الغربي الحديث والفرنسي منه على الخصوص ، فهو لا يتردد في ذكر أسماء الفلاسفة والمؤرخين والانتروبولوجيين وعلماء الألسنيات وعلماء الاجتماع والسياسة والنفس الى غير ذلك.

من ذلك مثلا، أنه يذكر أن اتصاله بالفكر الغربي كان في بدايته الأولى عبر الاستشراق فيذكر مثلا رجيس بلاشير عليه، واستفاد منه من خلال فقه اللغة وكذا دراسته للقرآن الكريم، وأيضا اطلع على أعمال نولدكه تيوفيل في ابحاثه حول القرآن الكريم وخاصة كتابه "تاريخ القرآن" وأيضا ج. بيرتون في كتابه جمع القرآن وج. أن بربروف في كتابه دراسات قرآنية مصادر ومنهج تفسير الكتابات المقدسة، إضافة الى جاكلين شابي في كتابها : "رب القبائل -إسلام محمد" وكتاب ويليام غراهام "الكلام الالهي والكلام النبوي في الاسلام المبكر.

إلى جانب هذه المصادر الاستشراقية يميل أركون إلى المصادر التاريخية خاصة ما دشنته "مدرسة الحوليات" في فرنسا ومن أعلامها لوسيان فيقر، وجورج دوبي، وفرنان بروديل.

وفي مجال الانتروبولوجيا الثقافية اهتم بأعمال كاردينيز، ورالف لنتون وجلبير داوران، وجاك غودي، كما يشيد بأعمال هنري كوربان الذي ركز على أهمية المخيال في الفلسفة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص164.

<sup>2</sup> - مصطفى كيجل ، المرجع السابق، ص30.

العربية، ونفس الأمر بالنسبة لكتاب روني جيرارد، العنف والمقدس، ومن كلود ليفي ستروس خاصة في كتابه الفكر المتوحس والمفكر الفرنسي "هنري لوفيفر" مصطلحاً مثل القوى المركزية وقوى الهوامش أو الاطراف وفي مجال التاريخ المقارن للأديان ، فإن أركون يعود الى دراسات التي اهتمت بالنقد التاريخي للنصوص المقدسة من أمثال فرانسواز سميت فلورتان في كتابه " انتهاك الأصول الأولى، و"مارسيل غوتيه" في كتابه "خبيبة العالم"، ويوظف مفهوم "الارثوذكسية الدينية" كما حدده ج.ب.ديكونشي كما يعود الى اعمال جان بوتيرو وخاصة في كتابه "ولاده فكرة الله الواحد لأول مرة ، الكتاب المقدس والتاريخي.

وفي مجال الألسنيات، يوظف في قراءته للنصوص الإسلامية أعمال أميل بنفبينست، وقريمانس ومدرسة كونستانس وخاصة هانس ر.جوس ، ويذكر أيضا اعمال الالسنى الكندي نورثروب فراي وبول ريكور، كما أننا نجد الحضور القوي لميشال فوكو من خلال الكثير من المفاهيم والمصطلحات مثل مفهوم الأبستمي ومفهوم أركيولوجيا المعرفة أو الحفر الأركيولوجي، ومفهوم الفضاء العقلي ، كما يحظر في فكر محمد أركون عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" وتوظيفه لبعض مصطلحاته مثل الحقل أو الساحة، التمثل، ورأس المال الرمزي .<sup>1</sup>

أما بالنسبة للتراث الاسلامي فإننا نجد اركون يستدعي كبار فلاسفة التيار العقلاني الانسي (الانساني) مثل التوحيدي ومسكويه والجاحظ، ويركز على فكرة "خلق القرآن" عند المعتزلة، ومقدمة للقول بتاريخه النص القرآني بهذا نفهم أن تفسير تعدد المناهج عند أركون واعتماده المنهجية التداخلية المتعددة الاختصاصات ، بتعدد المصادر التي استقى منها مشروعها الفلسفي واختلاف الحقول المعرفية التي ينهل منها، مما يعني انه يريد أن يتوقف عند كل ما انتجته العبقرية القريبة في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية وهو ما يفسر طبيعة الحال التعدد المنهجي وذلك في سياق دراسته الفكر الاسلامي بمختلف ميادينه .

<sup>1</sup> - كيجل مصطفي، المرجع السابق، ص 30 وما بعدها (بتصرف).

هذا، وقد تبلور مشروع محمد أركون في نهاية العقد السادس من القرن الماضي حيث درس في أطروحته للدكتوراه نزعة الانسنة في الفكر العربي في القرن الخامس الهجري، وفي سنة 1973 صدر له كتاب "محاولات في الفكر الاسلامي" واشتمل على عدة دراسات حول الفكر الاسلامي الكلاسيكي، ثم كتاب "قراءات في القرآن" سنة 1982م واتضحت ملامح المشروع سنة 1984 عندما أصدر كتابه الرابع وهو "نقد العقل الاسلامي".

وبعد ذلك توالى الاعمال في الصدور لتكتمل ملامح مشروع أركون الفلسفي، ويمكن أن نقول في هذا السياق هو أن هدفه هو جعل الفكر الاسلامي يسلك نفس المسالك وينتهي الى نفس المصائر التي انتهت اليها الظاهرة الدينية عموما في أوروبا بتجلياتها المسيحية أو اليهودية، بعد الصراع الذي عرفته الظاهرة الدينية بداية من عصر الاصلاح الديني، وبالنسبة اليه فإن الثورات الدينية قد نجحت في أوروبا في تشكيل اللاهوت الليبرالي أولاهاوت التنوير كاستجابة لتحديات الحداثة، لعقلنة الإيمان المسيحي وتحريته، ولكن هذا التناول الحداثي للظاهرة الدينية لم يشمل مثال الإسلام ولقد شعر أركون أن مهمة توسيع التناول الحداثي للظاهرة الدينية لكي يشمل الإسلام يقع على كاهله ويشكل هدفا بالنسبة له، ولذلك لا يتردد في الدعوة الى تشكيل ما يسميه "لاهوت جديدا في الإسلام، وبذلك تحل مشكلة التراث الاسلامي في علاقته مع العصر والحداثة، لأن اللاهوت القروسطي الذي يقوم على نظام فكري كلاسيكي يعارض التقدم ويصطدم بالحداثة وبالتالي بلورة فكر ديني جديد يستجيب لقيم الحداثة ويتناسب مع معطيات العلم الحديث.<sup>1</sup>

وهنا نشير إلى أن أركون من خلاله مؤلفاته المتعددة يتجه إلى نقد الأسس المكونة للعقل الاسلامي واعادة تأويل مسلماته وفرضياته تأويلا جديدا، وتبعا لذلك فإن مجهود ذاته الفكرية لا يمكن فصلها عن الحركية الفكرية والفلسفية التي تعرفها الثقافة العربية بداية من عصر النهضة ساء في بعد الدراسات القرآنية أو في بعد المشاريع الفكرية التي ما فئت

<sup>1</sup> - مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص 39-40.

تتبلور بفعل التواصل مع الثقافة الفرنسية والتي تستهدف قراءة التراث قراءة جديدة تستجيب لمستجدات العصر وقيم الحداثة.<sup>1</sup>

في هذا السياق، يمكن عرض بعض من عناصر المشروع الأركوني باختصار شديد.

1- يؤكد محمد أركون أن الحضارة العربية الإسلامية، سبق لها أن النزعة الإنسانية قبل أن تعرفها أوروبا، ويعود الفضل في ظهورها إلى التفاعل الذي حصل بين التراث الإسلامي والفلسفة اليونانية من خلال نماذج الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، وأبو حيان التوحيدي، وابن مسكويه، والحافظ والمعتزلة.

وبهذا يعتقد بوجود أنسنة عربية إسلامية تقوم على الفلسفة العقلانية التي تتخذ من الإنسان محوراً لها، ويميز أركون بين ثلاثة أنواع من الأنسنة هي الأنسنة الدينية والأنسنة الأدبية، والأنسنة الفلسفية، فالأولى تنتظم في جميع الحالات بالتسليم الوثائق لله والارتباط المستمر به.

والثانية التي تنتعش في فترات الزمن الثقافي المزدهر كما حدث بالنسبة للسياق الإسلامي في القرن الثالث والرابع الهجريين، أما الثالثة فهي تركز على الإنسان من حيث هو عقل مستقل ومسؤول، غير أن أركون يريد أو يحلم بالتوصل إلى نزعة إنسانية كلية وشاملة تتجاوز حروف الأديان والطوائف والقوميات والأعراف كما يسميها النزعة الإنسانية الونية. " يقول <sup>2</sup> "... ولكن الموقف الإنساني يتمثل بانتهاك وتجاوز كل الحدود الجغرافية والطائفية والمذهبية والعرقية واللغوية الموقف الإنساني لا يعترف إلا بالإنسان.<sup>3</sup>

2- أما بشأن التأويل، فإن محمد أركون يذهب إلى ضرورة تحرير الفعالية التأويلية وفتحها على اللانهائي أي أن استراتيجيته التأويلية. لا تتطلب تأويلاً يعينه لأنه ينظره لا يوجد معنى مكتمل أو معنى مفارق وشامل، ومن هذا المنظور يصبح القرآن حسب أركون نصاً اشكالياً

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 46.

<sup>2</sup> - مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص 70 وما بعدها.

<sup>3</sup> - محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيد لي، ترجمة هاشم صالح، صالح الساقى، بيروت، ط 1، 1997م، ص

يتضمن احتمالات متعددة ويتحمل قراءات وتأويلات غير متناهية ولا يوجد تأويل يدعي حيازته على الحقيقة ولهذا نراه يصر على الدعوى الى تشكيل لهوت حديث عن الاسلام اي لهوت لبيبرالي على غرار ما حدث في المسيحية واليهودية، وأيضا ، يلح على ضرورة نزع صفة القداسة والتعالي عن القرآن والعمل على أنسنتة أي نقله من محور المتكلم (الله) الى محور المتلقي (الانسان) ، فالوحي عنده هو عبارة عن خطاب لغوي مجازي، وبالتالي يريد ان تفرض القراءة النقدية نفسها على النصوص المقدسية في الإسلام ، كما طبقت على المسيحية واليهودية من قبل .<sup>1</sup>

اما عن العلمانية فإنه يميز بين العلمانية والعلمانية، أي، العلمانية المناضلة والمتطرفة، والعلمانية المنفتحة ، ويريد ان يجاوز النظر الى العلمية على أنها فقط الفصل بين الكنيسة والدولة، فهي أكبر وأعمق من التقسيم الثنائي للكفاءات الذي المتعددة في المجتمع، وبالتالي ما ينقص العلمانية هو نظرية في التقديس (للاشارة فقد انتقد المدرسة العلمانية في فرنسا، كما انتقد أيضا تجربة كمال أتاتورك (العلمانية في تركيا).

وعليه نفهم من كل هذا أن محمد أركون صاحب مشروع فكري يرى ضرورة الانفتاح على الفكر الغربي والمعرفة النقدية المعاصرة ، وهو الأمر الذي أدى إلى الكثير من الانتقادات بشأن تفاصيل هذا المشروع، نشير في البداية أنه أصبح بكل جدارة مدرسة فكرية لكثير من الباحثين العرب.

ثم أن خطورة مشروعه وجذريته مقارنة بغيره من المشاريع الحداثية الأخرى تتمثل في تجاوز نقده من مجرد نقد الأنظمة المعرفية التي تجلت في التراث الاسلامي كما هو مشروع محمد عابد الجابري الى نقد الوحي ذاته او ما يسميه (النص المؤسس) ،فهو يصرح على وجوب اخضاع النصوص التأسيسية (القرآن والسنة) للمناهج والأدوات النقدية التي تم تطبيقها على نصوص الكتاب المقدس في اوروبا، ولهذا نلمس لغة جريئة وغير معهودة في المشاريع النقدية السابقة.

<sup>1</sup> - مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص 379 وما بعدها.

ومن هنا تبدو لنا أن علاقة أركون بالفكر الغربي علاقة وطيدة جدا فهو يشكل المرجعية الاساسية لمشروعه الفكري، غير أن الكثير من الباحثين والدارسين لفكرة يؤكدون أنه يتوجه بالعديد من الملاحظات والتدخلات النقدية إلى هذا الفكر الغربي، فهو ناقد للاستشراق أو المعرفة الغربية حول الاسلام.

وأیضا، مما تم انتقاده، نلاحظ على سبيل المثال أن مشروعه يطغى عليه جانب التنظير على التطبيق وطابع الأشكلة على الحلول، وقد أقر هو نفسه بصعوبة تطبيق ما ينظر له .

وهكذا فإن مجموع الانتقادات التي توجه للمشروع الفكري الاركوني لا يعني البتة الانتقاص من قيمته وأهميته ، فهو يمثل اسهاما مهما في تنشيط وتحديد الفكر الاسلامي ، وسعيا لربطه بمعطيات الحداثة الفكرية العالمية، وعليه يمكن أن تلخص الى القول أنه ينبغي أن ننظر الى مشروعه هذا، كبرنامج عمل أو اقتراح عمل غير مكتمل، وهو بحاجة الى التعديل والاثراء والنقد الموضوعي في حوار حضاري شامل .

## ثامنا: أبو عمران الشيخ (1924م - 2016م)

يوصف بأنه العالم الموسوعي والفيلسوف والمؤرخ للفكر والحضارة الإسلامية، وقد ولد سنة 1924م بقرية مكثر، التي تبعد 7كم عن مدينة البيض، والده أحمد بن أحمد بن الماحي من قبيلة الشنايف نسبة للجد سيدي علي بوشنافة وهم من الشرفاء المنحدرين من مولاي إدريس، ويعترف لهم سكان البيض بنسبهم الشريف، خاصة وأن شجرة سيدي علي بوشنافة تصل إلى سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه، وسمي بإسم عمه كما جرت العادة أن يطلق على الأبناء إسم الأجداد والأعمام.

وترعرع الشيخ في أسرة ليست ميسورة ولكن لها الحد الأدنى الضروري للعيش، ونشأ وسط الأسرة الكبيرة، وبلوغه سن القراءة، أصبح يتردد على الكتاتيب لحفظ القرآن بالطريقة التقليدية، ثم ذهب إلى عمه ليتعلم اللغة العربية إضافة إلى حفظ القرآن غير أنه تأخر في التسجيل في المدرسة حتى بلوغه سن الحادية عشر، وهنا توجه الشيخ إلى سي ناصر أستاذ بمدينة الأغواط حيث كان معجبا به لسعة ثقافته العربية وسجل في المدرسة الابتدائية رغم سنه المتقدمة سنة 1934م وبدأ منشوره الدراسي وهو أكبر سنا من رفاقه إلا أنه نجح وتحصل على شهادة نهاية الدراسات الابتدائية، وواصل دراسته بالمدرسة التكميلية إلى أن حصل على شهادة الأهلية سنة 1941م ثم إنتقل إلى مدينة وهران ودرس في ثانوية لاموربيسار من 1941م إلى 1944م وحصل على شهادة البكالوريا شعبة الآداب سنة 1944م، ثم تقدم إلى مسابقة مدرسة المعلمين ببوزريعة وفي الفترة نفسها سجل في الجامعة لنيل شهادة ليسانس فلسفة، ثم ليسانس لغة وأدب عربي وتخرج من مدرسة بوزريعة سنة 1946م ثم شرع في نفس السنة في الدراسة الجامعية حيث حصل على ليسانس فلسفة سنة 1948م و اللغة والأدب العربي سنة 1954م، وفي سنة 1956م، إنتقل إلى باريس لتحضير شهادة الدراسات المعمقة بجامعة السربون لكنه لم يتمكن من المناقشة، لكنه إنتقل بعد ذلك إلى المدرسة العليا للأساتذة في نواحي باريس وفي سنة 1974 ناقش رسالة الدكتوراه في الفلسفة بجامعة السوربون .

وعن الشخصيات التي أثرت في الشيخ أبو عمران فهي كثيرة سواء من الأسرة أو من الشخصيات المحلية أو الوطنية أو العلماء والفلاسفة المسلمين وغيرهم، ومن بينهم الوالدان بحكم الجو العائلي وكذا عمه الطالب الشيخ الذي قضى معه أربع سنوات إلى جانب أستاذه سي الناصر الأستاذ الثانوي في مدرسة الأغواط، أما الشخصيات المحلية فأبرزها سي القدور بن النعيمي معلم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، أما عن الشخصيات الوطنية فكان الأمير عبد القادر الجزائري الذي بلغت قصة مقاومته الإحتلال الفرنسي منطقة البيض، والشيخ بوعمامة الذي قاد ثورة ضد الفرنسيين الأكثر من ربع قرن، وكذا الشاعر محمد بلخير رفيق بوعمامة في المقاومة، كما تأثر الشيخ أبو عمران بالشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي زار مدينة البيض سنة 1934 وعمره لا يتجاوز 10 سنوات إلى جانب مصالي الحاج الذي حظ الرحال بالبيض سنة 1946 وهنا، بدأت فكرة الإستقلال تراود الشيخ والعديد من شباب البيض، أما أبرز المفكرين العرب والمسلمين، الذين تأثر بهم الفيلسوف ابن رشد الذي تأثر بفكره التوفيق بين الوحي والعقل، كما تأثر برواد النهضة العربية من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان إلى جانب الأستاذ مالك بن نبي وقد وجد في بعض مفاهيمه صدى قويا لديه، وكان له الحظ في التعرف عليه عندما أصبح أستاذا جامعيا وأصبحا صديقين، كما أنه تأثر ببعض المفكرين الأوروبيين.

أما عن مسيرته المهنية، فقد مارس التدريس لمدة السنة في البيض وهنا تزوج سنة 1946م، غير أنه لم يلبث أن واصل الدراسة الجامعية وحصل على منصب للتدريس بمدينة مليانة، وفي سنة 1952م عين بالجزائر للتعليم، ثم مارس التفتيش بمدينة مستغانم وهران إلى غاية بداية 1962م، وبعد الإستقلال عين مديرا للتربية بمدينة الأصنام(الشلف) ثم التحق بديوان وزير التربية، ثم أمينا عاما للجنة الوطنية لليونسكو (1963م - 1964م) ، ثم إسندت له مهمة لدى وزارة التربية التونسية لمدة سنة كاملة، غير أنه بعد ذلك، ترك الإدارة وأصبح يدرس الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر إلى غاية 2001م، وخلال هذه الفترة التي دامت 37 سنة، تخرج على يديه مئات الطلبة وأشرف على عشرات بحوث الماجستير والدكتوراه ، كما ترأس عشرات اللجان الخاصة بالمناقشة، وعن

مسيرته النضالية ،أسس الشيخ بوعمران في الأربعينات من القرن الماضي فرع البيض للكشافة الإسلامية ، وعندما إستقر بالعاصمة سنة 1950م ، أصبح قائدا وطنيا للكشافة مكلفا بالجولة ثم أصبح محرر مجلة الكشافة وكان يكتب افتتاحياتها ، و فور إندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 م ، أمر تنظيم الثورة الكشافة الإسلامية بحل نفسها والانضمام إلى الثورة ، وبعد الإستقلال إنتخب الشيخ أبو عمران أمينا عاما لفيدرالية عمال التربية والثقافة (1968-1975) ثم رئيسا لإتحاد الكتاب الجزائريين (1995 - 1996) ثم رئيسا للمجلس العلمي لمؤسسة الأمير عبد القادر (1996 - 1999) ونائبا لرئيسها (1999-2002). ويرجع الفضل إليه في تعريب معهد الفلسفة سنة 1960 م مع الدكتور عبد المجيد مزيان، وقد تصادما بشدة مع التيار الفراكفوني الذي بذل كل ما في وسعه لابعاد اللغة العربية عن المعهد.

وقد تقلد الشيخ بوعمران عدة مناصب حيث عين مستشارا وطنيا للثقافة (1990 - 1991) ثم وزير للثقافة والإتصال سنة 1991م، ثم رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى خلفا للمرحوم عبد المجيد أمزيان منذ 2001 م لغاية وفاته سنة 2016 م.<sup>1</sup> أما عن مؤلفاته، فهي متميزة، تعير عن صرامة المنهج ودقة الفكرة ووضوح الغاية، إلا أن معظمها غير متاح في المكتبات الجزائرية، وبعضها لم يترجم بعد إلى اللغة العربية وقبل عرضها ، نشير إلى أنه ساهم في العديد من الأعمال الفكرية والثقافية في الجزائر وخارجها ، وشارك في العديد من الملتقيات كملتقيات الفكر الإسلامي وجمعيات اليونيسكو وملتقيات المعلمين ، و الأدباء العرب و الإتحاد الإفريقي و أوروبا و غيرها ، كما شارك في العديد من البرامج الثقافية في الإذاعة و التلفزيون بالجزائر. و يمكن حصر مؤلفاته على النحو التالي:

---

<sup>1</sup> -مصدر البحث، مقالة بعنوان موسوعة جزائرية خالدة، من جريدة الخبر(24 جوان 2016) إعداد عبد الحكيم قماز لا توجد لحد الآن مراجع موثقة عن السيرة الذاتية والعلمية للشيخ أبو عمران.

- 1 - مشكلة الحرية الإنسانية، منشورات فران- باريس 1978 م و قد نال جائزة الأكاديمية العلمية أو ترمار باريس 1981 م ، وقد ترجم الى اللغة العربية عن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق 2012 م ، وقد قامت بترجمته إلى اللغة العربية رنده بعث.
  - 2 - ابن رشد فصل المقال فيها بين الشريعة و الحكمة من إتصال المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ( 1978 م ) و قد حققه و قدم له بمشاركة الأستاذ جلول بدوي.
  - 3 - الفكر الإسلامي نظرة شاملة مع لويس غاردي ، منشورات سندباد باريس ( 1984 )
  - 4 - الموسوعة الفلسفية - منشورات الجامعة الفرنسية - باريس ( 1989 ) مقالات.
  - 5 - معجم مشاهير المغاربة ( عمل جماعي ) منشورات جامعة الجزائر ( 1995 )
  - 6 - الحكيم و العصا لتوفيق الحكيم، ترجمة إلى الفرنسية مع الأستاذ جيجلي ( تحت الطبع).
  - 7 - الأمير عبد القادر، المقاوم و الإنساني - منشورات حمودة - الجزائر - 2001.
  - 8 - الجزائر المستعمرة عبر النصوص مع الأستاذ جيجلي ( تحت الطبع).
  - 9 - وله أيضا قضايا في التاريخ و الثقافة تحت الطبع وغيرها.
- نستنتج من كل ما سبق ، أن الدكتور أبو عمران الشيخ شخصية متميزة في تاريخ الفكر الجزائري ساهم في نهضته و إثراء عناصره، و حرص دوما على الاجتهاد و العمل بروح من التفتح و الوعي و المسؤولية و هو بذلك قطب فكري و ثقافي و معلم لا يندثر و له بذلك مكانة سامية في المشهد الثقافي الوطني على الرغم من محاولات التجاهل و النسيان.

## تاسعا : مصطفى الأشرف

يعد مصطفى الأشرف من أبرز المثقفين الجزائريين، فهو المناضل الثوري و المثقف و الصحفي و المؤرخ الاجتماعي ، و آثاره و أعماله لا يمكن لأي كان تجاهلها أو إهمالها ، و لقد ذاع صيته أكثر بسبب مواقفه المعارضة للتعريب خلال السبعينيات من القرن الماضي، خاصة بعد اسناده وزارة التربية الوطنية هذا من جهة ، و من جهة ثانية ، تأليفه لكتاب : الجزائر أمة و مجتمع الذي أثار جدلا واسعا بين الأوساط السياسية و الثقافية آنذاك.

هذا ، و ينحدر مصطفى الأشرف من عرش العنائرة فرقة أولاد بوزيان بدوار الكرمة بلدية شلالة العداورة (maginot) ، و قد ولد في 7 مارس 1917 في هذه المدينة التابعة لولاية المدية و درس في جامعة السريون في باريس و بعد التخرج عاد ليعمل في مستغانم وانضم الى حزب الشعب الجزائري عام 1939م و كانت له مشاركات واسعة متميزة في الصحافة النضالية مكنته من التنقيب عن العديد من الأصول التاريخية الجزائرية و من تكوين رؤية نظالية مرتبطة أشد الارتباط بنضال الشعب الجزائري عامة ، و قد التحق بالثورة الجزائرية مبكرا، و قد ألقى عليه القبض في حادث القرصنة الشهيرة إلى جانب أربعة قياديين آخرين ( بن بلة- آيت أحمد - بوضياف خيضر) ليقضي عدة سنوات في السجن و ذلك سنة 1956 م .

و لقد كان عضوا في المجلس الوطني للثورة ، و من المشاركين في صياغة " برنامج طرابلس " الذي أسس بوضوح الأسس التي تقوم عليها الدولة الجزائرية أي طابعها الديمقراطي الشعبي، و بعد الإستقلال شغل مناصب عدة من بينها مستشار لدى الرئيس هواري بومدين حيث شارك في صياغة الميثاق الوطني و عين بعد ذلك وزيرا للتربية الوطنية ، ثم سفير لبلاده في أمريكا اللاتينية ، و لم يتوقف خلالها عن الكتابة التحليلية التاريخية الجادة حتى وافته المنية سنة 2007م على أنه بعد الإنفتاح السياسي، ساهم في تأسيس حزب التحالف الوطني الجمهوري إلى جانب رفيق نضاله رضا مالك ، و عليه فقد ظل

شخصية بارزة في المجالين السياسي و الثقافي ، وساهم في صياغة الإختيارات السياسية الكبرى للدولة الجزائرية، إلا أنه قبل سنوات من وفاته، كان بعيدا عن الأضواء و التجاذبات السياسية المختلفة ، الأمر الذي جعله يحظى بإحترام الكثير من الأطراف السياسية في الجزائر.

أما عن مؤلفاته ، فلقد شغلت بمختلف أشكالها حيزا هاما في حياة مصطفى الأشرف و كان انتاجه جد زاخر و ثري و ذات مواضيع مختلفة.

1- Petits poèmes d'Alger ، و هي مجموعة شعرية نشرها سنة 1997م.

2- chansons de jeunes filles arabes ، نشره سنة 1953 م.

3- colonialisme et féodalités , indigènes en Algérie ، نشره سنة 1954م.

و هذا الكتاب يعد طرحا و محاولة لشرح العناصر المشكلة للمجتمع الجزائري.

4 - الباب الأخير : مسرحية كتبها باللغة الفرنسية ، نشرت الطبعة بترجمتها العربية في مجلة الفكر التونسية سنة 1955م.

5 - الجزائر أمة و مجتمع ط 1 نشره باللغة الفرنسية سنة 1965م و الطبعة الثانية سنة 1988 م مترجمة إلى العربية من طرف عيسى حنفي.

6 - التاريخ ، الثقافة و المجتمع ( ط ) سنة 1981 م.

7 - Algérie et tiers monde ، ( ط ) سنة 1982 م.

8 - littérature de combat , essais d'introduction ، ( ط ) 1991 م.

9 - des noms et des lieux , mémoire d'une Algérie (ط)، دار القصة للنشر ، سنة 1998 م و ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان "أعلام معالم ، مآثر عن

جزائر منسية " من طرف أحمد بن محمد بكلي ، سنة 2007 م.

10 - آخر ما نشر لمصطفى الأشرف كان عام 2005م تحت عنوان les ruptures et l'oubli ، القطيعة و النسيان ، و كان عبارة عن دراسة تحليلية للإيديولوجيات التخلفية و

الرجعية في الجزائر و ذلك خلال العشرية السوداء و تصاعد العنف.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - محمد بسكر ، المرجع السابق ، ص380 ، إضافة الى موقع الكتروني.

هذا ، و يعد كتاب " الجزائر أمة و مجتمع" من أبرز و أهم ما ألفه مصطفى الأشرف ، و عليه يمكن أن نتطرق إلى أهم المحاور التي تناولها المؤلف في هذا الكتاب ، حيث كان له تأثير كبير لدى طلبة سنوات 60 و 70 من القرن الماضي ، و تمكنوا من معرفة تاريخ المجتمع الجزائري و سيكولوجيته ، و به تزودوا بأدوات التحليل النقدي ، و في هذا الكتاب التزام من الأشرف بضرورة استعادة الهوية الجزائرية أبعادها الحقيقية، على الرغم أنه يعد المثقف المتمذهب و الصارم في مواقفه الفكرية و التي خاض في العديد من المرات سجلات ضد مثقفين آخرين حول مواضيع الثقافة و اللغة و الفنون الشعبية و ما إلى ذلك.

و على العموم، فان مصطفى الأشرف يشير الى ميلاد الأمة الجزائرية الحديثة تحت تأثير الصدمة الاستعمارية، هذه الصدمة جعلت القومية الجزائرية تبرز الى السطح ، إلا أن الاستعمار كان له رأي آخر يتمثل في نفي وجود كيان جزائري بالمعنى القومي و السياسي مما جعله يضيف على حركات المقاومة دينيا محضا على خلفية أن هؤلاء لا يدركون البعد السياسي و الإجتماعي للصراع ، إنما هم متعصبون لدينهم و عقائدهم الإسلامية.<sup>1</sup>

يقول في هذا السياق : " فهؤلاء المؤرخين يرون بأن الشعور الديني أو التعصب الإسلامي حسب زعمهم هو وحده الذي جعل الشعب الجزائري يلتفت للدفاع عن قضية تعتبر روحية أكثر مما تعتبر قومية"<sup>2</sup>.

هذا يعني ان إيجاد حل للمسألة الدينية هو الحل الوحيد لضمان ثقة "أهالي الجزائريين" و تخليهم عن الإنخراط في المقاومة.

ويرفض مصطفى الأشرف هذا التصور المغرض الذي كونه المستعمرون و يقول أنه " ما من شك أن العاطفة الدينية قامت في بداية الأمر بدور هام... غير أنها لم تكن هي وحدها التي دفعت الشعب إلى الكفاح"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - رباني الحاج ، مصطفى الأشرف و اشكالية الهوية الجزائرية على ضوء جدلية الأمة و المجتمع ، مجلة أفاق فكرية ، جامعة معسكر ، الجزائر ، المجلد الرابع ، العدد الثامن ، مارس 2018 م، ص82.

<sup>2</sup> - مصطفى الأشرف ، الجزائر ، الأمة و المجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1، 1983م ، ص46-47.

و لهذا يصّر في مقدمة هذا الكتاب أن يعلن أن الدافع إلى كتابة و دراسة الكيان الجزائري عامة نابع من حس نقدي تاريخي و اجتماعي يرفع الستار عن بعض القراءات المغرضة لتاريخ المجتمع الجزائري من طرف المعمرين.<sup>2</sup>

و يؤكد من ناحية أخرى أنه كان يوجد وعي سياسي و كان الجزائريون غير غافلين عما يجري في أوروبا ، و على تيارات الفكر المعاصر، و على الأحداث الدولية الجارية في بلدان الحوض الأبيض المتوسط و في أقطار المشرق ، و بالتالي لم يكونوا متعصبين و منغلقيين على عقيدتهم الدينية.

فالأمر إذن لا يتعلق بتعصب ديني و لا بفقدان تام لأي حس قومي أو وعي سياسي، هناك عوامل مختلفة ساهمت في إرساء هوية كيان جزائري مستقل بذاته ، و ذلك لأن الجزائريين قبل الإحتلال بالرغم من أنهم كانوا منضوين تحت راية الدولة الحاكمة كغيرهم من الرعايا المسلمين ، إلا أنهم لم يترددوا في التمرد ضد العهد القائم ، و كانوا دائما يتعثرون بالحاجة للقيام بثورة سياسية ، و كانوا يشعرون في علاقاتهم مع الأتراك بين الشريعة و الإخاء في الدين من جهة ، و بين المتطلبات القومية و السياسية من جهة أخرى.<sup>3</sup>

لهذا يستخلص هذا المفكر أن الجزائريين لم يقفوا ضد الإستعمار مدفوعين بالعوامل الدينية ، إنما كذلك من منطلق قومي وطني دفاعا عن أعراضهم و أملاكهم و حرياتهم. و بذلك يؤمن بأن القومية الجزائرية تقوم مساسا على الإنفتاح و الوعي السياسي و رفض العنصرية و التعصب الديني. يقول أن هذه الدراسة هي : " شرح لموقف القومية الجزائرية من مشكلة العنصرية و هو موقف الإدانة لما فيها من رجعية و نزعة عدوانية و إحتقار الإنسان، و فيها أيضا شرح لمواقف الحركة من الدين الذي يقوم بدور ثانوي " لان المواجهة كما كانت في الماضي بين المسلم و المسيحي، بل أصبحت بين المستعمر

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص47.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص05.

<sup>3</sup> - مصطفى أشرف، المرجع السابق ، ص 49 - 50.

و المستعمر ، و لأن الجزائري يميز تمييزا واضحا بين الشعور القومي و الشعور الديني ، بمعنى أنه قبل كل شيء جزائري ، أي ابن الأمة الجزائرية ، و أن جزائريته هذه ليست منبثقة من الدين و لا مشتقة من العنصرية"<sup>1</sup>.

أكثر من ذلك ، يصّر الأشرف على أن الإلتزام السياسي و النضال في صفوف الأحزاب القومية المتواجدة قبيل الحرب العالمية الثانية هما من العوامل التي طرأت على الوضعية الفكرية التي لم تكن تخلو رغم ضابئيتها من شيء من الجرأة و قد نجم عن ذلك أن المعالم الرئيسية للثقافة العامة أخذت تتضح و تغبر تدريجيا عن الحقائق الإجتماعية و تتخلص من بعض القيم البالية،<sup>2</sup> و هكذا فالحركة القومية استطاعت أن تصنع هذه الثقافة السياسية و إكتسبت طابعا جزائريا صرفا ، و قد اتخذت الفرنسية كلسان للتعبير في أغلب الأحيان ، أما بالنسبة إلى العربية فغنما تخضعت في التعبير عن الفكر الديني المناضل المتأثر بالحركة الإصلاحية.<sup>3</sup>

و في هذا الكتاب أيضا يقوم مصطفى الأشرف بالحديث عن هذه الازدواجية اللغوية التي تقوم على الفصل بين لغة الدنيا و لغة الآخرة و التي رأى البعض فيها تفضيلا مقصودا للغة الفرنسية على العربية ، يراها هو غير موضوعية لأن الجزائري لم يتخلى عن العربية ، لأن لم يكن يملكها أصلا بفعل الظروف الإستعمارية التي منعتة من تعلمها ، بل أنه يضيف و يقول أن الجزائريين لم يكفوا أبدا عن استعمال لغاتهم الدارجة ، غير أن بعض أصحاب الثقافة العربية من الجزائريين المغتربين في المشرق عملوا على إيهام رجال الفكر في تلك البلدان الشقيقة بأن الإستعمار الفرنسي أفقد الجزائر كل شيء

و حرمها من استعمال لغاتهم الدارجة ، أكثر من ذلك ، يؤكد الأشرف أن هؤلاء نفوا كل أصله لغوية أو هوية لغوية عن واقع المجتمع الجزائري حتى أنه يصرح من أن الواحد منهم لا يكاد فيتعلم الفصحى و ماضيها، حتى تجده بسبب بعده عن الواقع و قلة ذوقه ، يحتقر

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص 257 - 258.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 422.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 423.

العربية الدارجة لدى الشعب ، و قد نسي هؤلاء بأن أعضاء مجمع اللغة العربية أنفسهم و رجال الثقافة في مصر ، يتحدثون خارج عملهم ، بل و حتى في مؤتمراتهم بالدارجة من غير تصنع و لا حرج.<sup>1</sup>

و هكذا يؤكد الاشراف على ضرورة الانفتاح على حركة المجتمع بدل الوقوف عند حدود التصور الطوباوي للأمة ذات الهوية الكاملة لهذا " لا يجوز انتقاص اللغة الدارجة شأنها بالموازنة بينها و بين الفصحى ، كما لا يجوز أن تعتبرها لغة صالحة للتدريس و التعليم ، و بالتالي العلاقة بينهما، ليست علاقة صراع ، إنما لكل لغة مجالها الخاص بها ، أما الفرنسية فهي من باب الضرورة التي أملتها الظروف التاريخية ووسيلة للتعبير عن الافكار و الثقافات الاخرى.<sup>2</sup>

و مع ذلك " فهي لا زالت تتراوح في مكانتها بين اعتبارها لغة ثانوية و بين اعتبارها لغة اجنبية ذات امتياز خاص و هي تتراوح بين الرفض الرسمي لها و بين الاستخدام اليومي و العملي لها"<sup>3</sup>.

و هكذا فان حركية المجتمع في نظره تختلف عن طوباوية الأمة ، فالتنظيم الايديولوجي شيء و القبض على طبيعة المجتمع من خلال رصد كل العوامل المتفاعلة و المؤثرة فيه شيء آخر، و عليه فان الكثير من الاشكالات التي أشار إليها لا زالت تلقي بظلالها على المجتمع الجزائري الى اليوم.<sup>4</sup>

نستنتج من كل ما سبق ان المحاور التي تطرقنا إليها من خلال فكر مصطفى الاشراف ، قد أثارت جدلا كبيرا بين المثقفين و السياسيين و المؤرخين ينطوي على سياق ايديولوجي بعيدا عن الطرح الموضوعي ، العلمي الذي يستهدف قراءة حاسمة تنتهي هذا الصراع الواقع حول مسألة الهوية في الجزائر، و عليه فان المواقف بشأن هذا الموضوع ، ينبغي أن تركز على الروح النقدية ، و العقلانية ، و احترام حق الاخرين في التعبير الحر عن الآراء.

---

<sup>1</sup> - مصطفى الأشراف ، المرجع السابق ، ص 430 - 431.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 432.

<sup>3</sup> - رباني الحاج ، مصطفى الأشراف و اشكالية الهوية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 88.

<sup>4</sup> - المجرع نفسه ، ص 88.

## عاشرا: كريبع النبهاني ( 1918 م - 2005 م )

كريبع النبهاني مفكر جزائري معاصر إمتزج لديه الفن بالفلسفة، كان أستاذ الفلسفة في جامعة الجزائر، ولد سنة 1918م بأولاد جلال بولاية بسكرة، حيث تلقى تعليمه الإبتدائي لينتقل إلى العاصمة التي قضى فيها ثماني سنوات في ثانوية BuGEAUD ، ثم إنتقل إلى فرنسا وهناك درس بثانوية لويس الأكبر بباريس louis le grand حيث تحصل على البكالوريا و بعدها نال ليسانس فلسفة من جامعة الجزائر، وفي 1967م نال شهادة الدكتوراه عن موضوع الخير و الشر في القرآن le bien et le mal dans le coran ، و لقد كان تلميذا للفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار ، و في الثمانينات من القرن الماضي أحيل إلى التقاعد لتنتابه المنية في عام 2005 م<sup>1</sup>.

و ذلك بعد أن أفنى عمره في التأليف وتقديم المحاضرات للطلبة و الإشراف على الرسائل الجامعية و مناقشتها ، فأكسب بذلك حب الجميع و احترامهم لشخصيته الفكرية المتميزة.

في هذا السياق يتحدث أستاذ نظرية الأدب الفرنسي المعاصر و اللغوي عبد الله مرداسي من جامعة منتوري بقسنطينة في كتابه كتاب جزائريين باللغة الفرنسية في الفترة الإستعمارية auteurs algériens de langue française de la période coloniale

أن كريبع النبهاني ينتمي إلى عائلة مالكي الأراضي ببسكرة، و كانت تمارس تجارة التمور في كل من ولايتي قسنطينة و الجزائر العاصمة ، وقد شجعه والده على الدراسة الإبتدائية في مسقط رأسه ثم في الثانوية بالجزائر العاصمة وباريس أملا أن يصبح محافظا محترما في سوق التمور، غير أنه سجل في فرع الفلسفة في جامعة الجزائر، و لم يمنعه ذلك من متابعة

---

<sup>1</sup> - جميلة حنيفي ، كريبع النبهاني ، و البحث عن الانسان المسلم، مجلة دراسات فلسفية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 02 ، العدد 11 ، جوان 2015 م ، ص156.

الرحلات و المهمات التجارية الخاصة بسوق التمور في قسنطينة ، لكن في الأخير فضل معاودة دروسه تاركا تجارة التمور و قد خيب أمل أبيه.<sup>1</sup>

هذا ، ولقد أقبل الدكتور كريع النبهاني على دراسة كل الثقافات غربية و شرقية على حد سواء، و تأثر بشخصية ولده الذي يوصف بأنه تقي وملتسلط ، فتعلم منه التحكم في غرائزه و في غضبه و في ماله أيضا ، وتأثر بشخصية عمه الذي كان محبا للحياة متحررا ديمقراطيا غير راضي عن الطريقة الإمتثالية الدينية الممارسة من قبل أبيه و قد شجعه على الدخول إلى المدرسة الأوروبية ودفعه اليها رغم معارضة والده الذي كان يخشى أن تتغير طباعه و يبتعد عن العادات و التقاليد التي ربي عليها.<sup>2</sup>

هذا ، و لقد تناول الأستاذ و الفيلسوف النبهاني الكثير من الإشكاليات التي كانت تثار في الأوساط الثقافية خاصة في العالم العربي و الإسلامي ، و لعل أبرزها مشكلة التخلف ، الإجتهد ، دور الدين في المجتمع، التربية، وضع المرأة ، السياسة ، دور المثقف و غيرها ، و قد تميزت مرجعيته الفلسفية بالسعي دوما إلى تجاوز حدود الخصوصية إلى تبني الرؤى الكونية (الانسانية) في فضائها الرحب،<sup>3</sup> ولعل مجمل مؤلفاته ما بين أدب و فلسفة و غيرها، تعطينا فكرة أساسية عن حسه النقدي و صرامته المنهجية وتطلعه إلى مستقبل أجمل يتم فيه بناء الانسان المسلم حتى يبرز في التاريخ مجددا.

هذا ، و يمكن رصد مؤلفاته مرتبة حسب تاريخ صدورها:

1935: poèmes d'un en fant أشعار طفل

1953 : حكماء بستان النخيل الأربع les quatres sages de la palmeraie

و قد نال عنه جائزة المثقفين الفرنسيين.

1954: ديوان شعر عنوانه أنشودة العربي الحزينة complaints se l'arabe و نال عنه جائزة الأكاديمية الفرنسية.

---

<sup>1</sup> - Abdellah mendaci , auteurs algériens de langue française de la période coloniale , in : books , Google , p163.

<sup>2</sup> - جميلة حنفي ، المرجع السابق ، ص159.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص156.

- 1955 : Des africains s'interrogent : 1955 أفارقة يتساءلون.
- 1962 : prométhée, mage de l'humanité future : 1962 بروميثيوس ساحر إنسانية المستقبل.
- 1964 : essai d'une détermination esthétique de l'humain : 1964 مقال في التحديد الاستيتيقي للإنسان.
- 1967 : le bien et le mal dans le coran : 1967 الخير و الشر في القرآن.
- 1979 : défense du prophète (réphique à la tragédie de voltaire) : 1979 دفاع عن محمد ( رد على تراجيديا محمد لفولتير).
- 1980 : les philosophes de l'islam : 1980 فلاسفة الاسلام.
- 1983 : initiation à la philosophie : 1983 مدخل إلى الفلسفة.
- 1984 : restauration des sciences religieuses d'al-ghazali : 1984 إحياء علوم الدين للغزالي.
- 1988 : Omar khayami messenger de l'Iran universel : 1988 عمر الخيام رسول إيران الكوني.
- 1989 : humain universel anthropologie esthétique : 1989 الانسان الكوني انتروبولوجيا استيتيقية.
- 1991 : les kharidjite démocrates de l'islam : 1991 ديمقراطيو الاسلام.
- 1994 : les summites ou l'islam légalisé : 1994 السنين أو الإسلام الشرعي.
- 1995 : philosophes de l'humanité ( Grèce , Rome , inde...) : 1995 فلاسفة الإنسانية ( اليونان ، الرومان ، الهند...)
- 2001 : l'homme en islam , historicité et ouverture : 2001 الإنسان في الاسلام تاريخية و تفتح.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جميلة حنفي، المرجع، ص 157-158.

إضافة إلى اسهاماته المختلفة في دوريات و مجلات وطنية و دولية ، مثل كراسات شارل دو فوكو، و المغربية مثل الاستقلال و الرافد.

و على العموم فإن الأستاذ كريع النبهاني واحد من أبرز من ساهم في تأسيس الوعي الفلسفي في الجزائر لكن ضمن حدود ضيقة ، بسبب عدم ترجمة أعماله الى اللغة العربية و بقيت حبيسة أقلية من النخب الجامعية من جهة، و عدم الاختفاء به و تكريم فكره في ملتقيات وطنية أو دولية من جهة أخرى.

و هو الأمر الذي أدى الى جهل الطلبة والباحثين عموما بحقيقة الأفكار التي طرحها في ميدان الفن و الأدب و الفلسفة.

## الحادي عشر: عبد المجيد مزيان ( 1926 م - 2001 م )

يعد عبد المجيد مزيان أحد أبرز المفكرين الجزائريين المعاصرين الذين عرفوا بالاهتمام الكبير بالعلوم الإسلامية و تجديد الفكر الخلدوني و حوار الحضارات.

و الدكتور مزيان من مواليد مارس 1926 م من عائلة عريقة بتلمسان حيث ترعرع و حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره و تعلم مبادئ اللغة العربية بدار الحديث و دروس اللغة الفرنسية بالمدارس العمومية، و بعد سنة 1946 م إنتقل الى مدينة الرباط بالمغرب لمواصلة الدراسة في الجامعة و تخصص في الفلسفة ، و مع اندلاع الثورة التحريرية المجيدة التحق بصفوف النضال و الكفاح حيث كان يعرف باسمه الثوري صالح الدين ، وعينته قيادة الاتصالات العامة آنذاك ( النواة الاولى للمخابرات الجزائرية ) للعمل في اذاعة الجزائر التي كانت تبث في تونس.

و بعد الاستقلال تقلد عدة مناصب في الدولة حيث عمل مدير ديوان الرئيس الأسبق أحمد بن بلة بالتوازي مع شغله منصب الأمين العام لوزارة الداخلية، قبل أن يتحول إلى جامعة وهران للتدريس في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين ، و نصب عام 1981 م عميدا للجامعة الجزائر قبل أن يعينه الرئيس الشاذلي بن جديد وزيرا للثقافة و السياحة ، و اختاره الرئيس اليمين زروال لرئاسة المجلس الإسلامي الأعلى الذي بقي فيه إلى أن وافته المنية رحمه الله يوم 15 جانفي 2001 م و يعتبر الدكتور مزيان من أبرز علماء العالم العربي الذي عملوا من أجل ترقية حوار الحضارات ، و كان يدير ندوات للتعريف بالإسلام بمعهد الدراسات العربية العليا التابع للفتاوي ، إضافة إلى تقديمه حصصا عن الإسلام على القناة الفرنسية الثانية ، و عرف باهتمامه الكبير و بتجديد الفكر الخلدوني ، و له أطروحة ضخمة حول الفكر الإقتصادي عند ابن خلدون مما أهله عن جداره لأن يصبح عضوا في

بيت الحكمة بتونس و بالأكاديمية العربية بالقاهرة و الأكاديمية الملكية المغربية و أكاديمية اللغة العربية بالجزائر.<sup>1</sup>

لا شك أن أهم إشكالية تناولها عبد المجيد مزيان هي إشكالية النص الخلدوني الذي جنت الكثير من الدراسات عليه و أخرجت نظرياته عن سياقها الحقيقي، و ألبتها لبوس النظريات المعاصرة مثل الوضعية المادية، الجدلية الهجيلية ، التحليل الاركسي ، الظواهرية الخ و هذا في اعتقاده خروج عن المنهج الواقعي الحقيقي و إعتناق لمختلف التأويلات المشوهة للنص الخلدوني.<sup>2</sup>

و هنا نجده يطرح إشكالية المنهج في قراءة النص الخلدوني ، من خلال محاولة تقريب النص التراثي من أجل أن يكون لديه صدى واقعي و معاصر ، مما يؤدي الى الاسقاط و النقل المتستر عن النص الأصلي عن طريق التأويل الخافت و قول مالميس موجودا أو ما هو غير موجود.<sup>3</sup>

إننا نجد هذا الرأي في كتابه البارز " النظريات الإقتصادية عند ابن خلدون " حول هذه القراءات الخلدونية المعاصرة إذ " تكاد تصبح الدراسات الخلدونية التي بدأت تظهر في السنوات الأخيرة كلها موجهة نحو ادماج التفكير الخلدوني في البيئة الفكرية المعاصرة مع نوع من عدم التحفظ في المقارنات و مع الحاح شديد في اظهار جدة هذا التفكير و ابرازه في مظاهره الثقافية المنسجمة مع تفكيرنا في القرن العشرين"<sup>4</sup>.

و يضيف أن هذه المنهجية المتبعة لا ينبغي أن تؤدي بنا الى الارتداء في أوكار الذاتية ذلك " أنه كثيرا ما تؤدي بنا هذه المقارنات إلى مواقف اصطناعية حيناً او ذاتية في بعض الاحيان على أنه يقدم لنا حلاً منهجياً و معرفياً في كيفية التعامل مع المعطى

---

<sup>1</sup> - نقاز إسماعيل ، عبد المجيد مزيان و تجديد النص الخلدوني ،مجلة الحوار المتوسطي جامعة سيدي بلعباس ، العدد 7 السنة ، ص154-155 ، نقلا عن بلقاسم بن عبد الله ، عبد المجيد مزيان و بعدنا الحضاري المنشور في موقع <http://www.uswat.com> بتاريخ 2012م.

<sup>2</sup> - نقاز إسماعيل ، عبد المجيد مزيان و تجديد النص الخلدوني ، المرجع السابق ، ص152.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص155-156.

<sup>4</sup> - عبد المجيد مزيان ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون ، و أسسها من الفكر الإسلامي و الواقع المجتمعي ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار ، الرويبة ، ص20.

الخدوني و هو يقوم على إدماجه في بيئته الثقافية الحقه و هي البيئة الفكرية الاسلامية، قد تبدو هذه الحقيقة ذات بدهة صبيانية لأول وهلة ، و لكن الدعوة الى تأكيدها ليست عديمة الفائدة.<sup>1</sup>

هذا ، و لقد أبدع عبد المجيد مزيان في إستجلاء معالم النظريات الاقتصادية التي قنن لها ابن خلدون ، أسس لها في اطار العمران البشري الذي قام بدراسته من كل النواحي الاجتماعية، فكان الجانب الإقتصادي يشكل محورا أساسا في العملية الإجتماعية التي تمارسها الدولة أو المجتمع ، و يمكن تصور هذه النظرية عند ابن خلدون في نظر مزيان في هذه المعالم الثلاثة الآتية:

1- التشريع الإسلامي مكون أساسي في التصور الإقتصادي .

2- الواقع الإجتماعي و الاقتصادي و التحديات الإقليمية و العالمية.

3- دور السياسة في إدارة الخطط الاقتصادية.<sup>2</sup>

و على العموم ، فإن عبد المجيد مزيان وفق في أن يجعل النص الخلدوني في سياق النظريات الاقتصادية وظيفيا ، و يفيدنا في عصرنا من خلال الرؤية الواقعية و الدعوة إلى أخلقة الاقتصاد و العلاقة بين السياسة و الاقتصاد و المعاش و علاقته بالشبكات الاجتماعية المختلفة.

كل هذا يجعلنا نقول أن عبد المجيد مزيان في أطروحته حول ابن خلدون ، قد تبنى منها واقعا لا يبتعد عن المحيط الثقافي و السوسيولوجي الذي عاشه ابن خلدون ، و لا يقدم قوالب جامدة يقرأ من خلالها فكره بطريقة تعسفية ، و بعيدة عن التحليل العلمي السليم ، و هنا نشير في آخر هذا التحليل، أن هذه الأطروحة التي طبعت في كتاب متميز ، لجديرة بان تكون موضوعات لأبحاث جامعية أكاديمية تعالج آراء عبد المجيد مزيان و تستشرف آفاق رحبة للنتائج التي توصل إليها هذا المفكر الكبير ، حتى لا يكون مصير هذا الكتاب النسيان و التجاهل، بل و حتى الازدراء و الإنكار.

<sup>1</sup> - عبد المجيد مزيان ، المرجع السابق ، ص20.

<sup>2</sup> - نقاز إسماعيل ، المرجع السابق ، ص163 - 164.

## الثاني عشر - محمد حمودة بن ساعي (1902م - 1998م)

**أولاً:** السيرة الذاتية و العلمية : محمد حمودة بن ساعي، مفكر جزائري معاصر لم ينل حظه من الاهتمام و الشهرة و عانى من التهميش و التجاهل، و هو مثل غيره من النخب المثقفة الجزائرية التي مرت بصمت على حياتنا الفكرية، بيد أنه من الانصاف أن نشير إلى أن في الفترة الاخيرة، بدا الاهتمام بدراسة فكر هذه الشخصية من خلال المقالات و الندوات و المنتقيات و ذلك في خضم اشتغال النخب الجامعية من الجيل الجديد بالبحث في موضوعات الحضارة، الاستشراق، الفكر الغربي بشكل عام، تناولها الكثير من أعلام الفكر الجزائري المعاصر.

هذا و إن التعريف بالسيرة الذاتية و العلمية لحمودة بن ساعي، تفرض علينا الاستفادة من كتاب الأستاذ الباحث نور الدين خندودي (محمد بن ساعي أو المصير البائس لمثقف جزائري)، و أيضا كتاب "العفن" لمالك بن نبي، الذي ذكره في صفحات من هذا الكتاب.

و عليه يجدر بنا، أن نتطرق الى أهم مراحل حياته و ذلك على النحو التالي:

**أولاً:** ولد محمد حمودة بن ساعي النموشي يوم 1902/10/07م و توفي يوم 1998/05/10م في مدينة باتنة بالجزائر ، من أسرة متدينة، تتلمذ بالمدرسة بقسنطينة، و في السادسة عشر من عمره اجتاز امتحان شهادة اللغة العربية في لجنة تحكيم معربة ، واجتاها بتفوق ،ثم رحل الى باريس لطلب العلم على نفقة والده وخاله ، وسجل بجامعة السريون ، قسم الفلسفة ، وفي هذه الفترة لم تنقطع عنه اخبار الجزائر عبر جريدة الشهاب و البصائر الصادرة عن جمعية علماء المسلمين ، بالضافة الى لقاءاته بالعديد من الطلبة العرب و المغاربة ، خاصة مع المفكر الجزائري مالك بن نبي (1973م) التي جمعتهما صداقة وطيدة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - زموري لبينة، القيم السياسية من منظور المفكر الجزائري "محمد حمودة بن الساعي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر،

**ثانياً:** من المناسب هنا ان نشر الى ان في مرحلة التلميزة ، كان يحضر دروس التوحيد (من رسالة التوحيد الاسلامي) في الزاوية السنوسية "الزاوية السنوسية" لسيدي فتح الله التي كان يلقيها الشيخ بلعابد ، ثم بدا يواظب على حضور دروس التربية التي كان يلقيها العلامة عبد الحميد بن باديس امام العامة بمسجد سيدي لخضر بقسنطينة<sup>1</sup>.

في هذا السياق يقول: " كنا نحضر، بعد صلاة العشاء درس التربية الاسلامية الذي كان الشيخ بن باديس يلقيه أما العامة من الناس، كنا نستمتع باهتمام و في سكون و خشوع، (... من دروس الشيخ حفظت في ذاكرتي تعليقا على الأربعين النووية (...)) كانت تؤثر بصورة خاصة لانها كانت تخاطب احساس، و كانت تلخص لي في ايجازها ووضوحها الأخلاق الاسلامية"<sup>2</sup>.

ثالثاً: توطدت العلاقة بينه و بين الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذه الفترة من بداية حياته العلمية، اذ كان معجبا بعلمه و كفاته و اسهاماته الكثيرة، و هنا يؤكد الأستاذ نور الدين خندودي على لسان بن ساعي من خلال مؤلفه "في سبيل عقيدتي"، أن عام 1925، يشهد انشاء جريدة المنتقد ثم جريدة الشهاب من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أراد توسيع نشاطه لتتوير الجماهير الشعبية، يقول: "كنت متعطشا للمعرفة و منجذبا للجديد، فكنت أطلعهما بشغف... و كنت أذهب أحيانا لرؤية الشيخ بمكتبه لأطرح عليه أسئلة كان يجاوبني بلطافته المعهودة، و يعطيني شروحات وافية، بالنسبة لي كانت دروسا حقيقية"<sup>3</sup>.

واقعة أخرى، أبانت عن مدى تعلقه بالشيخ ابن باديس، و هي رده الطويل على مقال، انتقد بشدة في مضمونه "سياسة المشاركة" و "سياسة الاندماج" يقول: "قدمتها للشيخ ابن باديس الذي اطلع عليها بتمعن ثم قال لكاتبه المرحوم أحمد بوشمال و هو يثني عليه: "لم أكن أدري أن ضمن شبابنا عقولا قادرة على التفكير مثل هذا الشاب" غير أن الشيخ، كان حذرا، قدر

<sup>1</sup> - بن زينب شريف، محمد حمودة بن ساعي، المتقف المهمشن دار الوطن اليوم، سطيف، ط1، 2022م، ص9.

<sup>2</sup> - محمد حمودة بن ساعي، في سبيل عقيدتي مهداة لروح الشيخ عبد لحميد بن باديس، نقلا عن نور الدين خندودي، محمد حمودة بن ساعي أو المصير البائس لمتقف جزائري، موفم للنشر، الجزائر، 2018م، ص173 - 174.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص174

أن الوقت لم يكن مناسباً لنشر مثل هذه الدراسة، أثنى علي و كانت الدراسة أول كتاباتي باللغة العربية، أثر في بعمق و لم أنسه أبداً<sup>1</sup>.

و في خضم هذا النشاط العلمي بن ساعي، عمل كمحرر و مترجم في جريدة النجاح الصادرة باللغة العربية بقسنطينة، و قد حرر بها تقريراً مطولاً لمحاضرة ألقاها الكاتب بيير باراف Pierre Paraf حول اليهودية في الأدب الفرنسي، و يحدثنا بن ساعي عن حضوره المحاضرة و استماعه لهذا الكاتب بتمعن و يقول في هذا السياق: "قدمت خلاصة أمينة عن تدخله ثم قمت، بتقديم العديد في الملاحظات التي أبانت عن تبحر أكيد و عن ادراك أدبي محكم بالنسبة لقراءة النجاح فان الأمر كان ابداعاً... و هنأني الناس لأسلوبي"<sup>2</sup>. أكثر من ذلك، قام بن ساعي بتحرير مقالا مطولاً بعنوان مثير: "سراب السياسة و الدعوة الى هداية القرآن" و هنا، قام الشيخ ابن باديس بتهنئته كونه ترجم و بصورة أخاذة أفكاره العميقة حول الموضوع، و هنا، يؤكد على أن الشيخ رشيد رضا الذي تتلمذ بجواره على يد الشيخ محمد عبده، و هنا يقول أنه "في أحد الأيام، جاءني الشيخ بالقرآن المفسر" لمحمد فريد وجدي و احتفظت به حوالي ثلاثة أشهر و دونت العديد من الملاحظات و المعلومات.

و بينما كنت أتحدث مع الشيخ بمكتبه، حدثته عن بيتهوفن، فقال لي بأنه يعرفه، فحدثته كذلك عن سقراط فقال لي أنه أستاذ الحكماء<sup>3</sup>.

بعد هذا، تأكد لحمودة بن ساعي أن شيخه شخصية عظيمة و فريدة من نوعها، فقد "كانت للشيخ، وهو البادي بمظهر المنشغل بالدوامات الدينية، نظرات واسعة و جامعة، كان من طينة كبار الانسانيين الغربيين، الذين كانوا يترفعون عن أنواع العصبيات و يسعون الى خير الانسانية يرمتها"<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> - محمد حمودة بن ساعين في سبيل عقيدتي، نقلا عن نور الدين خندودي، الرجع السابق، ص175.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص176.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص177.

هذا، و أثناء حضور الشيخ ابن باديس رفقة وفد الى باريس سنة 1936م بمناسبة انعقاد "المؤتمر الاسلامي الجزائري" التقى حمودة بن ساعي بالشيخ في احدى مقاهي الحي اللاتيني بباريس، "و قد حبسنا لمدة لمدة ساعة تقريبا بسحر بيانه، فرحت بسامعه، و كان زملائي المصريون و يستمعون بخشوع، و لم يكونوا ينتظرون أن يلتقوا شيخنا من هذا الطراز..."<sup>1</sup>.

و لم أره حيا بعد ذلك أبدا، خمسة عشر يوما قبل وفاته، ذكرني بهذه العبارات (التي رواها مساعده الوفي الشيخ عبد الحفيظ الجنان" انه أفضل شبابنا الذين درسوا في فرنسا"<sup>2</sup>.

رابعا: ما نستخلصه من هذه المرحلة الأولى من سيرته الذاتية و العلمية، أنه قد استفاد من التنشئة الدينية التي تلقاها على يد شيخيه ابن العابد في الزاوية السنوسية ثم دروس العلامة عبد الحميد ابن باديس، كما انه تشبع بروح النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، كان لهما الأثر في اعجاب الناس بمقالاته في الصحف و الجرائد في ذلك الوقت .

ثانيا: التعليم الجامعي و النضال السياسي في فرنسا. أشرنا فيما سبق، أن محمد حمودة بن ساعي قد انتقل الى فرنسا و سجل بجامعة السربون في قسم الفلسفة، و هناك عمل على عقد لقاءات عديدة بالعديد من الطلبة العرب و المغاربة، و خاصة مالك بن نبي، و كان يتردد على منزل أوجين يونغ Aujene yuong الذي تعرف عليه، من خلال كتابة الاسلام بين الحوت و الدب " مما يؤكد على أهمية الرجل في صناعة الوعي لأنه رفع بكتبه مستوى فهم حقيقة الاستعمار، و للإشارة فان هذه الشخصية هي من المؤرخين الذين أوضحوا حقيقة الاستعمار، و دافعوا بقوة عن قضايا العرب و المسلمين<sup>3</sup>.

هذا، و قد نشط في عدة جمعيات منها جمعية طلبة شمال افريقيا التي كانت تضم مجموعة من الطلبة المغاربة المتواجدين بفرنسا بهدف معالجة القضايا الوطنية، و التحقق بعد ذلك

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص178.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص179.

<sup>3</sup> - زموري ليندة، القيم السياسية من منظور المفكر الجزائري محمد حمودة بن ساعي، المرجع السابق، ص79.

بجمعية الثقافة العربية، و أنشأ اثر ذلك منظمة الصداقة بين الشباب المسيحي و الشباب المسلم<sup>1</sup>.

غير أنه بعد ذلك، توقف عن النشاط الجمعي، و قد عبر عن ذلك بقوله: "ان كل الجمعيات التي ظهرت في باريس كانت لا لصالحنا، و لكن لصالح الحكومة الفرنسية التي تريد أن تعرف الشخصيات و تطلع على خبايا النفوس"<sup>2</sup>. ثم أنه استغل تواجده في فرنسا لإلقاء المحاضرات و كتابة المقالات، خاصة و أنه ساهم رفقة مالك بن نبي في اشعاع جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا، و خلال هذه الحقبة، كما يقول الأستاذ نور الدين خندودي كان بن ساعي مسكونا بما يسمى "شيطان المعرفة" حيث استعان على بحثه حول الضمير الأخلاقي عند الغزالي بأن ينهل من كتب التراث الاسلامي، ناهيك عن مطالعة كتابات المستشرقين من غير المسلمين، كما كان يجمع قصاصات الصحافة ليربها لمالك بن نبي، بمناسبة لقاءاتهم الاسبوعية، و هنا شكلت محاضراته "القرآن و السياسة" التي ألقاها بالفرنسية بمقر جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا "بباريس، ثم باللغة العربية بمقر نادي الشرقي بالجزائر العاصمة، منعطفا حاسما في شهرته، و عرفت به أكثر من مقالاته الصحفية في نهاية العشرينات.

و ضمن هذا السياق كان بن ساعي يؤمن بالحوار كثيرا بين الأديان و بين الثقافات، غير أن الأستاذ نور الدين خندودي يؤكد أن الحرب العالمية الثانية أتت على ما تبقى من أوام الثلاثينات التي كانت تراوده هو و مالك بن نبي، حيث بعث برسالة شديدة اللهجة كتبها سنة 1946 للويس ماسينيون و انتقده لأنه خدعه بعد أن أوهمه بإمكان اقامة الحوار بين العرب المسلمين و الفرنسيين المسيحيين.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - محمد حمودة بن ساعي، رغم استقلال الجزائر مازال الاستعمار البغيض مخيما على هذا الوطن، نقلا عن زموري ليندة، المرجع السابق، ص80.

<sup>2</sup> - نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص17، 18

<sup>3</sup> - نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص19

كما أن الصعوبات المادية القاسية قد دفعته الى العمل في مصنع Hispano-suiza للخشب، لكي يتمكن في مواصلة دراسته وهنا يتذكر كيف تلقى الامام عبد الحميد بن باديس خبر عمله الذي لم يعجبه و أشار الى ظان الجمعية خصصت مبلغا م المال للطلبة الفقراء ، كما أن المستشرق ماسينيون قد كان يطارد باستمرار بسبب مواقفه الفكرية، الأمر الذي جعله يعود الى الجزائر دون اتمام دراسته<sup>1</sup>، و يؤكد هذا الامر الأستاذ نور الدين خندودي، حيث يقول أن عكس ما يشاع، فان حمودة بن ساعين لم يتمكن من اتمام رسالتهن و لم يتقدم الى الجامعة لنيل الدكتوراه<sup>2</sup>.

هذا، و قبل أن نتحدث عن علاقته الوطيدة بصديقه المفكر الجزائري، مالك بن نبي يجدر بنا أن نشير باختصار الى علاقته بالمستشرق الفرنسي البارز لويس ماسينيون " حيث كان هذا الأخير يكن له العدا بوصفه كان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا، و كذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية، لأن حمودة بن ساعي و غيره من الوطنيين الجزائريين، سيشكلون خطرا على النظام الاستعماري بالجزائر، أدرك كل من مالك بن نبي و حمودة بن ساعي ان هذا المستشرق هو من كان يقف وراء دسائس الادارة الفرنسية التي وضعت عوائق خفية في طريقها لإرغامها على التخلي عن دراستهما ثم سد باب الرزق في وجهيهما كلية، و نظرا لطبعه الميال للتسامح و الهدوء، فقد كان بن ساعي أقل مقاومة و تحملا، فتأثرت دراسته الجامعية بالسريون و لم يكتب لأطروحته ان ترى النور بفعل التدخلات الخفية في اختيار موضوعها، فضلا عن ضغوطات أخرى كانت تمارس عليه للتخلي عنها<sup>3</sup>.

و قد عبر ماسينيون صراحة من خلال كتابه *Ecrits mé-moriales* أن حمودة بن ساعي صاحب "فكر معارض بشدة لفرنسة الجزائر"، و أنه "طالب من باتنة و من قداماء

---

<sup>1</sup>- زموري ليندة، المرجع السابق ص80

<sup>2</sup>- نور الدين خندودي، المرجع السابق ص17

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص28

الطلبة لوطنيين لشمال افريقيا، و من كالوطنيين المتشددين<sup>1</sup> بينما وصفه مالك بن نبي بـ "عنكبوت الكوليج دي فرانس و المخبر في ثوب العالم"<sup>2</sup>.

و قد تحدث الأستاذ سعدي بزيان أيضا أن بن ساعي قد اشعارا من مديريةية المصنع تخبره عن انهاء عمله بدءا من تاريخ 06 جانفي 1936م و عرف أن وراء موقف ادارة المصنع هو ماسينيون الذي له نفوذ في الجهاز الحاكم<sup>3</sup>.

نفهم من هذا، أن مطاردة ماسينيون له و ظروفه المعيشية المضطربة، و شعوره بأن مساره الفكري قد انتهى باكرا، عاد بن ساعي بعد ذلك الى البلاد ليستقر نهائيا في مسقط رأسه بمدينة باتنة.

هذا، و قد كانت علاقة هذا الرجل الفذ بالمفكر مالك بن نبي وطيدة جدا، فهذا الأخير يقرأ في مذكراته بأنه أثر في شخصية الفكرية كثيرا و قدمه في مختلف كتاباته كمتقف كبير كما اهداه كتابه الشهير المرسوم بـ "الظاهرة القرآنية" و هي شهادة صادقة من أعظم مفكر جزائري لصديق قد عانى من ويلات الصراع الفكري السائد آنذاك<sup>4</sup>. كما ان هذا المفكر يصف بن ساعي في كتابه العفن بأنه "كان مثالا للاستقامة و كان يجسد الدقة و الحرص و اكثر من ذلك، كان هو أستاذا في فلسفة الاسلام و انا مدين له هنا بالتحية التي سبق لها ان وجهتها له في الاهداء الذي صدرت به كتاب الظاهرة القرآنية، فقد علمني و مكنتني من الولوج لروح القرآن بطريقة لم يكن الأستاذ أزهرى ان يقدر عليها و قد أفادني معناه للقيمة الخلقية و أرشدني أكثر من مرة، و اعتقد أيضا أن أفكاري هي ذات الأفكار التي لم تتضج ... عندما كنا نتناقش حول القضايا، كان هو الذي يقدم الأفكار في الغالب و كنت أرتبها و أضمنها معنى مذهبيا، و ما أكثر المشكلات التي تناولتها أنا وبن الساعي!"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سعدي بزيان، شاهد على ميلاد الحركة الاصلاحية لجمعية العلماء المسلمين في الاوراس، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، ط1، 2009م، ص84.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، العفن، ترجمة نور الدين خندودي، دار الامة، الجزائر، ط1، 2004م، ص28.

<sup>3</sup> - سعدي بزيان، المرجع السابق، ص88.

<sup>4</sup> - نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص35.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي، العفن المرجع السابق، ص98.

كما انه يعترف بفضل صديقه في كشف له موقعة صفيين المشهورة و آثار انتباهه لها، و هو ما اعتبره مالك بن نبي بعدا منهجيا لدورة الحضارة الاسلامية و أطوارها.

و يذكر أيضا أن "الزيارات الأسبوعية مساء كل جمعة محمودة بن ساعي الى منزلي كانت لاستعراض

المشكلات التي تواجه العالم الاسلامي و هذه الزيارات هي بوابة تذوقي و اهتمامي بمختلف المشكلات، كنا ندقق بصمق المسائل التي نتناولها انا و بن سالمى، و كان الفقد الخلقي و الفكري للعالم الاسلامي، يبدو لنا مرعبان امام عالم غربي له روح اوروبية و تقنية ديكرتية"<sup>1</sup>.

و مما يدل على انسجام الرجلين في موقفها بحيث كان يحلمان مبكر بمستقبل واعد للجزئر، قول بن نبي "و كنت أقول اننا سنضع انا و محمد ساعي -بعد الدراسة- الأسس الحقيقية لسياسة جزائرية"<sup>2</sup>.

و يقول أيضا: "من بين جميع الطلبة المسلمين، لم يكن لدي الا صديق مقرب أبوح له بتأملاتي و أفكارى، هو محمد حمودة بن ساعي الذي يقاسمني المرارة و الحسرة"<sup>3</sup>. و بشأن الضغوطات التي كانت تمارس عليها من طرف الادارة الاستعمارية في فرنسا، فقد وصف الحالة التي وصل اليها بن ساعي و عبر عنها في قوله: "محمد بن ساعي أيضا أصبح منطويا، و كان يشك في كل الناس، و الى عادته البصق على يمينه و يساره و هو يتحدث، أضاف هوسا جديدا مفلقا... كانت هذه الآثار، الاولى للإحساس بالاضطهاد التي بدأنا نشعر بهفي مجموعتنا... و قد تحول اشمئزازه الى هوس و احساس بالاضطهاد و المضايقة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بننبي، العفن، المرجع السابق، ص108

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 110

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص31.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص96 - 97.

و لم يكن مالك بن نبي الوحيد الذي عرف بن ساعي و ادرك منزلته، بل هناك الكثير من الاوروبيين و الوطنيين في عدة مجالات أدبية و فكرية.

ثالثا: الانتاج الفكري لمحمد حمودة بن ساعي، نظرا للظروف القاسية التي مر بها هذا المفكر، فان أغلب مؤلفاته لم تعرف طريق النشر. أما المقالات فقد تم نشرها في عدة مجالات و جرائد جزائرية.

و بحسب ما تطرق اليه الأستاذ نورالدين خندودي، فان كتابه الاول أو الكتيب الذي نشره هو "في سبيل عقيدتي" " Au service de me foi " عن طريق دار البعث للنشر و الطباعة لولاية قسنطينة و هو الذي خصصه للامام عبد الحميد بن باديس<sup>1</sup>. أما مجموعة الكتب الأخرى، و التي تكلم عنها في الرسائل الموجهة الى عبد الوهابي بن حمودة فهي كالتالي:

- في سبيل الثقافة – Au service de la culture

- في سبيل الاسلام – Au service de l'islam

- في سبيل الجزائر – Au service de l'Algérie

بالاضافة الكتاب يجوي مذكراته بعنوان: Ecrit sur les souvenirs de jeunesse .

أما عن المقالات، فقد نشرت في عدة مجالات و جرائد جزائرية باللغتين العربية و الفرنسية، و قد قسمها الأستاذ نورالدين خندودي الى قسمين :

القسم الاول : من سنة 1920 الى 1950، و أبرزها مقال سراب السياسة و الدعوة لهداية القرآن بجريدة النجاح: 1929/05/20، العدد720، قسنطينة.

---

<sup>1</sup>- نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص165.

القسم الثاني: كان في الثمانينات 1980، و تركزت المقالات في هذا الوقت حول استعادة الذكريات و الحنين للماضي و كانت أغلبها في جريدة la semaine de l'emigration و المقالات هي:

1/ L'islam religion de justice

2- Notre seigneur Mohamed et la femme

3/ des Egard de ma foi <sup>1</sup>

كما ان له مقال كتبه بمناسبة وفاة صديقه مالك بن نبي "رغم استقلال الجزائر ما زال الاستعمار البغيض مخيما على هذا الوطن"، و نشرت له جريدة الهلال، كما أنه عقد العديد من المحاضرات في سياق العديد من الجمعيات التي نشط فيها سواء في الجزائر أو في فرنسا.

المهم من كل هذا، أن الظروف القاسية التي مر بها هذا المفكر، لم تسمح له بالكتابة، على الرغم من القدرات المعرفية و المنهجية التي يتميز بها، و التي نالت اعجاب الكثير من الشخصيات المعروفة في ذلك الوقت.

رابعا: العودة الى الجزائر

بعد أن انتهى مساره الفكري باكرا في فرنسا، اثر مطاردة المستشرق الفرنسي له، وجد نفسه في حالة نفسية صعبة و لم يعد يقوى على توفير لقمة العيش و سقط في البؤس و الهوان، بعد هذا، عاد الى البلاد ليستقر نهائيا في مسقط رأسه بمدينة باتنة، حيث أنه بدأ يشعر بالغربة عن الحياة الثقافية و الفكرية بعد ان كان أحد منشطيهما و قد دفعه العوز بعد ذلك الى امتهان العمل كاتباً عمومياً لفترة وجيزة في مهنة شعبي، و كان يصرف المبالغ الزهيدة

---

<sup>1</sup>- ليندة زموري، المرجع السابق، ص93

لشراء الصحف لإرواء شغفه للمطالعة، غير أن هذه الصعوبات لم تكن لتصيب نظرتة الثاقبة أو تمس أحكامه و حرية فكره<sup>1</sup>.

و قد كان يصف حاله بأنه "لم اتمكن من فرض اسمي في عالم الأدب ، لأن الاستعمار و عملاء جعلوني بانسا معدما. بيد انه رفض الاستسلام نهائياً ة استطاع أن يتحرر من القيود التي كبلته عشرات السنين، وعاود نشاطها لفكري مع اكرهات الواقع و الظروف، و قد عاود الكتابة بداية الثمانينات من القرن الماضي اي في اواخر حياة صعبة ليحرر مقالات يستعيد بها ذكرياته، وكان يقدم بعضها بنبرة الحنين و المرارة و الاسف .

اضافة الى مراسلات كان يبعثها الى قلة من معارفه ممن يثق فيهم، وتتسم بأسلوب جميل جذاب ويحاول من خلالها الانفلات من عزلته الطويلة .

ويؤكد الاستاذ خندودي على أهمية هذه المراسلات وانها تبرز ان بن ساعي باشر تأليف بعض الكتب واستأنف كتابتها ، و الليل على ذلك مرسلاته للسيد عبد الوهاب بن حمودة بخصوص اعلامه بانتهاء من تأليف كتاب بعنوان "كتابات حول مرحلة الشباب" وبعنوان فرعي هو في سبيل الثقافة وهو ما يؤكد انه باشر فعلا في تأليف كتب او استأنف كتبها كان قد بداها قبل توقفه الطويل .

و الغريب كما يقول هذا الباحث ان هذه المؤلفات قد ضاعت او قد اختلست منه في واقع الأمر<sup>2</sup>. هذا، و من المناسب هنا أن نشير الى أنه قد بعث بمجموعة من الرسائل التي توجه بها الى بعض المسؤولين:

1-رسالة الى مدير جريدة النصر

2-رسالة الى مدير جريدة المجاهد

3-رسالة الى الصحفي علي بلقاسم

4-رسالة الى رئيس منظمة الاصلاح التربوي و الاجتماعي بباتنة.

<sup>1</sup>- نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص30

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص30-31.

## 5- و مجموعة من الرسائل الى عبد الوهاب حمودة

بالإضافة الى مجموعة من الرسائل التي توجه بها الى بعض المسؤولين في قطاع العدالة ليطالب بحقه في ممتلكاته الفلاحية التي امتت في اطار الثورة الزراعية<sup>1</sup>.

وبقي على هذه الحال من التهميش و التجاهل، بل و غريبا في وطنه لم ينصفه احد، حتى توفي بتاريخ 1998/05/10م بباتنة و دفن فيها و مشى في جنازته عدد قليل من المودعين يعدون على لأصابع، فكان يستحق على الأقل التكريم بعد وفاته اجلا لا لرجل مثقف محب لوطنه و شعبه و دينه.

### الخاتمة :

ما يمكن ملاحظته في آخر هذه الدراسة ، ان المفكر محمد حمودة بن ساعي علم من أعلام الجزائر الذي عاش مغمورا معزولا ، تنكر له الجميع ، على الرغم من الاسهامات الكثيرة ، وسعة إطلاعه وانفتاحه على الفلسفات و الفكر الانساني العالم، واعتزازه برجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

فهو من النماذج الفكرية الخالدة في تاريخ الفكر الجزائري ، فلا غرابة اذن ، من أن مالك بن نبي يلقيه بانه استاذه و ملهمه الاول في الافكار الحضارية التي تناولها في مؤلفاته المختلفة .

---

<sup>1</sup> -زموري ليندة، المرجع السابق، ص93.

### الثالث عشر - حنفي بن عيسى:

أولاً: السيرة الذاتية و العلمية: أكاديمي جزائري معروف على الساحة الفكرية الجزائرية المعاصرة، و قد تخصص فيعلم النفس التربوي ومهتم بفن الترجمة تنظيراً وتطبيقاً، وقد تحصل على اجازة في التربية وعلم النفس من جامعة دمشق سنة 1961م، ودكتوراه في الفلسفة وعلم النفس اللغوي وقضايا الاتصال من جامعة الجزائر سنة 1971م، و قد عمل أستاذاً بمعهد علم النفس بجامعة الجزائر<sup>1</sup> هذا يعني أن الأستاذ حنفي بن عيسى هو أحد أبرز أعلام الجزائر في علم النفس و الترجمة و الأدب رغم أنه قدم اسهامات علمية و غادر بصمت دون أن يلتفت إليه أحد.

ونحسب أحد الباحثين، فان حنفي بن عيسى، قد نال شهرة عالمية في الترجمة و أتقن عدة لغات و هو مطلع بذلك على الآداب العربية و العالمية و الجميع يعترف له بالكعب العالي في الترجمة سواء الأعمال الأدبية الجزائرية التي نقلها من الفرنسية الى العربية، أو للأعمال التي عهدت ايه بها منظمة اليونسكو، والتي نقل بعضها عن الانجليزية، أو الدراسات الأخرى التي عمقت تلاحمه بالتاريخ الوطني والثقافة الانسانية<sup>2</sup>.

هذا، و قد كان له نشاط فكري ثري و متميز خلال سنوات طويلة، بيد أنه لم ينل حظاً أوفر من التعريف بشخصيته وبفكره، بسبب التجاهل و النسيان و العقود الطويلة، ما عدا بعض المقالات الصحفية أو الندوات العلمية التي تعقد هنا و هناك، فمن المؤسف إذن، أن تاريخ وفاته قد مر بصمت وذلك من خلال عام 1999م. ولم تتذكره الدولة الجزائرية الا بعد ثماني عشرة سنة من رحيله، لتسدي له وسام الاستحقاق الوطني بدرجة "جدير" بتاريخ 24 ماي 2017م<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص237.

<sup>2</sup>-مختارية بن عابد، تمظهرات الهوية الوطنية في كتابات المفكر الجزائري "حنفي بن عيسى"، مجلة النص، جامعة عبد الحميد بن باديس،

مستغانم، الجزائر، المجلد 7 العدد 2 السنة 2021 ص329.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص330.

نفهم من هذا إذن، أن الأستاذ الدكتور حنفي بن عيسى باحث متمكن و مترجم متمرس، وشخصية علمية مرموقة حظي بها الوطن بعد الاستقلال، فلا غرابة إذن من أنه قدم دراسات و بحوثا ثرية في الفكر التربوي وقضايا التواصل اللغوي و عديد الترجمات، و التي ستبقى خالدة طول السنين في تاريخ الفكر الجزائري.

ثانيا: آثاره: أشرنا فيما سبق الى التكوين العالي الذي اكتسبه الأستاذ حنفي بن عيسى، و الذي أهله لأن يؤلف في العديد من المجالات، الأمر الذي أبان عن نشاط فكري متميز تجسد في المؤلفات التالية:

1-محاضرات في علم النفس اللغوي: و قد نشرته الشركة الوطنية للطباعة و النشر سنة 1974م و يعتبر هذا الكتاب من الدراسات القيمة حول استعمال الرموز المعبر عنها بالتعبير اللغوي، و مدى ارتباط ذلك بوعي الانسان التام للإنشاء و قدرته على الافصاح عنها، و قد عرض فيه مختلف الآراء حول مشكلة التواصل اللغوي و معوقاته، و قد توصل الى أن أهم صعوبة هي تناول قضايا اللغة بواسطة اللغة، و هو أمر يؤدي الى مأزق لغوي، و الحل عنده هو اعتبار المسائل اللغوية ظواهر مطروحة للبحث والنظر اليها من جوانب مختلفة لا من جانب واحد<sup>1</sup>.

2- و من مؤلفاته أيضا «تعلم لتكون» بمشاركة منظمة اليونيسكو، و"تعلم و تعمل" تحت اشراف اليونسكو.

3-النظام التربوي الحال و المآل.

4-الثقافة في الجزائر ماضي و حاضر.

5-فن الترجمة تنظيرا و تطبيقا:

وقد ترجم عدة كتب منها:

---

<sup>1</sup> - محمد بسكر، حنفي بن عيسى (1932 – 1999) وقضايا التربية والأدب و التواصل اللغوي، موقع العلامة عبد الحميد ابن باديس،

بتاريخ 31 مارس 2021م.

- 1-صيف الأزهار لا يجيب، رواية (ط) الجزائر سنة 1964م
- 2-الدروب الوعرة، لمولود فرعون، رواية (ط1) سنة 1967م، ط2 (ش. و.ن. ت) سنة 1967م.
- 3-من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية لأحمد ابراهيم طالبي ، (ط) الجزائر 1976م.
- 4-الجزائر الأمة و المجتمع لمصطفى الأشرف، (ط) الجزائر سنة 1983م.
- 5-من الاستعمار إلى الثورة الثقافية، لأحمد طالب الابراهيمى ، (ط) ش و ن.ت.
- 6-الجزائر في تاريخ الحضارة لمصطفى الأشرف<sup>1</sup>.

ثالثا: مكانته في الفكر الجزائري المعاصر: في خاتمة هذه الدراسة المختصرة، نؤكد على أن المفكر المتميز حنفي بن عيسى يعد أبرز ممثل للنخبة المثقفة في الجزائر، و قد أجاد فنيا و موضوعيا في الميادين التي تناولها.

---

<sup>1</sup> - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص (237-238).

## الرابع عشر - أبو القاسم سعد الله (1930-2013)

لا نبالغ إطلاقاً إذا قلنا إن أبا القاسم سعد الله علم لامع من أعلام الجزائر المعاصرين، وواجه مشرقة ومشرقة لثقافتها وعلمها. جهوده هائلة لا يمكن حصرها بجهد يسير، ونشاطه ممتد طيلة عقود طويلة، ومن المفيد أن نبدأ بملاحظة مهمة وهي أن جهوده هو نفسه في التعريف بأعلام الجزائر من أبرز ما يحسب لعالم فذ مثله، إذ بلغت من الاتساع والقيمة والعمق مبلغاً عظيماً..

هو مؤرخ وأديب وشاعر ومفكر ومحقق ومترجم، اهتم بالتاريخ وبالتأثيرات الثقافية والأنماط التعليمية وبالحركة الوطنية ومسائل الاستعمار وثورة الجزائر العظيمة وبقضايا الأمة الإسلامية إجمالاً. ومن المفيد في البداية أن نذكر فقرة قصيرة عن حياته، إذ تذكر المصادر أنه من مواليد "قمار" في وادي سوف سنة 1930، وفيها حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والعلوم الشرعية، تابع دراسته بعدها في جامع الزيتونة ما بين 1947-1954، حيث وهي الفترة التي بدأ فيها الكتابة في صحيفة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت اسم مستعار هو "الناقد الصغير". انتقل في فترة لاحقة إلى القاهرة حيث تحصل على الماجستير في الآداب من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وكان هذا سنة 1960، شغل في الفترة نفسها مسؤولية مكتب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في القاهرة. وواصل شيخ المؤرخين الجزائريين دراساته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، فتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة مينيسوتا سنة 1965، وخلال ذلك، ساهم في تأسيس جمعية الطلبة الأفارقة، واشتغل بعدها بالتدريس في جامعة ويسكونسين الأمريكية ثم بجامعة الجزائر. 3 توفي في الرابع عشر ديسمبر 2013، تاركاً زخماً كبيراً من المؤلفات في ميادين متعددة. ولئن كان تركيز أبي القاسم سعد الله على الدراسات التاريخية وعلى الدراسات تاريخ الجزائر المعاصر، فإنه لم يحصر فيها نشاطه، بل امتدت جهوده إلى مجالات كثيرة تأليفاً وتحقيقاً وترجمة، وهذه بعض مؤلفاته:

-منطلقات فكرية، ط.2، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1982.

- محاضرات في تاريخ الجزائر احديث، ط1، مصر، 1970، ط3، الجزائر، 1982.
- الطبيب الرحالة ابن لادوش، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982.
- القاضي الأديب الشاذلي الفلسطيني، ط2، الجزائر، 1982.
- شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، عدة طبعات مصر، تونس ، ليبيا، آخرها 1984 ،  
الدار العربية للكتاب.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، عدة طبعات، أولها في دار الآداب، بيروت، 1966،  
وآخرها الدار التونسية للنشر، 1985.
- الزمن الأخضر، ديوان سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- شيخ الإسلام ، داعية السلفية، عبد الكريم العكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.
- سعة خضراء(قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- أفكار جامحة، الجزائر، 1988.
- قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
- رائد التجديد الإسلامي، ابن العنابي، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الحركة الوطنية الجزائرية (3أجزاء) صدر العدد الأول منها 1969، وصدرت الأجزاء  
الأخرى في 1992، 1997، عن دار الغرب الإسلامي،بيروت.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر(4أجزاء) آخرها في 1993 و 1996 عن دار الغرب  
الإسلامي بيروت.
- في الجدل الثقافي، دار المعرفة، تونس، 1993.
- تاريخ الجزائر الثقافي، عدة أجزاء.

أبو القاسم سعد الله إذن هو شيخ المؤرخين الجزائريين بلا منازع، مؤلفاته زاخرة بالدراسات والتحليلات التاريخية الدقيقة، فما كان يصبو إليه لم يكن فقط نقل الأخبار التاريخية والتعريف بالأحداث التاريخية والشخصيات العلمية، بل كان يهدف بالدرجة الأولى إلى تصحيح الكثير من المعلومات الخاطئة مثلما يذكر هو نفسه في كتبه، وإلى تصفية التاريخ من روح الاستعمار من خلال العلم والمنهجية الصحيحة، عبر اللغات المختلفة. وقد جعله هذا يتصدى بشكل مباشر للتشويه الفظيع لتاريخ الجزائر على أيدي كتاب المدرسة الاستعمارية، في ظل غياب مدرسة وطنية موازية..1

ولنا في شعره كما قال أحمد توفيق المدني، ولمن يأتي من بعدنا، "صورة صادقة عارية عن حياة الثورة العارمة التي يحياها شعب الجزائر الأبّي والتي لا تنتهي إلا بفوزه وتحقيق أمانيه" .. فهو يمثل "روح الشعب الجزائري الذي تحمّل إرهاب الاستعمار طيلة مائة وثلاثين سنة، وكبله بأغلال العبودية" ..2

وكان الاشتغال الأكاديمي لسعد الله في مرحلة الدكتوراه منصبا على موضوع "الحركة الوطنية بين 1900-1930"، وقد اختار باحثنا هذه الفترة لأهميتها البالغة في حياة الأمة الجزائرية، فلقد احتكر الفرنسيون الكتابة عن تاريخ الجزائر، وقدموا روايتهم عن تاريخنا، فاختار سعد الله أن يعمل على دراسة جادة وموضوعية عن تلك الفترة وهو أمر ضروري، لأنها فترة حاسمة مهدت لرفض كل مساومة مع الفرنسيين وظهور نزعة استقلالية عن فرنسا، لأن الأمة الجزائرية تمتلك قيما وتاريخا وثقافة مختلفة، كما أنّ الحركة الوطنية الجزائرية كلّ متكامل وشامل بجميع مظاهره وتجلياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية، وكان الحكم الفرنسي للجزائر قائما على سحق كل مظهر خاص أو مستقل عنه، اضطهاد كل ما من شأنه التمايز عنه.3 "فليس جديدا إذن أن الفرنسيين قد عملوا منذ وهلة الاحتلال على تهميش ثقافة الجزائر ومحاربة رموزها ومقوماتها ومحاربة القائمين عليها من أهل الأدب والعلم والفن والدين".1

وبما أننا بصدد الحديث عن تمايز الجزائر وعن قيمنا الثقافية إجمالاً، فلا بد أن نقول كلمة عن أحد أهم كتب الأستاذ سعد الله، وهو "تاريخ الجزائر الثقافي"، إنه كتاب يملأ فراغاً رهيباً من صفحات تاريخنا الثقافي، وهو فراغ لاحظته سعد الله وأشار إليه في كتبه الأخرى، ولذلك سعى ليكون هذا الكتاب موسوعة ثقافية جزائرية تغطي الآداب والفنون والعلوم والتعليم والدين والتصوف، والكتاب ليس كتاباً في التراجم بالمعنى التقليدي، بل هو منصب على الأفكار والتيارات وتصنيف المواد العلمية وليس على الأشخاص. وقد كان سعد الله حريصاً على أن يضم الكتاب الروافد المختلفة للثقافة، بما فيها الأدب الشعبي بأنواعه ولهجاته العربية والبربرية لأنه يعبر عن مختلف أحزان وآمال الشعب الجزائري أمام جبروت الاحتلال، ومهما يكن فإن الكتاب، مثلما يقول سعد الله نفسه، "يظل في صميمه يمثل الثقافة الوطنية المشتركة بين الجزائريين مهما تباعدت أجيالهم وتعددت اللغات الأجنبية التي يستفيدون منها وهي الثقافة العربية التي انتشرت بالإسلام".<sup>2</sup>

إن هذا الكتاب الذي نتحدث عنه والذي احتاج من صاحبه جهداً ووقتاً طويلاً، يمثل أداة هامة في أيدينا اليوم، بأفكاره الغزيرة ومعلوماته النادرة والدقيقة، ولاشك أن مصارعة الاحتلال لا تكون فقط بمحاربة القوة العسكرية، بل لابد من الصراع ضد الجهل والجمود والتقليد والتخلف، إنه صراع من أجل بقاء الذات.<sup>3</sup>

## الخامس عشر - عبد الرزاق قسوم

عبد الرزاق قسوم مفكر وباحث جزائري معاصر، وشخصية علمية لامعة، يشغل حالياً رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو سادس رؤسائها وهذا منذ 2011، وهي جمعية تهتم بشؤون المسلمين وبقضايا الوطن والأمة الإسلامية.

ولد عبد الرزاق قسوم عام 1933م، بالمغير، تربي منذ صغره على حفظ كتاب الله، حيث أكمل حفظه وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة، تعلم العربية وغيرها، وتحصل على شهادة الابتدائي باللغة الفرنسية. التحق في سلك التعليم بمعهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة لمزاولة دراسته سنة 1949، وبها تلقى دروسه على أيادي مشايخ عصره، ومن أبرزهم أحمد حماني، أحمد حسين، عبد الرحمن شيبان، أحمد رضا حوحو وغيرهم.. وبعد أربع سنوات تحصل على شهادة الأهلية، ومنها اتجه إلى جامعة الزيتونة، وفي تونس تمّ قبوله في البعثة العلمية المتجهة إلى المشرق والتي أشرفت عليها جمعية العلماء المسلمين، ولكن هذا القصد لم يكتمل بعد اندلاع الثورة الجزائرية وتشدّد الاستعمار، ولم يستطع الحصول على جواز سفر، فاضطر إلى البقاء في البلاد والانضمام إلى صفوف الثورة الجزائرية.1

رجع عبد الرزاق قسوم إلى المغير للتعليم في المدرسة الحرة، ثم انتقل إلى العاصمة الجزائر وتحصل -إثر اتصاله بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين- على منصب معلم في المدرسة السنّية، ثم في مدرسة "الهداية" بالقبّة بعد إضراب الثمانية أيام الشهير، غير أنّ مظلي الاستعمار اقتحموها وأذاقوه وأصحابه من العذاب، لكنه نجا وعاد إلى مسقط رأسه، والتحق بالجبل، وبعد اقتحام السلطات لقريته وسطوها سنة 1957 على ممتلكات عائلته وكتبه، عاد ليلجأ - بعد نصيحة قدمت له- إلى العاصمة ويتابع نشاطه مع الجمعية إلى نهاية الثورة.

وكان نشاطه الأكاديمي والعلمي بعد الاستقلال حافلا، حيث حصل على جملة من الإجازات، إحداها شهادة الكفاءة العلمية للتدريس في الثانوي باللغة العربية، وليسانس في الترجمة سنة 1966، وأخرى في الفلسفة، تلاها دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة

1971، ومن جامعة القاهرة، تحصل على ماجستير في الفلسفة سنة 1975، ثم نال من "السوريون" دكتوراه في الفلسفة أيضا عام 1979 ميلادية ..

ومن الناحية المهنية، شغل الدكتور عبد الرزاق قسوم مناصب ومسؤوليات هامة، لقد نال عضوية اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1976، وبعدها أستاذا بقسم الفلسفة بمعهد العلوم الاجتماعية، وكان عضوا فاعلا في جملة من المعاهد والهيئات، منها المعهد الإسلامي الأعلى 80-1986م، الذي صار أمينا له، ومنها المنظمة الدولية لمترجمي المؤتمرات بجنيف، إضافة إلى عمادة المعهد الإسلامي لمسجد باريس، ومديرا للمعهد الوطني لأصول الدين بالجزائر.. "وبعد إعادة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة أحمد حماني كان عضوا فيها، وفي عهد الشيخ عبد الرحمن شيبان عيّن رئيسا لجريدة البصائر ونائبا للرئيس 2000-2004م، وهو أستاذ بكلية العلوم الإسلامية وقسم الفلسفة بجامعة الجزائر، وبعد وفاة الشيخ شيبان استلم عبد الرزاق قسوم رئاسة الجمعية عام 2011.1"

وقد ظلّ عبد الرزاق قسوم حريصا على أن تؤدي الجمعية دورها الريادي غير منقوص، من خلال تسجيل مواقف مشرفة وبناءة من جميع القضايا السياسية والاجتماعية سواء داخل الوطن أو خارجه، وإشراكها على الصعيد الوطني في كل ما يتصل بقضايا الوطن، وعلى الصعيد الدولي في كل ما يمسّ مصير العالم الإسلامي كالقضايا العادلة، وقضية التطبيع والتضييق على العلماء وتسيير قوافل الإغاثة إلى غزة والروهينغيا وغيرها. ومن الناحية التنظيمية الهيكلية حرص على زيادة نشاط الجمعية ومن انتشارها على مستوى جميع الولايات، وعلى الاستمرار في بناء المدارس والكتاتيب القرآنية، وزيادة حضور الجمعية في كل المناسبات الدينية والوطنية، من خلال إقامة الأنشطة المتنوعة..2

مؤلفاته:

نجد لعبد الرزاق قسوم- إضافة للترجمات والمقالات والتقديمات - عددا هاما من المؤلفات الفكرية والدينية والفلسفية:

-عبد الرحمن الثعالبي والتصوف.

- مفهوم الزمن في فلسفة ابن رشد.

- مدارس الفكر العربي الإسلامي (تأملات في المنطلق والمصّب).

- نزيف قلم جزائري.

- مفهوم الزمن في الفكر العربي المعاصر (باللغة الفرنسية)

- فلسفة التاريخ من منظور إسلامي (قراءة إسلامية معاصرة).

تأملات في معاناة الذات.

- حصاد قلم جزائري.

- شاهد على واقع الوطن والأمة .

ومن الناحية الفكرية والأكاديمية ساهم عبد الرزاق قسوم في القضايا التي درسها والإشكاليات التي عالجها، بتحليلات نقدية أصيلة، وعروض لا يعوزها العمق والدقة، كل ذلك بلغة عربية راقية، وأسلوب هادئ ومثاقن، بعيداً عن الأحكام التعسفية، وعن ألوان الغلو والتشدد والانغلاق أو التبعية. ولاشك أنّ كل باحث أو مفكر عربي تسترعيه تلك الأسئلة الملحة التي تتساءل عن أسباب تخلف الأمة في أيامنا، وعن طرق التحديث والنهوض، وعن كفاءات الإصلاح وتحقيق الإبداع وعن مناهج التعامل مع التراث.. والدكتور قسوم وهو واحد من وجهاء الأمة وأعلامها لا يمكنه أن يغفل عن المسائل المصيرية للأمة، وعن مجمل انشغالاتها الفكرية والثقافية والتربوية .

وفي هذا الإطار، حدّد الأستاذ عبد الرزاق قسوم الإشكاليات التي نشأت عن التآزم الفكري الحاصل في الفكر العربي المعاصر في مجموعة من الإشكاليات؛ منهجية وثقافية. الأولى منهجية، وتقوم على مستوى المنهج والمفهوم والمحتوى؛ فأى منهج يختار الدارس للوقوف على خبايا وتصنيفات الإنتاج الثقافي العربي، أهو المنهج التاريخي القائم على النص أو النقل، أم منهج عمودي فلسفي تأويلي يتأسس على العقل؟ ومن ناحية المفهوم يأخذ مفهوم فكر ويحلله ويقارنه من حيث المعنى بين دائرتين مختلفتين، الأولى دائرة الخطاب الديني

الإسلامي بشروطه المنهجية الأصولية المتعارف عليها، والثانية دائرة الخطاب الفلسفي بقواعده وشروطه العقلية الدقيقة الصارمة، ومن الظاهر أن الاختلاف ناشئ عن تحديد أغراض هذا الفكر في ذاته، إذ قد يقصد إلى الوصول إلى استنباط فقهي أو إلى توفيق بين مصادر أصيلة ودخيلة أو إلى الدفاع والرد. أما من ناحية المحتوى، فيرتبط بمفهوم المعاصرة، معاصرة العربي المسلم لقضاياها مع ما يرتبط بهذا من تحديات ..

ويرى الأستاذ عبد الرزاق قسوم أنّ إشكاليات ثقافية أيضا تعبر عن التآزم الحاصل في الفكر العربي الإسلامي، فالثقافة عندنا تقوم على دعامتين؛ إحداهما دينية وأخرى دنيوية، وهذه الخاصة تجعل من مجمل القيم الثقافية تعبر من المفهوم اللغوي إلى المفهوم الحضاري، ومن هنا نتساءل إن كان جوهر هذه الثقافة هو التراث المحلي المحدود بحدود البيئة الإقليمية القبلية والتقليدية مضافا إليها المعتقد، أم أنها في جوهرها عقدية مع بعدها الشمولي إضافة إلى خصوصيات محلية. وينجز عن هذا التساؤل الكبير، كل ما يتعلق بهذه الثقافة الإسلامية من تنوع؛ إذ نتساءل هل لهذه الثقافة أن تمثل مرجعا موحدًا ماثلا في كل أجزاء العالم الإسلامي، أم ينبغي الأخذ بعين الاعتبار محلية الأجزاء وإقليمية الخصائص حتى لا يؤدي الأمر إلى صدام في النهاية؟ ثم ما موقع الثقافة الإسلامية من موجة العولمة، وتعدد التيارات الفكرية العالمية، أي بين ما هو محلي إقليمي وما هو خارجي معولم؟ ضمن هذه الإشكالية تنشأ التيارات الثقافية بوصفها روافد لمدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، باحثة عن حلول لقضايا شديدة الأهمية أبرزها أزمة الانتماء والصراع على الهوية، الموقف من التراث..

وكما سبق، تناول الأستاذ قسوم هذه الإشكاليات وغيرها، وقدم لها تشريحا موضوعيا ونقديا خاصا به، وليس هدفنا هنا الوقوف على جوانب كل هذا، بل حسبنا الإشارة إلى ما اتسم به في الجانب الفكري والأكاديمي من عمق التحليل ودقة الطرح ورفع الأسلوب.1

## السادس عشر - عمار طالبي

شخصية علمية جزائرية مرموقة من مواليد سنة 1934، له إسهامات عديدة في الفلسفة والفكر الإسلامي عموماً، على مستوى التحقيق والتأليف والمشاركات العلمية المتنوعة، حصل على الجائزة التقديرية للمفكرين الجزائريين المسلمة من قبل رئيس الدولة الجزائرية، وعلى جائزة المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، ومعهد الدراسات المستقبلية بلندن بالاشتراك مع أحد الباحثين السودانيين سنة 1996.

في الجانب العلمي الأكاديمي، حصل الدكتور عمار طالبي سنة 1971 على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة الجزائر، عن بحث حول نقد أبي بكر بن العربي للفلسفة اليونانية، مع تحقيق كتاب "العواصم من القواصم".

لكنه قبل هذا مرّ بمجموعة من المحطات في تحصيله العلمي، من أبرزها: تخرّجه من جامعة الزيتونة بشهادة "التحصيل" ما بين سنتي 1951-1958. وحصل سنة 1969 على الماجستير من جامعة الإسكندرية من خلال بحث عن آراء الخوارج الكلامية، وتحقيق كتاب "الموجز في علم الكلام" لأبي عمار عبد الكافي الإباضي. إضافة إلى هذا، وبعد الدكتوراه التي أشرنا إليها أعلاه، حصلَ دراسة علمية في الفلسفة واللغة الانجليزية من جامعة كمبردج وأكسفورد وأدنبره ببريطانيا، في إطار المجلس الثقافي البريطاني، سنتي 1975-1976. وبعد ذلك، أنجز بالولايات المتحدة الأمريكية، ما بين سنتي 1981-1982 بجامعة هارفارد HARVARD UNI دراسة علمية في الفلسفة واللغة الانجليزية .

أما عن المحطات المهنية فهي كثيرة أيضاً؛ فلقد اشتغل أستاذاً مساعداً بجامعة الجزائر، وبالضبط في كلية الآداب، معهد الدراسات العربية ما بين سنتي 1963-1964، ثم أستاذاً محاضراً في قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الجزائر ما بين 1971-1974، وأستاذاً في هذه السنة الأخيرة، وهو مستمر في عمله البيداغوجي والأكاديمي إلى يوم الناس هذا.

وكان قد تقلد جملة من المسؤوليات الأكاديمية والإدارية الراقية خلال مشواره، من أهمها رئاسة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، في سبتمبر 1984. وكان قبلها

عميدا لمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر 1982-1984. كما كانت له قبل ذلك مسؤولية رئاسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الجزائر 1970-1975. و إلى جانب هذه المسؤوليات كانت له مسؤوليات خارج الوطن، إذ اشتغل أستاذا ورئيسا لقسم الفلسفة بجامعة قطر 1990-1999 .

وبالموازاة مع العمل الأكاديمي والإداري، كان الدكتور عمار طالبي عضوا فاعلا في عدد كبير من اللجان العلمية الوطنية والدولية المتعلقة بقضايا البحوث العلمية والتعريب والترقيات والمجلات منها.

- عضو سابق في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، مسؤول الشؤون الثقافية فرع الاتحاد بتونس. وهو مجاهد ومناضل في جبهة التحرير الوطني.

- نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى اليوم، ورئيس تحرير جريدة البصائر.

- عضو مؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. 2004.

- عضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية سنة 2006.

- رئيس اللجنة الوطنية للعلوم الاجتماعية بوزارة التعليم العالي بالجزائر 1978-1980

- عضو اللجنة الوطنية لتعريب العلوم الاجتماعية.

- رئيس تحرير مجلية (حولية) كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية قطر.

- عضو ترقية الأساتذة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة قطر 1995-1997.

- عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

- عضو لجنة التحكيم لنيل الجائزة العالمية لمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

عضو لجنة تحرير مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت.

- عضو لجان المناقشات (إشرافا ومناقشة) لعشرات الدراسات العليا..

مؤلفاته:

للدكتور عمار طالبي مؤلفات نوعية كثيرة منها:

- مدخل إلى عالم الفلسفة، مقرر بجامعة قطر لتدريس الطلبة، دار الحكمة.
- تحقيق شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب، 1996، نشره مركز الوثائق والبحوث الإنسانية، جامعة قطر.
- تحقيق كتاب الكليات في الطب لابن رشد بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور سعيد شيبان أستاذ الطب، نشره اتحاد الأكاديميات الدولي، بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية القاهرة 1989.
- اصطلاحات الفلاسفة 1992.
- ابن باديس حياته وأثاره، أربعة أجزاء، دمشق 1968.
- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية، جزآن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976.
- آراء الخوارج الكلامية، وتحقيق كتاب الموجز في علم الكلام لأبي عمار عبد الكافي الإباضي، جزآن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- تحقيق كتاب مبادئ أصول الفقه لابن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978.
- تحقيق كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، ش و ن ت، الجزائر 1986
- تحقيق كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي الجزائري، ش و ن ت، الجزائر، خمسة أجزاء.
- عقائد السلف، بالاشتراك مع الدكتور علي سامي النشار، منشأة المعارف الاسكندرية، 1970.
- دراسة وتحقيق "ثمره الحكمة لابن الهيثم" الدوحة 1998.

- تحقيق كتاب المختصر في علم الأصول الحديث لابن النفيس، الجزائر 2005.
- تحقيق كتاب إيضاح المحصول من برهان الأصول للإمام المازري، دار الغرب الإسلامي، 2004.
- وللدكتور عمار طربي أبحاث راقية في مجالات العلوم الثقافية الإسلامية، تُظهر تضلعاً لافتاً في قضاياها، وعمقا في التحليل ودراية واسعة بتفاصيله، ومن أبرز هذه الأبحاث يمكننا أن نذكر:
- النظرية السياسية عند ابن رشد، ألقى في مؤتمر ذكرى مرور ثمانمائة سنة على وفاة ابن رشد، الجزائر 1979، ونشر ضمن أعمال المؤتمر.
- تأثير الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الغربية، ألقى في مؤتمر علماء المسلمين بمناسبة الدخول في القرن الخامس عشر الهجري، إسلام آباد، 1981، وقد أعيد نشره عن دار كنوز الحكمة مؤخرًا.
- مفهوم الثقافة، ألقى في المؤتمر الرابع لرابطة الجامعات الإسلامية، كوالالمبور، ماليزيا، 1988.
- أصول الفقه وفلسفة القانون المعاصرة، ألقى في مؤتمر ابن رشد، تونس 1998، ونشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس سنة 2000.
- دراسة نقدية لما نشر من أعمال ابن رشد الطبية، مؤتمر ابن رشد المنعقد بمراكش 1999.
- التجديد الفلسفي عند الشيرازي، الدوحة سنة 1999.
- ابن الهيثم، دراسة لكتابه "حل شكوك أصول إقليدس وشرح معانيه" نشر في الإمارات العربية المتحدة، في مجلة آفاق ثقافية سنة 1999.
- الفارابي المري، نشرته اليونسكو، في باريس 1997.
- نظرة نقدية للثقافة العربية، الدوحة 1998.

-الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم، ألقى في مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، عمان سنة 1998.

-منهج ابن رشد العلمي من خلال كتبه الطبية القاهرة سنة 1993.

-دراسات في الفلسفة والفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ..

كانت هذه بعض المحطات المنيرة في سيرة الأستاذ الدكتور عمار طالبي، وقد أغفلنا الكثير منها بسبب كثرة الإسهامات، ومن المفيد أن نركز شيئاً ما على الجوانب الفكرية من هذه الخبرات العلمية الطويلة.

ومن المفيد أن نلاحظ أنّ كثرة التحقيقات العلمية التي أنجزها الدكتور عمار طالبي طيلة مشواره ، ترجع بالتأكيد إلى اهتمامه بالمؤلفات المرجعية الهامة التي تحفظ ثوابت الأمة الجزائرية ومبادئها، كما هو الحال مع كتب عبد الحميد بن باديس، رمز الأمة وملهم نهضتها، الذي يقول عنه عمار طالبي في المدخل المطول الذي جاء بعد تقديم مالك بن نبي لكتاب ابن باديس: "إنّ تلك اللحظة التاريخية كانت تنتظر شخصية كشخصية ابن باديس تقوم بدور ثوري، يعبر عما يختلج في النفوس من قلق وأمل، ويضيء الطريق أمام الحائرين، ويجمع الشتات، ويوجه الطاقات، ويحي الشخصية الإسلامية التي أتاها البلاء من كل مكان، وأصابها القرح، وتكالت عليها ذئاب الغرب، وهكذا جاءت الأيام بالمولود الجديد، منقذ الأمة وقائدها لصنع مصيرها، وخلق تاريخها "

إنّ هذا التشخيص والوعي بالواقع المتأزم للأمة الجزائرية والإسلامية عموماً، والسعي نحو معالجة الأبعاد المتشعبة فيه، هو ما كان يدفع الأستاذ الدكتور عمار طالبي إلى العمل المستمر مع العلماء والمفكرين العرب من أجل الانتقال إلى مجتمعات معاصرة قائمة على العقل، وليس على التقليد الأعمى ومن هنا تظهر لنا مواطن القوة والتميز والتأثير في حياة

الأستاذ الدكتور عمار طالبي أيضا، خاصة "مساهمته الجادة في بناء ودعم خط الأصالية المتميزة في المنظومة المعرفية والتربوية والثقافية الجزائرية خاصة، بما كان ينشره من مقالات ودراسات أصيلة، وما كان يؤلفه ويحققه من كتب نفيسة، كرائعته مجموعة «أثار الإمام عبد الحميد بن باديس»، وآراء ابن العربي الكلامية، وتحقيق ونشر كتاب العواصم من القواصم، وتحقيق ونشر تفسير الجواهر الحسان للثعالبي، واختصاره لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، الذي ينشر إلى اليوم في سلسلة حلقات في أسبوعية البصائر".

وضمن هذا الإطار، لا يجب أن نغفل عن محطة هامة في حياة الأستاذ الدكتور عمار طالبي وهي التقاؤه بأستاذه المفكر الكبير مالك بن نبي، فلقد ارتبطا وتصادقا مبكرا عندما كان عمار طالبي طالبا في القاهرة، وهذا ما يشير إليه الأستاذ مالك بن نبي نفسه في مقدمة كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" مثلا، وقد استفاد الطالب من أستاذه من حيث "منهجه التحليلي النقدي المتوازن كثيرا، كما استفاد من رساليته ونظافته المتميزة، ووطنيته الصميمة الخالصة". ومثل هذا كثير، لأننا نعثر في الدراسات الدقيقة التي أنجزها الأستاذ الدكتور عمار طالبي، ليس فقط على إشارات واضحة بالعلماء المسلمين القدامى الأفاض الذين أسهموا في الوصول بالفكر الإنساني إلى ما هو عليه، وفي تقدم المناهج والمضامين العلمية التي تؤدي إلى رقي المجتمعات، بل نعثر في دراساته على تحليل معمق لمكامن القوة التي أتى بها هؤلاء، وكيفيات الاستفادة منها، وهو على كل حال الهم الذي يتشاركه مع المفكرين العرب المعاصرين. 3

شاركها

## السابع عشر - محمود يعقوبي (1931-2020)

لا ينبغي في حديثنا عن أعلام الجزائر المعاصرين أن نغفل شخصية الأستاذ الدكتور محمود يعقوبي، ليس فقط من أجل أعماله العلمية والأكاديمية فحسب، ولكن لجهوده الكبيرة في المجال البيداغوجي والتعريب والتعليمية وتدريس الفلسفة في الجزائر.

هو من مواليد مدينة الأغواط جنوبي الجزائر، تخرّج من جامع الزيتونة في تونس بشهادة الثانوية، وحصل في وقت لاحق على شهادة الليسانس في الفلسفة من جامعة دمشق، وبعد ذلك على شهادة الماجستير ثمّ الدكتوراه من جامعة الجزائر، اشتغل في وقت مبكر أستاذا للفلسفة، والتحق بسلك المفتشين حيث ترك أثرا طيبا ومفيدا عند مجموع الأساتذة الذين اشتغل معهم مدربا وموجّها. وكانت جامعة الجزائر محطته المهنية التالية، حيث اختصّ في تدريس وحدات المنطق والميتافيزياء في معهد الفلسفة في مرحلتي الليسانس والماجستير، قبل أن يلتحق بالمدرسة العليا للأساتذة في المدينة نفسها، ساعيا إلى الهدف نفسه، وهو تخريج الكفاءات وعقول المستقبل.

ومن أجل هذا، ظلّ الأستاذ الدكتور محمود يعقوبي "منافحا عن التعليم في وجه ما أصابه من تشويه وضعف فكريين ولغويين رأى أنهما السبب الرئيسي في ما لحق به من انحطاط. وقد بنى رؤيته لمواجهة هذا الواقع على توجيهين أساسيين: ضرورة إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية بوصفها عمود التفكير وأساسه، معتبرا أنّ أي مساس بها إنما هو مساس بالتفكير في حدّ ذاته، وضرورة الاستناد إلى المنطق كوسيلة للفهم والاستدلال الصحيح؛ حيث لا يستقيم التفكير دونه".

ورغم تركّز جهودات الدكتور محمود يعقوبي على مجال المنطق والتعليمية، فإنّ مؤلفاته كانت متنوعة، ومساهماته في الفكر الإسلامي العربي وتحليلاته حول التراث والنهضة ليست أقلّ شأنًا، ومن أبرز ما ألف يمكن أن نذكر ما يلي:

-الوجيز في الفلسفة 1971، وقد كان لهذا الكتاب وقع هائل على المشتغلين بالتدريس في الفلسفة في الجزائر آنذاك، بسبب قلة الكتب المماثلة باللغة العربية.

-مدخل إلى المقالة الفلسفية 1981.

-ابن تيمية والمنطق الأرسطي: الأصول التجريبية لنقد المنطق المشائي 1992.

-دروس في المنطق السوري 1993.

-المنطق الفطري في القرآن الكريم 2000.

-مسالك العلة وقواعد الاستقراء بين الأصوليين وجون ستيوارت ميل.

خلاصة الميتافيزياء أربعة أجزاء 2002.

-أصول الخطاب الفلسفي.

-المختار من النصوص الفلسفية (ترجمة- 1970).

-المنطق السوري ل: جول تريكو (ترجمة)

-مدخل إلى فلسفة المنطق ل: دوني فرنان (ترجمة 2005).

-أساس الاستقراء ودراسات منطقية ل: جول لاشولي (ترجمة 2003)

-المنطق والمنطق الشارح ل: ماري لويز رور (ترجمة: 2009).

وترجم أيضا جملة من كتب الفيلسوف الفرنسي روبير بلانشي، منها: "الاستدلال"، "المدخل إلى المنطق المعاصر"، "الاستقراء والقوانين الطبيعية" 2003، "المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل"، "الإبستيمولوجيا- نظرية العلم" 2004، "المصادريات" 2005، "مدخل إلى المنطق المعاصر" 2006، "العقل والخطاب: دفاع عن المنطق الفكري" 2010 "

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ الحقل التعليمي والتدريس لم يمنعا الأستاذ محمود يعقوبي من التأليف والترجمة وإثراء المكتبة العربية، لاسيما في المجال المنطقي، حيث لا يضاويه أحد فيه تأليفا وترجمة، وهو المعلم والأستاذ المنظر في التعليم المؤسس لتعليمية الفلسفة في

الجزائر، وهو المجاهد المثابر في التأليف بلغة الضاد مترجما ومبدعا، وهو المنهجي الواقف على أبواب المعرفة طالبا حقائقها وتسليمها لغيره من طلاب علم وأساتذة ."

ويتفق المنصفون من المتابعين لمساهمات الأستاذ الدكتور محمود يعقوبي على فضله في إنضاج جانب مهمّ من المشهد العلمي والثقافي في الجزائر، إذ يعود إليه فضل " وضع لبنات البناء العقلي الفلسفي في الجزائر، ذلك أنه ولج مجالا، كانت الفلسفة فيه تعاني من الجهل لغربتها في مجال ثقافي محدود، ولانسلاخها لأنها تقدّم من منظور أجنبي، لقلّة قليلة، منبته، لا تملك انتماء حضاريا، ولا قبولاً لدى الأصول الفلسفية ."

وفي هذا السياق يمكن القول إنّ الأفكار والتوجّهات الفكرية التي تتضمنها كتب الأستاذ يعقوبي تنسجم تماما مع محددات التربية والهوية والثقافة الجزائرية، لأنه كان يدرك أنّ ما يصنع مجد ومستقبل الأمة ليس هو انسلاخها من ماضيها، بل تمسكها المستمرّ بانتمائها الحضاري، وتواصلها الوثيق بتراثها، وهو ما يشكل محطة الانطلاق نحو كل تحديث محتمل ومأمول .

لقد شكلت المرجعيات التي تأسست عليها الحياة الثقافية والأخلاقية للمجتمع الجزائري أهم الروافد المعرفية في شخصية محمود يعقوبي، ويمكن الإشارة هنا إلى الدور الذي أدّته الكتابات والزوايا التي كانت الملاذ الذي احتفى به الجزائريون في مواجهة محاولات الطمس والتشويه التي مارستها القوى الاستعمارية. ويرى الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم أنّ ثمة مجموعة من العوامل ساعدت في تكوين الأستاذ يعقوبي وصقل موهبته وعلى تأصل الاستعداد العقلي الفلسفي لديه، منها النشأة في الواحات الطبيعية الخصبة التي يطبعها صفاء الذهن، وبساطة العيش وخضرة الطبيعة وفساحة الافق، وأصالة الانتماء، ونجد كل هذا في مدينة الأغواط. ومن عوامل ذلك أيضا أصالة التكوين الأول، حيث انتقل الأستاذ من الأغواط إلى قسنطينة، مدينة الإصلاح، وإلى معهد عبد الحميد بن باديس حيث التنوع الإقليمي داخل بوتقة الثقافة الإسلامية المتأصلة القائمة على الثوابت الوطنية، مع ما يميزها من صلابة وتوازن.

وكان اكتساب الأستاذ يعقوبي للثقافة الأجنبية عاملا مساعدا آخر، فلقد استفاد منها وطوعها لمقاصده ومقاصد ثقافته، فأنتج بها الترجمات المتعددة، فتح الله بها مختلف العقول على ثقافة الآخر الفلسفية، عبر مجال المنطق والاستدلال، قديمه وحديثه، وبمختلف مكوناته. وكان لهذا الانفتاح أثره البالغ في إيجاده للتوازن بين الاستدلال القرآني، والاستدلال الفلسفي البرهاني، مما أنتج فكرا منفتحا لا يضيق بالاختلاف بين الثقافات. كما لا يمكن هنا إغفال بصمة جامعة دمشق في التكوين العلمي للأستاذ يعقوبي، فهي معلم ثقافي لافت في العالم العربي، لا يقبل الانغلاق الفكري ولا التزمت المذهبي، وإليها يرجع فضل تكوين البعثات العلمية والعناية بتحصيلها العلمي المتعدد التخصصات .

### الثامن عشر - محمد تازروت (1893-1973)

لم يحظ محمد أو محند تازروت هو الآخر بالعناية التي يستحقها، رغم أنه من الكفاءات الجزائرية النادرة، وحتى بعد عقود طويلة من الاستقلال لا يزال اسمه قليل التداول لدى النخبة الجزائرية فضلا عن أعماله ومؤلفاته .

هو فيلسوف جزائري وكاتب ورحالة، ولد في بلدة تسمى "أغريب" قرب "عزازقة" بمنطقة القبائل، وتوفي في طنجة سنة 1973. كانت بداية التحصيل العلمي لديه في مسقط رأسه حيث حصل على التعليم الابتدائي بعد دراسته القرآن والعربية على يد أبيه، ثم درس في مدرستين فرنسييتين في القصبية، وتمّ قبوله في معهد للمعلمين في بوزريعة سنة 1912. اشتغل مدرسا في "ثنية الأحد"، لكن الأمر لم يدم طويلا، إذ اختار الهجرة لاستكمال الدراسة في القاهرة حيث كان يتردد على الأزهر. وتفتحت أمامه في سنة 1913 أسباب الترحال واستكشاف الثقافات والحضارات، فانتقل في بداية الأمر إلى الشرق، إيران وروسيا والصين، فتعلم لغاتها واطلع على ثقافتها. وبعودته إلى أوروبا، زار ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا. وبعد ذلك توجه نحو إفريقيا؛ المغرب، مالي، الجزائر. تمّ تجنيده في الحرب العالمية الأولى سنة 1917 في فرنسا، وعاش أوقاتا صعبة إثر تعرضه للإصابة والاعتقال فكان مصيره السجن في ألمانيا. ومع نهاية الحرب اتجه للتحصيل العلمي من جديد وحصل على ليسانس في اللغة

الألمانية وهو ما فتح له آفاق علمية واسعة النطاق فترجم بعض الأعمال الفكرية الضخمة مثلما سنذكر. بعد مدة من التدريس، عاد إلى الجزائر وأقام في الأغواط وغرداية ويسكرة، وانتقل بعدها إلى تونس ثم طنجة حيث وافته المنية .

من أهم أعماله يمكن أن نذكر:

- كانت ترجمة المؤلفات الفلسفية والأدبية الكبرى إلى الفرنسية هي ما اشتغل عليه في البداية، وكان كتاب أوزفلد شبنجلر *Le déclin de l'occident* " أفول الحضارات" هو أول مؤلف ضخم عمل على ترجمته، وهو يقع في خمسة أجزاء في كل منها زهاء 300 صفحة، غاليمار 1931 .

-ترجمته لكتاب كارل بروكلمان Brockelmann :

- Histoire des peuples et des Etats islamiques : تاريخ الشعوب الإسلامية :  
depuis les origines jusqu'à nos jours » Paris Payot 1949.

- Au congrès des civilisés, 1955 à 1959.

-Essai génétique sur la race, les peuples, les nations, la démocratie.1959.

-Les problèmes de la coexistence pacifique.1960.

- Histoire politique de l'Afrique du nord 1961.

-Manifeste contre le racisme.1963.

كانت هذه بعض أهم الكتب التي اشتغل عليها محمد تازروت، ولكن إسهاماته الفكرية أوسع من هذا بكثير، ورد بعضها في شكل مقالات في مجلات علمية متخصصة، وبعضها الآخر في شكل كتب خاصة تتعلق بألمانيا أو بفرنسا من نواحي عديدة فكرية

واجتماعية وتربوية.. ويذكر جاك فورنييه أنّ محمد تازروت وضع ترجمة للقرآن إلى اللغة الفرنسية في آخر حياته ولكنها بقيت مخطوطة ولم تعرف طريقها إلى النشر إلى يومنا .

ويهمنا هنا بشكل خاص أن نتحدث عن بعض مواقفه المتعلقة بالجزائر وبثورتها التحريرية، فلئن كان في البداية من الداعين إلى المساواة والاندماج والسعي إلى تحصيل الحقوق، إلا أنه عدل عن كل ذلك وراح ينتقد المنهجيات الاستعمارية والمجازر المتتالية التي كان يرتكبها، وأكثر من ذلك راح يصبّ جامّ غضبه على المؤرخين والمستشرقين الذين شكلوا سندا قويا للآلة الاستعمارية، من خلال التلفيق والانتقائية المنحازة، وعملوا على تلميع صورة الاستعمار وإخفاء الحقائق وبالتالي التلاعب بالتاريخ، تاريخ الشعوب المضطهدة وعلى رأسها شعوب شمال أفريقيا والجزائر بشكل خاص، التي سعوا إلى التفريق بين مكنوناتها "حينما أبرزوا الجانب القبائلي البربري على حساب العربي، إذ اعتبروه أكثر تقبلا للتحضر والاندماج وقريبا من الديانة المسيحية. وقد لعب المستشرقون دورا كبيرا في تعميق هذه النظرة، ما جعل تازروت يتصدّى لهم، وينتقدهم بكثير من الموضوعية والجرأة، حيث كشف تلاعبهم وحيلهم ونظرتهم إلى الشرق الذي تخيلوه وأرادوا تسويقه للآخر، فكان أن قام بتصحيح الكثير من المغالطات التي وقعوا فيها، مثلما فعل مع المستشرقين جورج مارسيه ولويس ماسينيون "

# الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا الذي كرسناه للنظر في أعلام الفكر الجزائري في عصوره المختلفة، لآح لنا أن النتائج التي توصلنا إليها قد حددت على النحو التالي:

1- إن التعريف بأعلام الجزائر بحسب الحقبة التاريخية المختلفة قد قدم لنا في هذا البحث تصورا راضي حول السياق المعرفي والتاريخي المواكب للمتخرج لهم، و هو امر مهم جدا لأجل إبراز أهمية اسهامات هؤلاء الأعلام في شتى مجالات الفكر و الثقافة وقراءة مصادرها مباشرة من دون تشويه أو تحريف، ومن ثم اخراج هذه المصادر من سجن الرفوف و المخطوطات المنتشرة هنا و هناك، إلى فضاء القراءة الموضوعية و التحليل النقدي النزيه.

2- لقد بدا لنا أن تناول الفكر الجزائري القديم أو الفكر الأمازيغي المرتبط بحضارة شمال افريقيا قد أضحى في الفترة الأخيرة محور نشاط فكري متميز من الدارسين الأكاديميين الذين أكدوا على ضرورة إدراج أعلام هذا الفكر ضمن الموروث الثقافي الوطني ، بل ينبغي التعريف بفكرهم واسهاماتهم في التراث العالمي و الانساني، لأن الاقصاء و التهميش لا يمثل في واقع الأمر إلا مبررا ايديولوجيا لا يخدم حرية الفكر و احترام ثقافة الآخر، و هكذا وجدنا أن شخصية يوبا الثاني ثقافية فذة في تاريخ الأمازيغيين اعتمدت على المقاومة الثقافية ضد الرومان. وأيضا، يمثل لوكيوس أبوليوس أبرز مفكر من شمال افريقيا متأثر بالفلسفة اليونانية، ثم إن الحركة اليونانية التي ترجع في أصولها إلى الزعيم الديني الأمازيغي دوناتوس تمثل حركة ثورية دينية اجتماعية و سياسية مناهضة للاحتلال الروماني، و أخيرا، يعد القديس أوغسطين من أبرز الفلاسفة الذين كان لهم شرف تمثيل المرحلة الوسيطية و ذلك من خلال ثراء و خصوبة مشروعه الفلسفي.

3- لقد ظهر لنا أن المرحلة الوسيطية من الفكر الجزائري غنية بالأعلام البارزين في ميادين مختلفة كالفقه والأدب والمنطق والتصوف والتفسير وغير ذلك. حتى وإن كان العصر الوسيط في المستوى السياسي مضطربا ومتدهورا إلا أنه ثمة إشعاع ثقافي تغذي منه المجتمع روحيا وعقليا وقد تزامن هذا بنمو المدن وسكانها ومساجدها ومدارسها، ومن المهم هنا أن نغير بشخصية عبد الرحمان الثعالبي بوصفه كان مدرسا ناجحا وعالما واثقا ومحدثا ومفسرا قويا وصاحب شخصية جذابة، دون أن نتجاهل ما خلفته مؤلفات الونشريسي الفقهية من صدى في المنطقة آنذاك، كما أن عبدالرحمان الأخضرى وشهادة أبو القاسم سعدالله لا يقل أهمية و شأننا عن بقية الأعلام، فهو يبدو أنه كان عقلا رياضيا أكثر منه عقلا صوفيا يميل الى الغموض والروحانية.

4- لقد استخلصنا من خلال رصد أعلام الفكر الجزائري في العصر الحديث أنه كان ثريا بالمنجزات الفكرية ويتنوع الميادين العلمية لهؤلاء الأعلام، ولعله من المناسب القول هنا أن هذا الفكر يتأطر بجملة من الأحداث تبدأ من الحماية العثمانية للجزائر إلى الاحتلال الفرنسي وما تبعته من حركة مقاومة طويلة وبطولية، وهذا الوضع قد أدى الى ظهور العديد من الشخصيات الفكرية من أمثال حمدان خوجة الذي يعد مصدرا هاما في تاريخ الجزائر أثناء الفترة الأخيرة من العهد العثماني و الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي، وقد توصلنا إلى أن فكره النهضوي يضعه في مصاف كبار دعاة النهضة العربية مثل الطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهم، كما أن الأمير عبد القادر الجزائري وقد استأهل أن يكون علما بارزا في دنيا السياسة وعالم الفكر، يحظى بالاحترام بفضل قيم السلم والمصالحة والتسامح الذي آمن بها ودعا إليها ومارسها عمليا. وهناك أعلام آخرون لم يبتعدوا عن هذا التميز والابداع الذي يمثل هذه المرحلة الهامة من تاريخ الفكر الجزائري .

5- أما الفكر الجزائري المعاصر، فقد لاح لنا من خلال رصد الكثير من أعلامه البارزين و في مختلف المشارب و الاهتمامات الفكرية، أنه قدم اسهامات في إطار التبلور غير أنه يفتقر إلى التنظيم و الأحكام و الانسجام بمعنى أنه عبارة عن مشاريع تتطوي على الطابع النضالي المرتبط بالأحداث السياسية حيناً، وبالسجلات الايديولوجية حيناً آخر، و هذه المشاريع منفصلة عن بعضها البعض يعوزها الحوار و التعايش، بل و يحكمها في كثير من الأحيان الطابع التنظيري و التأطير الايديولوجي، بيد أنه من الانصاف أن نقر بأهمية مشروع مالك بن نبي الحضاري و بجدوى مشروع محمد أركون المتكامل في قراءة معاصرة للتراث العربي الاسلامي، و بالطابع الديني و الأخلاقي لفكر عبدالحميد ابن باديس و غيره من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ولذلك، فإن الاسهام الذي ظهر في اطار هذا الفكر المعاصر، من خلال النماذج المدروسة في هذا البحث، وبالرغم من أهميته، فهو اسهام يحملنا على ضرورة اعادة قراءته على مستوى الرؤية الفكرية، وعلى مستوى المنهج المتبع والنتائج المستخلصة.

6- إن معالجة مسألة تاريخ، الفكر الجزائري تحملنا على ضرورة ادراك درجة الاستفادة منه را هنا في سياق الفكر العربي الاسلامي المعاصر خاصة في العولمة الثقافية التي لا تزال تؤثر بالكثير من سلبياتها في الثقافات المحلية، و عليه، فإن التعريف بالشخصيات العلمية و مؤلفاتها، وهذا باختلاف حقبة الزمنية و ابراز تنوع عطائها المعرفي والمنهجي، لهو تحدي كبير تفرضه الظروف الراهنة خاصة مع تطور مجتمع المعلومات والمعرفة و انظمة الاعلام و الاتصال، بحيث توظيف هذا المشهد الرقمي الراهن في اقناع الجيل الجديد من الشباب الجزائري بأهمية هؤلاء الأعلام وما قدموه للجزائر طيلة تاريخها العريق.

## التوصيات:

و بما أن الفكر الجزائري ما زال لم يمتلك شرط بناءه الكامل بعد، و خاصة التحرر من العائق الإيديولوجي والثقافة المناسبتية، فإننا نوصي بما يلي:

أولاً: إدماج الفكر الجزائري ضمن مشروع ثقافي و شامل تشرف عليه وزارة الثقافة والفنون، من خلال تشجيع البحوث العلمية واستثمارها في إطار نظرة موضوعية شاملة تستجيب لحاجات الانسان الجزائري.

ثانياً: الاكثار من عقد الندوات العلمية و الملتقيات الوطنية و الدولية للتعريف بأعلام الجزائر و الاستفادة من الخبرات و الكفاءات الوطنية و الدولية على حد السواء.

ثالثاً: دعوة دور النشر الوطنية و العربية و الدولية على طبع المؤلفات الخاصة بهذا الفكر، و بمختلف اللغات الأجنبية، حتى يتسنى التعريف بهؤلاء الاعلام في فضاء الفكر العالمي كله.

رابعاً: إقامة جوائز سنوية لأحسن مؤلف أو بحث أو دراسة حول أعلام الفكر الجزائري و تكون تحت سلطة الدولة الجزائرية.

خامساً: دعوة وسائل الاعلام اذاعية وتلفزيونية خاصة، إلى ضرورة إخراج أشرطة وثائقية أو أفلام أو مسلسلات حول موضوع الفكر الجزائري و أعلامه ومسائله المختلفة.

## قائمة المصادر والمراجع

- بشير فايد، الإمام محمد البشير الإبراهيمي، داعية الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013م.
- محمدالبشير الإبراهيمي حياته وأعماله بقلمه، جمعها محمد بوزواوي، دار البشير الإبراهيمي للكتاب، الجزائر، ط1، 2006م.
- يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحية عند الإمام البشير الإبراهيمي، المكتب الإسلامي، دار الوعي، بيروت، عمان، ط1، 2007م، (بتصرف).
- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمعه وقدم له احمد طالب الإبراهيمي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م .
- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت، 1971م، الجزء2.
- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، الجزء2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015م،
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م،
- ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1.
- عبد القادر بوياية، عرض وتقديم كتاب البستان، مجلة التاريخ العربية، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، العدد62.
- عبد الله واسيني، منهج أبي عبد الله بن مريم المديوني، في الترجمة لعلماء تلمسان في كتابه البستان، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 18، جوان 2017

- عيسى بن محمد الراسي البطوني، مطالب الفوز والفلاح، مخطوط رقم 1667م، الخزانة الحسنية، الرباط، د.ت.

- بكير بن سعيد أغوشست، محمد بن يوسف أطفيش حياته-آثاره الفكرية، جهاده، مكتبة الغامري، للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.

- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الأول، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1965م.

- شرف الدين بن دوبة، لوكيوس أبوليوس (أفولاي) ورحلة البحث عن الهوية، مجلة أبوليوس، جامعة سعيدة، العدد6، جانفي 2017م.

- لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي نقلا عن شريف الدين بن دوبة.

- لوكيوس أبوليوس، كتاب الأزاهير، تحقيق علي فهمي خشم، كتاب الشعب، 1979م.

- تشارل أندريه جوليان، تعريب محمد مزالي، البشري بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م،

- الموسوعة العربية العالمية، الجزء الأول، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2،

1999م،

- لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة د/أبو العيد دودو منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار

العربية للعلوم، بيروت، ط3، 2004م،

- عبد السلام بن ميسى، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، دار النشر، IDGL،

المغرب، ط2، 2010م.

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ 05/12/2017م، بعنوان "لوكيوس أبوليوس".

- بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضر، العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بلاد النشر،

الجزائر، ط2، 2009م.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م.

- عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجة كليوباترة سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007م.
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، الدكتور محمد ابن أبي شنب، نسبه، نشأته، علمه، أخلاقه، آثاره، مطبعة إيميل بنسير، الجزائر، 1932م.
- أوغسطينوس أوريليوس : في الحياة السعيدة، ترجمة: يوحنا الحلو ، دار المشرق، بيروت ، ط1، 2007م.
- الاعترافات، ترجمة: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط4، 1991م.
- إلهي أعترف لك، ترجمة: بانوب عوض، كنيسة الشهيد مارجرس، د.ط، د.ت.
- حديث الربّ مع السّامرية؛ رابح النفوس العجيب، ترجمة واعداد: الزّاهب القمص مرقوريوس الانبايشوي، مكتب النصر للطباعة، القاهرة، ط1، 2007.
- لنفرح بميلاد المسيح، ترجمة: نصحي عبد الحميد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، 2011م.
- مدينة الله، المجلد الأول، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت/ لبنان، ط2، 2006م.
- مدينة الله؛ المجلد الثاني، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2 ، 2006م.
- مدينة الله، المجلد الثالث، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت/ لبنان، ط2، 2007م.
- محاورة الذات، ترجمة: الحور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2005م.
- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية؛ الجزء 2 الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2010م.

- بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009م.
- جونو وبونجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، ترجمة علي زيغور وعلي مقلد، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1993م.
- حسن حنفي، نماذج من الفلسفة الوسيطة في العصر الوسيط؛ أوغسطين، أنسلم، توما الإكويني، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، ط2، 1978م.
- رأفت الشّيح: تفسير مسار التاريخ؛ نظريات في فلسفة التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2000م.
- زينب محمد الخضيرى: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء، القاهرة، ط1، 1997م.
- علي زيغور: أوغسطين؛ مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة، دار اقرأ، بيروت /لبنان، ط1، 1973م.
- محمد محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب لعلمية، لبنان، ط1، 1993م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة؛ عصر الإيمان، الجزء 01- المجلد 04، ترجمة محمد بدران، بيروت، 1949م.
- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، ط1، 2014م.
- جورج طريبيشي: معجم الفلاسفة؛ الفلاسفة المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006م.
- عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ،الجزء الأول،المؤسسة العربية ، بيروت ، لبنان .ط1، 1984م.

- أحمد بابا التتبعتي (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) دار الكاتب طرابلس. ليبيا. ط. 2.
- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف ( شجرة النور الزكية في طبقة المالكية) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424. ه. ط. 1. ج.
- محمد بن ميمون الجزائري (التحفة المرضية في الدولة البكديشية في بلاد الجزائر المحمية) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر. ط. 2. 1981
- د. أبو القاسم سعد الله (تاريخ الجزائر الثقافي) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1981. ج. 1. ط. 1.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان.
- محمد عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، الجزائر، 2007.
- حمد نزار أباطة: الأمير عبد القادر العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1994.
- الأمير عبد القادر: المواقف الروحية والفيوضات السبّوحية: اعتنى به الشيخ: عاصم ابراهيم الكيالي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت،
- شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، دت.
- بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري،
- جيلاني ضيف: بُناة المجد (الأمير عبد القادر الجزائري)، دار الخليل العلمية ، ط خ، الجلفة ، 2013 ، الجزائر .
- عبد الرزاق بن السبع: الأمير عبد القادر وأدبه: مؤسسة عبد العزيز، 2000، ص، 212.
- الفارابي أبو نصر: آراء أهل المدينة الفاضلة، منشورات الجمل، ط1، بيروت، 2014،
- العبد الرزاق بن السبع: الأمير عبد القادر وأدبه: مؤسسة عبد العزيز، 2000،
- عبد الرحمن الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1965.

- محمود الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط1 2002.
- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008،
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1. دار الغرب الإسلامي. ط1، بيروت. 1998 .
- مديرية الثقافة المدية: الدكتور محمد بن أبي شنب والاستشراق، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، الجزائر 2015.
- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن
- لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، م1، تر: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001،
- 
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ص169.
- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شهين، ط19، دار الفكر ، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1437هـ/2016م .
- غيرتز كليفورد ، تأويل الثقافات (مقالات مختارة)، ط1، تر: محمد بدوي، مر: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009م .
- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط19، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1984م .
- زكي الميلاد، المسألة الثقافية (من أجل بناء نظرية في الثقافة)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005م .
- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط19، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1984م .
- أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م .

- ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت الجزء 1، 1981.
- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب .
- الونشريسي. أحمد المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب. المحقق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.
- الونشريسي، أحمد، إيضاح المسالك على قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، تحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت ط1، 2006.
- بابا موسى عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت الجزء 1 ط1، 1999.
- توماس إليوت، نحو تعريف الثقافة، ترجمة شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م .
- عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباترة سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- مناد طالب، الأمن الثقافي ضرورة وجودية، ضمن: إشكالية الأمن الثقافي في الجزائر، إشراف د.محمد غازي، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2021م.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1998.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، الجزء الأول، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1996م.
- شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، جزآن، دار الأمة، الطبعة الثانية، الجزائر، 2007.
- أصالة أم انفصالية، جزآن، دار الأمة، الجزائر.

- إنية وأصالة، دار الأمة، الجزائر.
- شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، ط2، دار الفكر دمشق.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط3، دار الفكر، الجزائر، 1988م.
- القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر الجزائر، 1991م.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر الجزائر، 1992.
- مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، 1984م.
- ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، 1989م.
- وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر الجزائر، 1986م.
- الإسلام أوروبا والغرب، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت لبنان، ط2، 2001م.
- الإسلام أصالة وممارسة، ترجمة: خليل أحمد، ط1، 1986م.
- الإسلام الأخلاق السياسة، ترجمة هاشم صالح، منشورات اليونسكو، مركز الإنماء القومي.
- الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت لبنان، ط3، 1998م.
- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1998م.
- قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1، 1998م.
- الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996م.
- عبد الرزاق قسوم: فلسفة التاريخ من منظور إسلامي، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر

1426هـ - 2005م.

- مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأملات في المنطق والمصوب، الطبعة الأولى، دار عالم

الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م.

- عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

1986م.



- تاريخ الجزائر العام، الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت 1980م.
- تاريخ الجزائر الثقافي، د: أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر 2007م.
- تنمية الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، (ط2) سنة 2002م.
- حياة كفاح، مذكرات أحمد توفيق المدني، (ج1) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1988م.
- الجزائر من خلال رحلات المغارب في العهد العثماني، مولاي بلحميسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- رسائل في التراث والثقافة، د: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، سنة 2011م.
- شخصيات ثقافية جزائرية، محمد الصالح رمضان، دار الحضارة، الجزائر، (ط1) سنة 2007م.
- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، د: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط1) سنة 1986م.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفرائي، تحقيق د: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، (ط1) سنة 1425هـ / 2004م.
- صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام، قضايا ومواقف)، د: عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1993م.
- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، دار البصائر، الجزائر، سنة 2009م.
- العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، عمار هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2010م.
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة بالرباط، تصنيف: س. علوش، عبد الله الرجراجي، منشورات الخزنة العامة للكتب والوثائق، (ط2) سنة 2001م.
- القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، تحقيق: د ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ط1) سنة 1991م.

- كتاب الجزائر، الأستاذ أحمد توفيق المدني، دار البصائر الجزائر، سنة 2009م.
- كتاب الوفيات، أحمد بن يحيى الوشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2011م.
- مجادلة الآخر، لأبي قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط1) سنة 2006م.
- محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، الشيخ عبد الرحمن الجبالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1983م.
- المرأة، لحمدان بن عثمان خوجة، تحقيق وتعريب د: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1982م.
- المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، د: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب العربي، تأليف مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط2) سنة 2000م.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، سنة 1980م.
- معجم مشاهير المغاربة، (جامعة الجزائر)، إشراف د: أبو عمران الشيخ، د: ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر سنة 1995م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سرقيس، مصر 1928م.
- معجم المؤلفين، عمر كحالة، طبعة دمشق، سنة 1377هـ.
- معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة، محمد خير رمضان يوسف، الرياض، سنة 2004م.
- من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد الحسن فضلاء، دار هومة، الجزائر، سنة 2000م.
- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، د: ناصر الدين سعيداني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1999م.

- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (مجموعة من الأساتذة)، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، سنة 2003م.
- نثر الجواهر الدرر في علماء القرن الرابع عشر، د: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، (ط1) سنة 2006م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري أحمد التلمساني، دار صادر، بيروت، سنة 1968م.
- نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (ط1) سنة 1991م.
- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط
- ابن باديس ، اثار ابن باديس، اعداد وتصنيف ، د/ عمار الطالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968م، ص 16-1- فهمي سعد، حركة عبد الحميد ابن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب، بيروت، ط1، 1983م،
- ابن باديس ، اثار ابن باديس، اعداد وتصنيف ، د/ عمار الطالبي، المرجع<sup>1</sup> - فهمي سعد، حركة عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق،
- أبو القاسم سعدالله الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب ، بيروت، ط1، 1969م، ص177.
- حسن عبد الرحمان سلوادي، عبد المجيد بن باديس مفسراً، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1998م، ص21.
- فهمي سعد، حركة عبد المجيد ابن باديس، المرجع السابق، ص39-40.
- المرجع نفسه، ص43.
- محمد بسكر، اعلام الفكر الجزائري، الجزء 2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015م، ص398.
- عبد العزيز فياللي، الامام عبد الحميد بن باديس، رائد الاصلاح والتحرر في الجزائر ، مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، ط1، 2013، ص07.
- المرجع نفسه، ص 12-13<sup>1</sup>- يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المكتب الإسلامي، دار الوعي، بيروت، عمان، ط1، 2007م بتصرف.
- سعيد بورنان، الشيخ الفضيل الورتلاني، العلامة الثائر، دار هومة الجزائر، ط2، 2014، ص31.
- البشير الابراهيمي : الفضيل الورتلاني، البصائر العدد 110، 06 مارس 1950، نقلا عن المرجع السابق، ص31.

- محمد الصالح الصديق، اعلام المغرب العربي، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000م، ص608.
- سعيد بورنان، المرجع السابق<sup>1</sup> مولود عويمر، مالك بن نبي، رجل الحضارة، مسيرته وعطاؤه الفكري، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ط2، 2013، ص 9-10.
- مولود عويمر، المرجع السابق، ص12-14 (بتصرف).
- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1984، ص 37-39.
- محمد بسكر، اعلام الفكر الجزائري، المرجع السابق، ص62-63.
- مالك بن نبي، الفكرة الافرو آسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979م، ص61.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م، ص43.
- عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص43.
- عمار طالبي، فكر مالك بن نبي والمجتمع الاسلامي المعاصر، مجموعة مؤلفين مالك بن نبي فكرة وأعماله، منشورات المجلس الاسلامي الاعلى، الجزائر، 2005م، ص 135.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص87.
- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي، حياته، وفكرة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ك1، 2014، ص 348<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص90.
- مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلام، دار الفكر، دمشق، ط5، 1986، ص25.
- مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص 161.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 91.
- مالك بن نبي، شروطها شريف عروس، اشكالية الاصاله والمعاصرة، دراسة في رؤى النخبة الجزائرية، مولود قاسم نايت بلقاسم، رسالة ماجستير غير منشورة، 2007م/2008م، ص 114.
- عبد القادر حمداوي، اعلام الجزائر، اطفالنا للنشر والتوزيع وامتداد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2018م، ص 103.
- سهام شريف عروس، المرجع السابق، ص114-115.
- محمد بسكر، المرجع السابق، ص400<sup>1</sup> مسعود فلوسي، مؤلفات مولود قاسم نايت بلقاسم محاورها الفكرية وقيمتها العلمية، ضمن كتاب الاستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، المفكر الموسوعي والوطني التأثر، الصادر عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، جويلية 2007م، الصفحات 153-167، ص 45.
- مسعود فلوسي، المرجع السابق، ص5.

- مولود قاسم، اينة وأصالة، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1975م، ص206.
- مسعود فلوسي ، المرجع السابق، ص5-7 (بتصرف<sup>1</sup> - محمد سيف الاسلام بوفلاحة، عبد الله شريط المفكر الرائد والفيلسوف المناضل.
- كحيل مصطفى، الألسنية والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف الجزائر، در الامان ، الرباط، ط1، 2011م، ص 23-24.
- رون هاليبير، العقل الإسلام امام تراث عصر الأنوار في الغرب، الجهود الفلسفية لمحمد أركون، ترجمة جمال شجيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001، ص 167.
- المرجع نفسه، ص 167.
- مصطفى كيجل، المرجع السابق، ص27.
- محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة، هاشم صالح، مركز الانماء القومي (المركز الثقافي العربي)، بيروت، دار البيضاء، ط2، 1996، ص 264.
- مصطفى كيجل، المرجع مصدر البحث، مقالة بعنوان موسوعة جزائرية خالدة، من جريدة الخبر(24 جوان 2016) إعداد عبد الحكيم قماز لا توجد لحد الآن مراجع موثقة عن السيرة الذاتية والعلمية للشيخ أبو عمران.
- رباني الحاج ، مصطفى الأشرف و اشكالية الهوية الجزائرية على ضوء جدلية الأمة و المجتمع ، مجلة أفاق فكرية ، جامعة معسكر ، الجزائر ، المجلد الرابع ، العدد الثامن ، مارس 2018 م، ص82.
- مصطفى الأشرف ، الجزائر ، الأمة و المجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1، 1983م ، ص46 -جميلة حنفي ، كريبع النبھاني ، و البحث عن الانسان المسلم، مجلة دراسات فلسفية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 02 ، العدد 11 ، جوان 2015 م ، ص156.
- نقاز إسماعيل ، عبد المجيد مزيان و تجديد النص الخلدوني ، جامعة سيدي بلعباس ، العدد 7 السنة ، ص154-155 ، نقلا عن بلقاسم بن عبد الله ، عبد المجيد مزيان و بعدنا الحضاري المنشور في موقع <http://www.uswat.com> . بتاريخ 2012م.

- Abdellah mendaci , auteurs algériens de langue française de la période coloniale , in : books , Google , p163.

- Abderrazak Guessoum : L'idée du temps Dans La Pensée Arabe

Contemporaine (étude es origines des influences et des parallélismes,

1<sup>er</sup> édition el bassaire vieux Couba, Alger, 1426,2005.

- Dictionnaire Larousse, Librairie Larousse, Paris, 1977..
- Pour une critique de la raison islamique, paris.
- Essai sur la pensée islamique, paris.
- La pensée islamique, paris, p u f, 1995.
- L'islam, hier et demain (avec louis Gardet), paris, 1982.
- Les musulmans, consultation islamo-chrétienne, paris, 1971.
- Lecture du coran, Tunis, Alif, 1991.

## الفهرس :

الصفحة	العنوان
02	المقدمة.....
08	الملخص.....
9	الفصل الأول: مدخل عام لدراسة الفكر الجزائري. ....
10	المبحث الأول: الثقافة الجزائرية: مفهومها- أصولها- خصائصه.....
	المبحث الثاني: الثقافة الجزائرية بين الطرح الإيديولوجي والمقاربة المعرفية
44	الفصل الثاني: أعلام الجزائر في العصر القديم.....
45	المبحث الأول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري القديم.....
48	المبحث الثاني: أعلام الجزائر في هذا العصر.....
48	يوبيا الثاني: (25 ق.م).....
58	لوكيوس أبوليوس (125م).....
70	دوناتوس (ت سنة 355م).....
76	القديس أوغسطين: (354م).....
93	الفصل الثالث: أعلام الجزائر في العصر الوسيط.....
97	المبحث الأول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري الوسيط.....
	المبحث الثاني: أعلام الجزائر في هذا العصر.
99	عبد الرحمن الثعالبي (1384م).....
105	أحمد الونشريسي (1430م).....

109	.....عبد الرحمن الأخطري (1512م)
114	.....محمد بن أحمد المديوني (ابن أبي مريم) ت 1611
119	.....أبو عبد الله السنوسي (محمد بن يوسف) ت 895هـ
125	.....الفصل الرابع: أعلام الجزائر في العصر الحديث
125	.....المبحث الأول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري الحديث
	.....المبحث الثاني: أعلام الجزائر في هذا العصر.
132	.....حمدان خوجة (1773م)
140	.....الأمير عبد القادر
162	.....محمد بن أبي شنب
149	.....محمد بن علي السنوسي
154	.....محمد بن يوسف أطفيش
167	.....الفصل الخامس : أعلام الفكر الجزائري المعاصر
168	.....المبحث الأول: السياق المعرفي والتاريخي للفكر الجزائري المعاصر
	.....المبحث الثاني: أعلام الجزائر في هذا العصر
173	.....عبد الحميد بن باديس
180	.....الشيخ البشير الابراهيمي
186	.....الفضيل الورتيلاني
192	.....مالك بن نبي و فلسفة الحضارة و التاريخ
205	.....مولود قاسم نايت بلقاسم
211	.....عبد الله شريط

216	.....	محمد اركون
230	.....	أبو عمران الشيخ
234	.....	مصطفى الأشرف
241	.....	كربيع النبهاني
245	.....	عبد المجيد أمزيان
248	.....	حمودة بن ساعي
260	.....	حنفي بن عيسى
263	.....	أبو القاسم سعد الله
267	.....	عبد الرزاق قسوم
271	.....	عمار طالبي
280	.....	محنذ تازورت
275	.....	محمود يعقوبي
283	.....	الخاتمة

مسؤول المشروع:

رئيس القسم:

رئيس مخبر التاريخ والحضارة:

رئيس المجلس العلمي للكلية: